

سعاد .. الإنسانية

عاشقة الوطن

الجزء الخامس
(5)



Samad M.S 2020



دار سعاد الصباح
للنشر والتوزيع

سعاد.. الإنسانية

عاشقة الوطن

الجزء الخامس

5



دار سعاد الصبيح
للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
2025

الناشر:

دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع

ص.ب: 27280 - الصفاة

الرمز البريدي: 13133

الترقيم الدولي I.S.B.N:

978-9921-0-3487-5

هيئة التحرير في دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع

مراجعة وتدقيق:

- وائل أحمد حمزة

- عبدالكريم المقداد

اخراج وتنفيذ

نايف بن شكر

إشراف عام

علي المسعودي

* لوحة الغلاف بريشة د.سعاد محمد الصباح

سعاد... الإنسانية

عاشقة الوطن

شعرٌ معطرٌ من البادية¹

إخلاص صعب

إن أي نتاج فكري يصدر عن بلد ما، يعبر أحسن تعبير عن النهضة
الفكرية التي تجتازها البلاد
والكتاب الذي بين أيدينا الآن أطل علينا من بقعة عزيزة من الوطن
العربي من الكويت.

إن الأشياء التي تثير اهتمام «سعاد الصباح» هي أشياء تدور حول نفسها
أولاً، وحول المجتمع الذي تعيش فيه، فمن قصائد تتحدث بها عن نفسها
وكأنها تعرّف القارئ إلى شعرها، إذ تقول:

أيام من عمري

بين يديك

جُدْ عليها بناظريك

إن أعجبتك فهي إليك

وإلا فانسها وليس عليك..

إن أفضل مقدمة للكتاب في رأيي هي ما جاء على لسان المؤلفة في
المقدمة، إذ تقول: «إني أضع بين يدي القارئ الكريم صورة صادقة عن

1- مجلة الحساء - بيروت، المقال يتناول ديوان (من عمري) الذي أصدرته الدكتورة سعاد الصباح في العام

1963.

محاولة في الأدب النسائي تنبثق من واقع نعيشه في مجتمعنا العربي، وتعبر عن آمالٍ تحرك طموحنا نحو مجتمع يقوم على الانفتاح الفكري والتفاعل بين جزأي الأمة، تفاعل الخلق والإبداع.. وكل رجائي أن تكون المشاعر والنزعات التي يتضمنها كتابي في أقسامه الثلاثة -وبعضها وجداني وبعضها الآخر وطني واجتماعي- خطوة في الدرب إلى الهدف الكبير، فمحاولتي التي انطلقت أول ما انطلقت على شاطئ الخليج الحبيب، وتفاعلت مع آلامه وأمانيه، وعبرت عن نهضة بنيه وسير المرأة العربية نحو النور.. هذه المحاولة لم تكتمل بعد، ولكنها تتجاوب مع كل أمنية تنبلج انبلاجة القمر وكل فكر جديد، وكل أمل ينمو ويكبر».

لقد استطاعت «سعاد» بفضل تفتحها الذهني، وانكبابها الدائم على المطالعة الجدية والبحث أن تجيد الكتابة في مجالي الشعر والنثر أيضاً.. وفي «من عمري» تجربة أولى لها تحاول فيها أن تقدم شيئاً.. في الكتاب عدد من القصائد الرائعة، تصدر عن روح إنسانة تواقة إلى الحرية، لها اعتزاز الأنثى وكبرياؤها، تحب الحياة وتحب الناس بإخلاص، ففي قصيدة «حطمي القيد» تقول:

حطمي..

واحذري الخطو

على درب العبيد

مم تخافين؟

وأنت حرة

مذ ولدت

من برايا الله
للصبح المجيد
لا..

لا تخافي الحديد
واحذري الخطو
على درب العبيد
إنا بنات يعرب
أُمنا أُم المؤمنين
أختنا الخنساء
نفسه الدهر يعيد
لا تخافي الدرب
واكبي الجهاد
بنجيع الوريد..

وتبتعد الشاعرة عن ذاتها الخاصة لتعيش تجربة الكفاح العربي في
قصيدة فلسطين
فلسطين..
سُلِّمَتْ رخيصة
بلا حياء
والمجرمون الآثمون استباحوا

المقدسات
واستهانوا الحرمات
لم يعفوا عن شيوخ
وصغار ونساء
والطغاة الحاكمون يا ويحهم
يوم باعوك، ولفّوا
في دماء الأبرياء
من الخيام السود
صرخة الكبرياء
صرخة العودة الجلى
يا ديار الأنبياء
زحفُ المشردين الثائرين
زحفُ العائدين بعد غياب
زحفُ أكبر
موعدُه غدٌ أخضر
يقوده الماردُ الأسمر.

إن المجموعة الشعرية من كتاب «من عمري» محاولة شعرية لا يمكن
أن تكون غير ناجحة.

يكفي أن تكون محاولة صادقة غير متكلفة تنبع من القلب من أعماق

النفس لتضفي عليها الصدق في التصوير والإخلاص في التعبير.
لن نتعجل الحكم على مدى توفيق «سعاد» في تجربتها الأولى.. ذلك أننا
نأمل أن نجد بين أيدينا مجموعة أخرى..
يكفي أن يكون هذا الديوان نغمة حلوة في لحن الشعر العربي الذي
يتجاوب به الوطن العربي اليوم، وأنه خطوة في سبيل إطلاق الشعر في
الجنوب العربي ليلحق التجديد في الشعر المعاصر.
بقي أن نبارك هذه الخطوة، ونترقب لها عطاء آخر في الإنتاج الشعري.

حدث ذلك ذات مساء¹

كريمة شاهين²

حدث ذلك.. ذات مساء..

لم يحدث أن تحول إنسان إلى حلم.. ولم يحدث أن تحول حلم إلى إنسان.

في ذلك المساء.. انهمر الشعر حباً.. وحزناً..

تألق شروق أطل مع غروب.

تكس الزمن مفتوناً بسحر الكلمات والحروف.

لم يكن لقاء.. ولم يكن وداعاً.. بل كان ضياء، كان قبساً، كان شعاعاً.

حدث ذلك.. ذات مساء..

تحول الحلم إلى إنسان.. أصبح اللقاء مع الشاعرة الدكتورة سعاد الصباح نوراً وضياء.. وعزة وشموخاً وإباء.. لمحتها، فعانقتها عيناى لهفة، واحتضنها قلبي وضمها بهجة، وحلّق بصوتها شريط تسجيلي فرحة.

يحدث ذلك هذا المساء.. فيعقب في المكان صوتها الدافئ الحنون، صوتها المتناغم مع أصوات الندى والشذى والطيور.. ولا أكفّ عن إطلاق الطيور.. والشذى والندى والصوت الدافئ الحنون.. من قفص أسرها؛ شريط

1- "النهضة" - 19 فبراير 1983.

2- كاتبة مصرية من مواليد عام 1941، وهي زوجة الكاتب والأديب نجيب الكيلاني. والدها الشيخ محمود شاهين من علماء الأزهر الشريف، تكتب الشعر والرواية والقصة القصيرة، ومما كتبت: (آخر حوار مع نجيب الكيلاني) و(الملكة) و(نجيب الكيلاني كما عرفته) و(شجاعة) و(الأمنية الخضراء) و(نخلة أفندي) و(الإمارات في أدب نجيب الكيلاني) وغيرها

تسجيلها .

وأعيش أحاسيس حب جارف من جديد، حب يجيش في النفس، ويحيي
الذكريات من بعيد.

وأخلق والجميع في سماوات غربة بعيدة، كل يسرح في ذاته، يشرد في
عمق حياته، ويضج المكان حباً، وينتشي الزمان عشقاً، وتفيض جمعية
الصحفيين الكويتية بشراً.. فالناس تتوالى، تتابع حتى يفيض المكان، يتحور
كنزاً.. يتيه بهاسته الثمينة الغالية.

حدث ذلك.. ذات مساء..

انبثق الحب لهباً، وتدفق الحزن ناراً وجمراً، وشراراً، فاشتعلت الكلمات..
اتقدت اللحظات، والتهبت الأكف تصفيقاً.. والقلوب آهات.. ولم تتغير
هوية الحلم؟

هل يمرح الزمن؟

هل يتحول الحب سعاراً؟

هل يمسي الحزن جمراً.. ناراً.. اقتداراً؟

أحترق أنا بين الحب والحزن مراراً..

أسقط في «طائرة الموت» ألماً.. فراراً..

تكوين دموع أمّ تكلّى.. حيارى..

تحيل ومضات الصمت برقاً ورعداً وناراً..

وتسيل روحي عذاباً.. شظايا.

لا أحتمل، فأنا كائن يذوب.. يذوي أمام دمع العذاب.. يشتعل، يلتهب
في حريق الحب.. والحزن.

أدعو لها صبراً.. أعانها الله.

وأهدي.. تلك الشاعرة البديعة الوديدة ذات القلب الحاني الشامخ..

هذه الأبيات:

هُوَ الصَّبْرُ أَوَّلَى مَا اسْتَعَانَ بِهِ الصَّبُّ
وَلَوْلَا تَجَنِّي الْحُبِّ مَا عَذَّبَ الْحُبُّ
إِذَا كُنْتُ لَا أَهْوَى لِغَيْرِ تَوَاصُلِ
فَعِشَّقِي لِرُوحِي لَا لِمَنْ قُلْتُ ذَا الْحُبِّ
وَمَا أَنَا إِلَّا مُغْرَمُ الْقَلْبِ لَوْ بَقِيَ
عَلَى مَا أُعَانِيهِ مِنَ الْوَجْدِ لِي قَلْبُ

حول أشعار سعاد الصباح¹

د. علي الباز²

الحق أني لم أسعد بقراءة أعمال شعرية من قبل للشاعرة الدكتورة سعاد الصباح، اللهم إلا ما نشر من قصائدها في الصحف، بمناسبة الأمسية الشعرية الناجحة التي شرفتها بشخصها وبشعرها. ولم يسعدني حظي بحضور تلك الأمسية لأسباب خاصة

وأنا كرجل يشرفه الناس بضمه إلى قائمة الشعراء باعتباره قد أصدر خمسة دواوين شعرية، وحصل على جائزة الشعر من المجلس الأعلى للآداب والفنون بمصر.. إلخ، ولكنه -والله يعلم- ليحتسب نفسه -رغم كل ما تقدم- محباً للشعر فحسب.

أقول اختصاراً إنني قد طالعت التحليل الذي تفضل به الأستاذ بلال خيربك حول شعر الدكتورة سعاد، وأنا أتابع -منذ حضرت للكويت قبل ثلاثة أشهر- كتابات الأستاذ بلال، وأعجب بها، إلا أنني أيضاً لم أسعد بلاقائه بعد.

لقد عرض الأخ الكريم في تحليله للأمسية الدكتورة سعاد، قصائدها، وأبان

1- الأنباء 17 مارس 1983.

2- كاتب مصري ولد عام 1941، حصل على دكتوراه في القانون من جامعة الإسكندرية 1978، وعمل ضابط شرطة حتى وصل إلى رتبة لواء، وعمل بعد حصوله على الدكتوراه أستاذاً للقانون بكلية الشرطة بالقاهرة، ثم أغير للعمل أستاذاً للقانون العام بكلية الشرطة في دولة الكويت منذ 1982. من دواوينه: عيون بنات القاهرة، وهوامش على دفتر النصر، وعندما يبحر القلب.. وغيرها

أنها تنقسم قسمين، قرر أن أحدهما هو القسم العمودي الذي توصل بحور الخليل، وأن ثانيهما هو القسم النثري الرومانسي «المتفلت» من إसार الوزن والقافية، وظل محتفظاً لنفسه بموسيقاه الداخلية.

وقرر في نهاية مقاله أن الشاعرة استطاعت أن تبدع في الشعر النثري أكثر بكثير من الشعر الموزون، وأنها في بعض قصائدها الموزونة لم تخرج عن المألوف العادي الذي قيل فيه الكثير.. بينما استطاعت في معظم أو كل قصائدها النثرية أن تستولي على الذهن وتدهشه.. إلخ.

.. (وإن بصمات نزار قباني تبرز بقوة أحياناً، وبحياء أحياناً أخرى في قصائدها ككل، وإن هذا لا يلحق ضرراً بالشاعرة.. وإن التأثير به إلى فترة محددة أمر طبيعي جداً بشرط أن لا يغفل المتأثر ضرورة تأكيد صوته الخاص ولغته الخاصة وشخصيته الشعرية المميزة).

وليسمح لي أخي الأستاذ بلال أن أعبر عن رأيي الخاص فيما يقرره كالاتي:
أولاً- إن ما نشرته صحيفة «الأنباء» من أمثلة لما يسميه الأخ الكريم «الشعر النثري» لا يعد -أصلاً- شعراً، بل لربما أدرك هو ذلك فسماه «الشعر النثري»، والشعر متميز عن النثر، فلا يمكن لنا أن نخلط بينهما، وبالتالي لا يجوز لنا أن نطلق هذا التعبير.

فللشعر مقوماته، وللنثر مقوماته، فذلك شعر وذلك نثر، فكيف نستطيع أن نجمع بينهما؟

ليس معنى ذلك أن نتقص من جمال النثر وروعته، ولكنه نثر وليس شعراً، وأرجو أن لا يساء فهم قولي، فيحسب البعض أنني ألمح من طرف خفي إلى «الشعر الحديث»، وأهاجمه، فأنا -رغم أن أشعاري تسير على نسق الشعر الأصيل (التقليدي كما يسمونه الآن)- إلا أن أول دواويني

«عيون بنات القاهرة» الذي صدر 1968، كان يحتوي على النوعين الأصيل والحديث.

وإذن فما نشر للدكتورة سعاد على أنه -كما يقول الأستاذ بلال- «شعر نثري» ليس شعراً أصيلاً ولا «حديثاً» باعتبار أن الشعر الحديث -فيما أعلم- يلتزم تفعيلية شعرية، افتقدها ما نشر للسيدة الدكتورة وسُمّي شعراً نثرياً.

إلا أنني أنفق مع رأي الأخ الأستاذ بلال، في أن ذلك الشعر النثري (وأنا أسميه نثراً فقط) قد أبدع وأمتع وأسعد قارئيه. ولقد دهشت حقاً -كما دهش- لهذه التعبيرات الجميلة، والأفكار الجديدة، والصور والمعاني والمضامين والنهايات المدهشة والمفاجئة في نهاية كل قطعة.

إلا أنني -بعد ذلك- أعود فأخالفه الرأي في أن الشاعرة الكريمة قد تأثرت في تلك المقطوعات بشعر الأستاذ الشاعر نزار قباني، فإذا كانت السيدة الدكتورة قد تأثرت حقاً بغيرها في تلك النثرية الرائعة، فالأولى أن نقول إنها قد تأثرت بكتابات الأستاذ الشاعر والكاتب كامل الشناوي، في نثرياته التي كان ينشرها في جريدة «الأخبار» المصرية تحت عنوان «ساعات» والتي جمعت بعد ذلك في كتاب بذات العنوان، بل وربما لم تقرأ الشاعرة الكريمة تلك «الساعات»، وعبر نثرها الرائع عن ذات نفسها.

وإذا سمحنا لأنفسنا أن نقرر احتمال تأثر الدكتور سعاد، بالشاعر الأستاذ نزار، وأن «بصماته تبرز بقوة وبحياء في قصائدها ككل» فإن ذلك سيجرنا على الفور لأن نسمح لأنفسنا بالقول بتأثر الأستاذ نزار بكتابات الأستاذ كامل الشناوي، وليس في الأمرين عيب، فكلنا يتأثر -أراد أو لم يرد- بكتابات وأفكار السابقين بشرط أن «لا يغفل المتأثر ضرورة توكيد صوته الخاص

ولغته الخاصة» - كما يقول الأستاذ بلال- وهذا ما أعتقد أن الشاعر الأستاذ نزار قد تفوق فيه، وأن شاعرتنا هي أيضاً قد تفوقت فيه بشخصية متميزة. ثانياً- بالنسبة للشعر العمودي، فإني أستاذ الكاتب الكريم في أن أخالفه الرأي حول الأشعار التي أوردها في مقاله، للأستاذة الدكتورة، والتي قرر أن النثر الشعري يفوقها، وأنها في بعض قصائدها الموزونة لم (تخرج) عن المألوف العادي، والذي قيل فيه الكثير.

والإحساس الذي أشمه من تحليل الأستاذ الكريم للشعر العمودي إحساس بأنه أصلاً أكثر تعاطفاً مع النثر الشعري عنه مع الشعر الأصيل العمودي، ولربما أيد ذلك الظن عندي أنه اختار أن ينشر في جانب الصفحة ثلاث قصائد أو مقطوعات نثرية، ولم ينشر قصيدة شعرية أصيلة سوى ما نشره من أجزاء مختصرة وسط تحليله، وقد يكون له العذر في أنه اختار المقطوعات النثرية لأنها لم تنشر من قبل، فإذا كان الأمر كذلك فإن له عذره، ولكن أما كان لك يا أخي أن تضيف إلى كرمك كرمًا بنشر قصيدة ولو واحدة من الشعر الأصيل، وتكون أيضاً من التي لم تنشر من قبل؟ أقرر إذن أن رأيي الخاص فيما نشره التحليل من قصائد عمودية، أنها تحتوي على إبداع شعري حقيقي، وإحساس صادق، وتعبير متميز. ولا أقول ذلك اعتباطاً، بل من واقع قراءة متأنية لأشعارنا قديمها وحديثها، ولأشعار الشعراء غير العرب.

ولذلك فإنني رغم إعجابي الشديد بنثر السيدة الدكتورة أقدم أولاً إعجابي بقصائدها الشعرية، فالأمسية كانت -كما هو واضح في عنوانها- أمسية شعرية، والسيدة المتحدثة دعيت إلى تلك الأمسية باعتبارها شاعرة في المرتبة الأولى.

أما رأي الأخ الكريم في أن الشاعرة في بعض قصائدها الموزونة لم تخرج عن المألوف العادي والذي قيل فيه الكثير.. فليأذن لي أن أقول إنني لم أفهم ما هو «المألوف» وكيف «يخرج» الشاعر عنه؟!

فللشاعر أن يعبر بصدق عما يشعر، وليخرج هذا النتاج إذن «مألوفاً» أو «يخرج» عن المألوف. وما دام الشاعر يعبر عن شخصيته المتميزة، فسيأتي بالجديد، ذلك أنه سيعبر من زاوية شخصيته الإنسانية المتميزة من أية شخصية أخرى، ولذلك فإن نتاجه سيكون جديداً، و«يخرج» عن «المألوف» وعمّا ألفه الناس من غيره.

وإذا كان مقياس «المألوف» و«الخروج عن المألوف» وأنا لم أفهم بالتحديد ما يريده الأخ الكاتب: هو الحكم.. وأن قصائدها العمودية كانت من «المألوف» فعلى أي أساس بنى حكمه واعتبر «شعرها النثري» مبدعاً، وأنها استطاعت فيها أن تستولي على الذهن وتدهشه؟ (أي أنها فيما أفهمه من المقابلة بين النوعين من المقطوعات يرى أنها قد خرجت على «المألوف» في مقطوعاتها النثرية).

وإذا كان استنتاجي صحيحاً في تفسير رأي الأستاذ الكاتب فالحق أقول إنه إذن كان قد اعتبرها لم تخرج عن «المألوف» في مقطوعاتها النثرية. ذلك أن الأفكار التي قالتها قالها قبلها الكثيرون في الشرق والغرب، إلا أن الجديد فيها، وهذا هو المطلوب من الشاعر أو الناثر، أن يعبر عن تلك الأفكار من زاوية جديدة، وبرؤية جديدة تحمل بصماته -وبالصمة كما نعرف تميز كل إنسان عن بقية البشر- وتشعرك بروحه بذاتيته بعالمه الخاص.

انظر -رعاك الله- إلى قول الشاعرة في قصيدتها «مثالية»:

لو جعلت الليل ظهراً
وعرضت الشمس مهراً
وملأت الجو والأبحر والأنهار.. عطراً
وفرشت الدرب ألواناً وأضواء وزهراً
ونظمت الكون لي ماساً وياقوتاً ودُّراً
ستراني لست بالمال ولا بالجاه أشرى
كل ما أرجوه أن تجعل لي قلبك وكرأ
أيها المغرور ليس الحب أمجاداً وتبرأ

أنظر إلى تلك الروح المتوثبة، وإلى ذلك التناول «الجديد» لفكرة سبق أن عبّر عنها الكثيرون من قبل، ويكفي أنني أحسست وأنا أقرأ تلك القصيدة وكثيرون مثلي بأن الشاعرة تترجم بكل الصدق عن الفكرة التي ألحت عليها ساعة كتابة قصيدتها وهذا هو الجديد

والغريب.. أنني كتبت نفس الفكرة منذ سنوات، وأظنها فيما أذكر كانت قصيدة بعنوان «أنا لست مثل الأخريات» وكثيرون كتبوا في نفس المعنى، وأشهد -يا سيدي- أنني لم أقرأ من قبل -كما قلت في البداية- للشاعرة الدكتورة، ولا أظنها قد قرأت قصيدتي، وحتى لو كانت قد قرأتها، فإن لكل من القصيدتين -قصيدتي وقصيدتها- مذاقها الخاص الذي يميزها، وذلك هو «الخروج عن المألوق» فيما أظن.

أما إذا كان الخروج عن المألوف -وهذا ما لا أعتقد حتماً وبصورة حاسمة أنك تقصد هذا المعنى- هو أن نقول ما لا نفهم وما يفهم، وهذا ما يفعله

البعض للأسف في شعرنا العربي الآن، ظناً منهم أن الخروج عن المألوف هو أن نملأ القصيدة بالرمز المبهم الذي قد لا يدل على شيء، وأن نطلق في أجوائها «بخور» الغموض والتيه. إذا كان الخروج عن المألوف، هو ذلك فلقد نجت شاعرتنا من هذا الخروج فهنئاً لها..

وإذا كان الخروج عن المألوف، وأكرر أنك يا سيدي ما قصدت هذا المعنى، ولكن الشيء بالشيء يذكر، هو أن نخرج في الشعر عن قيمنا وتقاليدنا الكريمة، وأن نملأه بألفاظ تخدش حتى حياء الحياء، ونطعمه بمعان وإيماءات وإيحاءات قد «تدهش» بعض فتياتنا وفتياننا، فيحسبونها جرأة وعصرية، وانفتاحاً على الحضارة والثقافة، إذا كان الخروج عن المألوف بهذه الصورة، فإنني أعتقد، وهو نفس اعتقادك فيما أظن، أنه فليذهب ذلك «الخروج» بعيداً عنا.. إلى دنيا الخروج عن المألوف، وليترك لنا مجتمعنا طاهراً، وشعرنا عفيفاً سامياً نابضاً بكل معاني الحب، وبكل القيم النبيلة.

وأخيراً.. فإنني وبكل إخلاص لأشكرك قبل أن أشكر الشاعرة الكريمة، فلقد أحسنت لي بتحليلك مرة بتعريقي ببعض شعرها الرائع، وأحسننت لي أخرى أن أثار في النفس تحليلك أفكاراً وأفكاراً، ودفعتنني دفعاً إلى أن أترك للحظات عناء الانشغال بعالم «القانون» إلى عناء لذيذ ممتع.. هو عناء السباحة في عالم أو بحور «الشعر»، ولعلي لم أغرق وأنا أسبح في بحر تحليلك القيم.

أمسية شعرية ناعمة في جمعية الصحفيين¹

المحرر الثقافي

في الأمسية الشعرية التي عقدتها الدكتورة سعاد الصباح، تبين أن للشعر جمهوره، وقد دل وجود حشد جيد من الحضور على أن هذا القطاع من محبي الشعري نخبوي النزعة، وأن الجمهور قبل أن يتوجه لحضور أية أمسية يضع في حسابه شخصية الشاعر، بغض النظر عن طبيعة الأشعار التي يطرحها على جمهوره سواء كانت وطنية أو سياسية أو عاطفية هذا من ناحية

ومن ناحية أخرى يتبين أن الجمهور يستجيب استجابة عفوية للكلمة الشاعرة، ويتأثر تأثراً حاراً وفورياً بها.

أقلت الدكتورة الشاعرة عدداً من قصائدها التي تلتزم النسق التقليدي في الشعر، وتتسم في مجملها بالسهولة واليسر، والبعد عن التكلف والتعقيد الذي يجعل من الملتقي غارقاً في دوامة من الطلاسم والرموز والمعميات، تحت ستار الحداثة، ومستوى التطور الفكري والثقافي عند الشاعر. وهذا في حد ذاته مؤشر على أن جمهورنا يطربه إلى الآن الاستماع إلى الشعر السهل الواضح، الذي ينأى عن الغموض والإبهام.

كانت النزعة الرومانسية واضحة بينة في القصائد التي ألقتها الشاعرة، ظهر ذلك من خلال استخدامها للألفاظ الشفافة، والتعبيرات السلسلة التي

1- المحرر الثقافي - الیقظة 18 - 24 فبراير 1983.

تناسب مع الموضوع الذي طرحته، حيث تظهر بجلاء العاطفة الحارة المشبوبة بالعفوية التي تأتي وتنقاد لها بكل سهولة.

وإذا كان مَد المدرسة الرومانسية قد سجل تراجعاً مع نهاية الحرب العالمية الثانية، بسبب التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي عاشتها المجتمعات العربية، وأصبح الشاعر يتناول قضايا بعيدة عن الهموم الذاتية، واتجه اتجاهها عاماً شاملاً ناقش من خلاله هموماً اجتماعية ووطنية وإنسانية عريضة، فإن كبار الشعراء في معظمهم بدأ مثل هذه البداية الرومانسية الحاملة، فدائرة البعد الذاتي هي الدائرة الأولى والمحطة الأولى التي لا بد من أن يتوقف فيها أي شاعر ينمو نمواً طبيعياً، لينطلق من خلالها إلى دوائر أرحب وأوسع.

إن هذا الاستغراق الرومانسي من قبل شاعرة تبحث في رحلة حياتها عن حب عذري مثالي، يكاد يشكل بالنسبة لها قضية كبرى، تتوهج في أعماقها وترنو من خلالها إلى المعنى السامي النبيل للحياة، وتؤلف فيها قصائد تقطر رقة وعذوبة وجمالاً، يعتبر شكلاً من أشكال الالتزام الأخلاقي في زمن أصبحت فيه العواطف سلعة رخيصة.

إن الشاعرة كشفت من خلال الأمسية الطبيعة الإنسانية المجردة لشخصيتها، وتوحدت مع الموضوع الذي طرحتها كامرأة في أغوار نفسها وفق عاطفي ساخن يصل حدود النزف، سواء في الحديث عن الحب أو الابن أو الوطن.

من الشعر الإنساني إلى التخطيط التنموي¹

د. بلال خير بك²

أن يكون المرء أديباً يتفجر قلبه عاطفة وكلمات رقيقة، ثم يكون في الوقت نفسه ذاكرة من الأرقام الصعبة والرموز والخطط الاقتصادية المحكمة.. أمر يبعث على الإعجاب والدهشة، وخصوصاً أن زمن العقل الموسوعي قد ولى بعد التقدم الصناعي وتقسيم العمل

وأن تستطيع شاعرة رقيقة الكلمات أن تجمع بين قلبها وعقلها واختصاصها الأكاديمي العلمي الصرف على المستوى العربي، فهذا شيء يبعث على الفخر والاعتزاز بذات الفرد العربي، الذي أثبت ويثبت دائماً أنه فوق ألم المراحل، وفوق عذابات الواقع، وهو المنطلق دائماً نحو الأفق الأكثر رحابة.

هذه المقولة حققتها لنا في الكويت الشاعرة ودكتورة الاقتصاد والتخطيط الإنمائي سعاد الصباح، فبالإضافة إلى أعمالها الكثيرة صدر لها حديثاً عن دار «إيستلوردز» للنشر في لندن كتاب جديد بعنوان «التخطيط والتنمية في الاقتصاد الكويتي ودور المرأة»، وجاء في مئتين وخمسة وأربعين صفحة من القطع الوسط، قسّمتها إلى إهداء وتمهيد وسبعة فصول.

قالت في الإهداء: «إلى عبدالله المبارك الصباح زوجي الذي تحمّل دون ضجر زوجة طالبة لفترة طويلة، وبمساعده وتشجيعه القيمين كان دعامي ومصدر قوتي، وهو موردي الذي لا ينضب.

1- الأنباء 3 نوفمبر 1983.

2- كاتب وناقد وصحافي سوري، عمل في الصحافة الكويتية خلال ثمانينيات القرن العشرين.

إليه.. الذي كان عزمه وثباته النموذج الأمثل الذي أهتدي به.
إليه أهدي هذه المحاولة».

أما عناوين الفصول فقد درست عدة قضايا اقتصادية محلية؛ وهي «استراتيجية لتخطيط التنمية في الكويت: أهداف الدراسة ونطاقها، ومناهج البحث فيها وجوانب تنظيمها - المناهج النظرية للتنمية - نظرة على الاقتصاد الكويتي - إطار تخطيط مشروعات التنمية في الكويت: تحديد نموذج للتخطيط على المدى البعيد وشرح وسائل تنفيذه - مساهمة الكويتيات في القوى العاملة: مسح عام - مزيد من التحليلات الإحصائية: تحديد المجموعات المتجانسة واستخدام طريقة التحليل التراجعي - ملاحظات ختامية وقائمة بالملاحق وفهارس الجداول».

النفط والعمالة الأجنبية

وتحت هذه العناوين تعالج الدكتورة سعاد أهم المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي تواجهها دول الخليج العربي كمشكلة النفط وإمكانية نضوبه، ومشكلة الاعتماد على الأيدي العاملة الأجنبية المتعددة الجنسيات، والتي تشكل ثلثي القوى العاملة، وهذا ما يشكل بالضرورة «عنصر تهديد للتناسق الاجتماعي والاقتصادي». وتلاحظ «في الوقت نفسه أن نسبة مشاركة الإناث من أهل البلاد الأصليين في العمالة منخفضة جداً، مما يعني عدم الاستفادة إلى حد كبير من هذا العنصر الإنتاجي المهم، وبخاصة في ظروف تتسم بندرة الأيدي العاملة بصفة عامة»، وهي تنبه بشكل ملحّ على هذه الظاهرة التي تحفّ بها المخاطر فتقول: «وإذا أخذنا في الاعتبار الطبيعة المعقدة للمشكلات السالفة الذكر، وإذا أضفنا إليها أن القدرة الاستيعابية لاقتصاديات هذه البلاد محدودة للغاية، بسبب اختلال

التوازن فيما يتعلق بعناصر الإنتاج، والقطاعات والمؤسسات، وأسواق المال، لاتضح لنا بما لا يدع مجالاً للشك أنه ما لم تتخذ هذه الدول إجراءات وسياسات مخططة ومدروسة من الآن فإنها قد تواجه مستقبلاً يحمل في طياته مخاطر جسيمة

أهداف الدراسة

وقد اختارت الدكتورة سعاد دولة الكويت كمثال للدول التي تواجه المشكلات السالفة الذكر، وحددت أهداف دراستها بهدفين رئيسين هما

الهدف الأول:

تقديم استراتيجية عامة لتخطيط التنمية في الكويت تخدمها حتى سنة ألفين، ويكون بمقدور هذه الاستراتيجية إقامة قاعدة اقتصادية متوازنة بوساطة دعم القطاع الداخلي غير النفطي، وذلك من أجل مواجهة مرحلة ما بعد نضوب النفط. ومن ناحية أخرى ترمي إلى إقامة هيكل متوازن لقوة العمل ضماناً لاستمرارية التناسق الاجتماعي، والاستقرار السياسي عن طريق الإقلال تدريجياً من العنصر الأجنبي في قوة العمل، مع السعي في الوقت نفسه إلى تشجيع المرأة الكويتية للمشاركة المستمرة في قوة العمل

الهدف الثاني:

التركيز على موضوع مشاركة المرأة الكويتية في قوة العمل. وقدمت الدكتورة سعاد في دراستها بهذا الصدد محاولة جديدة، كمية وكيفية، لتفهم ومن ثم تحديد العوامل التي تؤثر على مدى "التزام الكويتيات بالعمل"، نظراً لأنه على أساس هذا الفهم يصبح بالإمكان تنفيذ سياسة تتعلق بهذا القطاع من القوى العاملة بصورة واقعية

النموذج المتبع في الدراسة

وقدمت الدكتورة سعاد في دراستها نموذجاً تخطيطياً مستقبلياً طويل الأجل تم تطبيقه على الكويت حتى عام "2000"، والنموذج المقترح هو من نوعية النماذج الرياضية المثلى، ويحتوي على الأهداف المقترحة للخطة، والتي تتمثل في البناء التدريجي للقطاع الداخلي غير النفطي، والتقليل التدريجي للعمالة الأجنبية، مع محاولة زيادة نسبة مشاركة المرأة الكويتية في قوة العمل. كما يتضمن النموذج خطأ رياضياً يمثل المعالم الرئيسية للاقتصاد الكويتي، والعلاقات الاقتصادية الأساسية فيه. وواضح أن دالة الأهداف تمثل ما هو مرغوب فيه، بينما يمثل النمط الرياضي واقع الاقتصاد الكويتي، والقيود التي تتحكم فيه

ما الذي يمكن تحقيقه؟

ولتحديد الذي يمكن تحقيقه، اختارت الدراسة أربع أدوات وهي: الاستثمار في القطاع الداخلي غير النفطي، وسعر النفط الخام أو إنتاجه، وحجم التغير في عدد العمالة الأجنبية، ومعدل مشاركة المرأة الكويتية في قوة العمل

ولقد قدمت الدراسة حل النموذج التخطيطي باستخدام بيانات كمية عن القيم المثلى للتغيرات الأساسية، والوسائل والأهداف سنوياً للفترة ما بين 1975 - 1997.

منهج الدراسة والبحث

واعتمدت الدكتورة سعاد في دراستها هذه على منهج البحث الميداني لمعرفة العوامل، والحوافز التي تؤثر على مشاركة والتزام المرأة الكويتية بالعمل تتكون من خمسة وأربعين سؤالاً وثلاثة ملاحق. وزعت على أربعة أقسام

ويتضمن الأول أسئلة عامة عن السن والحالة الاجتماعية والعائلية. أما الثاني فقد تضمن الحالة التعليمية كالشهادة ومكان الدراسة وطبيعتها.

وتضمن الثالث الحالة المالية والسكنية.

وحوى الرابع: العمل، وطبيعة ودرجة الخبرة والتدريب.

أما الملاحق فقد خص الأول منها المرأة المتزوجة، والثاني المرأة المطلقة أو الأرملة، والثالث المرأة غير المتزوجة. وتم تصميم الأسئلة اعتماداً على النظرية الاقتصادية المتعلقة بالعوامل الممكنة، والمساعدة والحافز للمرأة على المشاركة في العمل والاستمرار فيه. وتم توزيع استمارة البحث على عينة من خمسمئة تبعاً للتوزيع القومي، منها أربعمئة وخمسون للقطاع العام، وخمسون للقطاع الخاص، مع التركيز على العاملين في قطاع التعليم. ولقد تم تحليل هذه البيانات إحصائياً وبصورة دقيقة، وتمثل ذلك في تكوين جداول تكرارية للتعرف على الخصائص المميزة للعينة، ثم تبع ذلك تكوين جداول ارتباطية متشابكة بهدف اكتشاف العوامل التي من المحتمل أن تؤثر على المتغير الرئيسي، وهو التزام المرأة الكويتية بالعمل واستمرارها، ثم تبع ذلك تطبيق نظام إحصائي متقدم بهدف تقسيم العينة إلى مجموعات منفصلة تتسم بالتجانس، من حيث وجهة النظر بالنسبة

للعمل، وحتى يمكن تحديد أسواق العمل المتخصصة. ولقد نجم عن التحليل تقسيم العينة إلى عشر مجموعات متجانسة فيما يتعلق بالعمل لكل مجموعة، ثم تركيب وقياس علاقة كمية تربط استمرارية العمل كمتغير أساسي بعوامل النظرية الاقتصادية، وبعد أن تم تجميع النتائج من القسمين طرحت على بساط البحث اختبارات الكويت الاستراتيجية، وحددت معالم السياسة العامة للتنمية والسياسة الخاصة لتحفيز المرأة الكويتية على الالتزام بالعمل والاستمرار فيه.

كلمة ختامية:

يعتبر هذا الكتاب القيم للشاعرة الدكتورة سعاد الصباح إضافة حقيقية للمكتبة الكويتية بشكل خاص والمكتبة العربية بشكل عام

شاعرة تعزف فوق مساحات الألم!!¹

عبد القادر كراجة²

انتظرت طويلاً قبل أن أكتب عن الدكتورة سعاد الصباح.. وسبب هذا الانتظار كان متعمداً حتى تكتمل ملامح الصورة لدي عن هذه المرأة المثقفة التي ملأت الساحة الصحفية والأدبية غزارة إنتاجها الشعري، أو فلنقل النثري الفني إذا جاز لنا التعبير

فريق كان يقول إن الدكتورة سعاد الصباح إنما تنحصر أشعارها حول مضمون واحد هو الرثاء!

وفريق يزعم أن أشعار د.سعاد الصباح جاءت دفعة واحدة لتعبر عن إحدى حالات المعاناة، وسرعان ما تقل حدتها وتلاشى..

من خلال متابعتي لما نشر من قصائدها ومعزوفاتها النثرية، ولما سمعته بصوتها في أمسياتها اتضح أن أفكار الباحثة في عيون الشعر المعاصر تمتلك موهبة شعرية بالغة الرقة والدقة معاً.. وتعبّر عن موضوعاتها من خلال صور شعرية متعددة، كل صورة تكاد تكون عن فكرة مستقلة، تربطها بالصورة المقبلة -تدفقاً- فكرة أخرى متجانسة درامياً مع إحساسها النقدي المرهف بالواقع الذي تتحسسه بوعي تام، وترصده بعد عملية تنقية

1- السياسة 19 نوفمبر 1983.

2- كاتب وأديب أردني، نشط في مجال الكتابة الصحفية والتلفزيونية خلال الثمانينيات من القرن العشرين، وكتب في صحيفة السياسة الكويتية

وتغلفه بثوب نثري وشعري أقرب إلى أشعار المحدثين في الشعر الإنجليزي. واضح جداً من خلال تركيزها على قضايا وهموم بنات جنسها، أن المرأة لديها قضية مشروعة للبحث، كما هي مدخل للأوجاع اليومية، تمارس ضدها إحساسات الغربة الذاتية، وتيارات الصراع اليومي مع مظاهر الحياة الاجتماعية التي وضعت المرأة في حالة أشبه بدوامه مستقرة الإيقاع..

ومن هنا كانت زفرتها الشعرية حيال المرأة بمثابة مرحلة من التوعية الثقافية بأهمية دورها الذي يفترض أن تسلكه عبر طرق معبدة وسط واقع مليء بالهموم قد يكون الرجل أحد أسبابه.

في أدب الدكتورة سعاد الصباح، صرخة ولكنها مخنوقة بالرمز أحياناً، ومباشرة في الألم أحياناً أخرى، لكنها صرخة إحساس مرهف، مرتفع الثقافة، مطلع على تيارات الصياغة الشعرية الأوروبية الحديثة المعتمدة على التداعي الذي يبدو غير منطقي، ولكنه في الواقع عين المنطق الغائبة عن جسد الثقافة العربية.

استمتعت كثيراً بما سمعته من قصائد نثرية فنية قالتها بإحساس دقيق -مؤخراً- في جمعية الخريجين، كما كنت قد بلغت من الدهشة مبلغاً وأنا أتابع ما نشر لها من معزوفات شعرية في الصحف والمجلات!

عندما تكون الشيخة شعراً..!¹

جمعة اللامي²

قبل نصف سنة تقريباً ضمّني مجلس، حضره عدد من مثقفي وأدباء الإمارات، وطال الحديث واستطال حول شؤون وشجون الثقافة والأدب في هذا البلد العربي، حتى وصل إلى أحد الكتّاب من هذه البلاد وهنا أدلى أحد الموجودين بوجهة نظر اعتبرها نهائية فقال: إنه كاتب يميني، انظر إلى شريحته الاجتماعية وستعرف كل شيء. سألت: هل قرأت كل أعماله؟ وهل التقيته شخصياً؟ وهل دار بينكما حوار في الثقافة والشخصية الوطنية لأبناء هذه البلاد؟ قال: لم أقرأ له إلا قليلاً، كما أنني لم أقابله مطلقاً، ولم نشترك في حوار على الإطلاق.

ويشاء الله أن ألتقى دعوة عشاء من ذلك الكاتب، بعد أسبوع مر على مجلسنا الثقافي، وتحول العشاء إلى «سهرة ميدانية»، فشرح لي كثيراً من الأحداث، ولفت نظري إلى عديد من الشخصيات المركزية في الإمارات. وقد وجدت الرجل يعرف بلاده وتاريخها بالتفصيل، وبجانب هذا فقد وجدت

1- جريدة الخليج 10 / 8 / 1983

2- كاتب وروائي عراقي، ولد في 1 يوليو 1947. مقيم في إمارة الشارقة منذ سنة 1980. شغل مناصب عدة في صحيفة الخليج وصحيفة الاتحاد، وهو رئيس مركز الشارقة - ميسان العالمي للحوار والتنمية الثقافية، يعمل حالياً كاتباً متفرغاً في جريدة «الخليج». حصل على الجائزة الأولى في القصة القصيرة من المؤتمر الأول للكتاب الشباب - بغداد 1977. كما حصل على جائزة السلطان قابوس للإبداع الثقافي في القصة القصيرة عام 2006م. وفلاحة بغداد للإبداع سنة 2011، وجائزة العنقاء الذهبية الدولية عام 2007م

فيه معرفة ثقافية متقدمة، خصوصاً عندما ركز على «الواقع» في كتاباته، وقال: أنا لا أتدخل في الواقع إلا من حيث إعادة ترتيبه، دون إهمال الجمال قطعاً. ثم قال بنوع من الامتناع: تصور يا أخي أن هناك من بين أدباء هذه البلاد من يعتبرني «يمينياً» استناداً إلى أصولي الاجتماعية.

قلت له: لست من هؤلاء، مع أنني أفهم لماذا يطلقون هذه الأحكام، إنهم يتحدثون كما كان بعض العراقيين يتحدثون في الأربعينيات عن الثقافة.

ويشاء الله أيضاً أن ألتقي قبل أسبوعين مع أحد أبرز شعراء الإمارات، ودار الحديث، صريحاً وطويلاً، عن الثقافة والأدب في هذه البلاد، حتى وصلنا إلى صاحبنا الكاتب.

قلت للشاعر: في رأيي أنه تقدمي، لأنه يتطور بسرعة، ولا يقفز فوق الحقائق الاجتماعية والتاريخية لبلده، ثم إن كتاباته تقدّم لك «واقعاً» لو حاكمته نقدياً، بصورة موضوعية، لاكتشفت أن هذا الكاتب، هو أحد علامات الثقافة الوطنية في الإمارات والساحل العماني.

قال الشاعر: أنا أعتبره يمينياً!

سألته: هل قرأت له، وهل التقيت به وتحاورتما؟

أجاب: قرأت له نادراً، ولم ألتق به على الإطلاق!

وأضاف الشاعر: لكن رأيك فيه أثير لدي، وسوف أقرأ له ما تيسر لي، وأرجو أن نلتقي سوية في موعد قريب جداً.

أذكر هاتين الحادثتين بعد أن قرأت أمس مقابلة مع الشاعرة الكويتية الشيخة الدكتورة سعاد الصباح.

بعض المثقفين العرب الخليجيين يتحول «العقال» لديهم إلى «قيد» حقيقي لأفكارهم، فتراهم يتمسكون بوجهات نظرهم الثقافية، وينطلقون من مسلّمات أيديولوجية غربية دون استيعاب للظروف الاجتماعية والتاريخية لبلدانهم، بمعنى أنهم لم يتوصلوا إلى فهم «الخصوصية الثقافية» لبلدانهم في إطار التعددية العربية ثقافياً.

و بموجب هذه النظرة، فإن الشبيخة سعاد الصباح في قمة «اليمن»، فهي سليلة الأسرة الحاكمة في الكويت، وبالتأكيد لها وضع اجتماعي متميز عن الوضع الاجتماعي للشاعر فهد العسكر.

ولكن دعونا نقرأ شيئاً يعبر عن «الموقف الثقافي» لهذه الشبيخة الشاعرة، على اعتبار أن «الموقف الثقافي» يشتمل النظرة العامة، بينما «الموقف السياسي» هو تطبيق «الموقف الثقافي» على فترة أو مرحلة محددة.

تقول الشبيخة الشاعرة رداً على سؤال حول وطنها بكونه الهاجس في قصائدها: «إذا كان تعلقي بوطني يوصلني إلى حبل المشنقة فأنا مستعدة، وإذا كانت رائحة الأرض جريمة يعاقب عليها القانون فأنا مستعدة للذهاب إلى المحكمة حالاً.. في الماضي كانوا يشنقون الخونة لأنهم خانوا وطنهم، واليوم يشنقون الوطنيين لأنهم يحبون وطنهم. وفي الخمسينيات كانت نظرية الالتزام التي نادى بها سارتر بوصلة كل الأعمال الأدبية، واليوم صرت إذا قلت: يا وطني ثلاث مرات متتالية.. يبلغون عنك البوليس».

وتقول الشبيخة الشاعرة في مكان آخر: «الشاعر الذي يقبل أن يبيع نفسه للحاكم، يتحول إلى حذاء في قدم الحاكم»، وتضيف: القمع الفكري موجود منذ أن كان هناك قلم، ومشنقة، وكلمة وسيف، أي أن القمع الفكري ليس جديداً، فطالما أن هناك كاتباً يكتب فإن هناك حاكماً يشنق.. ولكن القمع

الفكري لم يستطع خلال كل عصور القهر والاستبداد أن يلغي فم الكاتب وأصابعه».

ولو أتيح للقارئ المعني أن يقرأ أشعار وقصائد الشبيخة سعاد الصباح، لما وجد في كلامها هذا إلا الفن بصورة رفيعة.

لا أستطيع أن أقول عن بلزاك إنه كاتب البرجوازية لأن أصوله برجوازية، لكنني أقول كما قال عملاق كبير إنه كشف لنا البرجوازية على حقيقتها! ولا يمكنني أن أنزع عن تولستوي إنسانيته بسبب أنه إقطاعي ابن إقطاعي، لأنه في «الحرب والسلام» و«أنا كارنينا» كان إنسانياً من طراز استثنائي.

ولكنني أستطيع القول إن كاتباً مثل جون شتاينيك تحول إلى «كلب أمريكي» لثقافة رأس المال عندما تراجع أمام «المكارتية» و«تطوع» لقتال الفيتناميين تماماً كما فعل موشي دايان!!

أنحني احتراماً لكل شاعر وكاتب يكسر الحاجز الطبقي عبر الثقافة الحقيقية، فيجيء صوته، ومعه موقفه، ثابتاً وصافياً ونقياً وتقدمياً، كما هو صوت الشبيخة الشاعرة الدكتورة سعاد الصباح.

ارتجفت سعاد الصباح تهيئاً! فانحنيت¹

ليلى الحر²

عندما زرت الكويت، في مثل هذا الشهر من العام الماضي، تمنّعت طويلاً أمام دعوة صديقة حميمة هي الإعلامية الشهيرة السيدة فاطمة حسين، لحضور أمسية شعرية للدكتورة سعاد الصباح تقام في أحد الأندية الثقافية في العاصمة

قلت لفاطمة: هذه ابنة «الصباح» وزوجة الشيخ عبدالله المبارك.. سيدة مجتمع فاضلة وناجحة، نعم. أما أن تكون شاعرة؟ وشملتني فاطمة بنظرتها الفاحصة الساخرة، وقالت: يا سلام، ولم لا تكونها؟ أشيطان الشعر لا يركب إلا مخيّلة الكادحات؟ أنا أفهم أن الشعر ابن للرفاهية أم ماذا؟ ثم أردفت غاضبة: هل تعرفين من سعاد الصباح؟ يا جاهلة.. هذه أستاذة علم الاقتصاد في الجامعة الكويتية، وقد اجتهدت وكدحت سنوات لتحصل على لقب الدكتوراه، فعلى الأقل لم ترث اللقب عن أهلها أو عن زوجها، فهل يشفع «كدها» عندك فتتفضلين وتسمحين بامتلاكها موهبة الشعر؟ أجبت، مكملة شوط إغاظتها: طيّب.. فهمنا، ابنة «الصباح» وزوجة ابن «مبارك الكبير»، وقد أضافت لنفسها امتيازاً ثالثاً هو لقب دكتورة في علم الاقتصاد، ولكن هذا شيء، والشعر شيء آخر!!

وضاق صدر فاطمة بي وبتنظيراتي «العشوائية»، فأقفلت الحديث على

1- مجلة الشراع - نوفمبر 1984

2- صحافية وكاتبة لبنانية.

حدّة: وهل يتطلب الشعر عظمة من نوع آخر؟ أحسن، ابقني على جهلك، ففائض العلم قاتل أحياناً.. وقد شئت تعريفك على أنضر وأجمل من في الكويت، فرغبت عنه إلى كسلك.. بارك الله لك وسع هذا الجهل.

ولم يحرضني هجومها العنيف المحبّ للذهاب والتعرف على الدكتورة سعاد الصباح.. حتى كانت دعوة الدكتور خير الدين حسيب لنا لحضور ندوة «التراث والمعاصرة» في القاهرة، فقدمني صديقنا المشترك الدكتور جمال محمد أحمد وزير خارجية السودان الأسبق إليها وتعارفنا طويلاً ولن أقول بأنني غيّرت نظرتي، فاكتشفت متأخرة أن بعض «الأميرات» و«الشيخات» و«الملكات» ينتجن أيضاً فكراً وأدباً وثقافة، ويقمن بأعمال حضارية جليلة؛ فهذه بديهة لم تكن أبداً مطروحة للمناقشة، وأنا أبرر كسلي عن الحركة أمام العزيزة فاطمة فتردعني بذكائها السليط.. فقط، أسجل ما حدث

هذه المرأة البالغة الرقة، الشديدة الولع بالثقافة، المغمورة بحماس قومي أصيل يسان ويتعزز باطلاعات مكثّفة ومعقّمة على شؤون وشجون أمتها السياسية والاقتصادية، هذه المرأة التي جمعت بيمينها الحسب والنسب والثروة والجاه، وبيسارها العلم والمعرفة ومواهب الشعر والفن، هذه المرأة نفسها، المتعددة المواهب، المتعددة الأمجاد، التي كان يظن بديهة، أنها زاهدة بالإعجاب، لكثرة ما حظيت به، وقفت، لتلقي كلمتها من فوق منبر الندوة، وكانت.. ترتجف.. تهيّأ!!

نعم.. أمام هذا الحشد الهائل من المفكرين والمؤرخين والكتّاب والصحافيين العرب، لم تكن سعاد الصباح ابنة «الصباح»، وزوجة المبارك، وأستاذة الاقتصاد في الجامعة، والشاعرة المبدعة، والمثقلة بنياشين الإعجاب

والتصفيق والتقدير. كانت وكأنها أستاذة متمرنة تقف للمرة الأولى أمام
لجنة لقدماء الأساتذة، تمتحن قدراتها على الحضور والتأثير والفعل
وانحنيت احتراماً أمام خجلها الشديد، واشتقت فوراً لفاطمة حسين، أسرّ
لها بفرحة ما شاهدت، وها أنذا أفعل.. ولو بعد حين

بطاقة معايدة إلى سيدة متفائلة!¹

رياض نجيب الرئيس²

سيدتي.. منذ أربع سنوات تماماً كتبت إليك أحسبك على تفاؤلك وأنت تقاومين في بيروت ليل القهر الطويل، وليل الظلم الطويل الطويل. وأنا في غربتي لا أعرف ماذا أقاوم! أقاوم إغراء الرحيل من بلد بارد، شوارعه نظيفة وصحفه حرة وأقلامه مشرعة، إلى بلد لا أعرفه على الخارطة، مناخه قاري وطقسه متقلب لم يكتشفه بعد لا الرحالة ولا المكتشفون.

بعد أربع سنوات، أضعتك. قيل لي إنك ملمت تفاؤلك أنت وباعة الأحلام عن أرصفة بيروت ورحلت، لعلك أدركت بعد عقد من الزمن أن بضاعة الأحلام لم تعد رائجة في وطننا العربي، وأن أحلامك وأحلامنا أصبحت مستهلكة. من منا يريد أن يرى الحلم نفسه كل ليلة؟ فكيف بالكوابيس؟ وتذكرتك هذا العيد، تذكرت عتابك من هجري لوطن عربي حزين ومهزوم، وتذكرتك هذا العيد، وأنا المسلم العربي يحتفل بعيد ميلاد الناصري الفلسطيني عيسى بن مريم مع أولادي وعائلتي وأصدقائي في عصر اليأس العربي الذي لم يعد فيه أحد منا قادراً على كتابة رسالة

1- مجلة المستقبل 5 يناير 1985.

2- صحافي وكاتب وناشر سوري من مواليد دمشق (1937 - 26 أيلول 2020) هو الابن الأول للصحفي نجيب الرئيس. عمل مع كامل مروة مؤسس جريدة الحياة الذي وفّر له فرصة العمل مراسلاً صحافياً في فيتنام عام 1966، وهي التجربة التي أكملها مع غسان تويني في النهار. وفي زمن الحرب الأهلية اللبنانية، غادر رياض إلى لندن. وفي عام 1977، أصدر جريدة «المنار» وكانت أول جريدة عربية تصدر في أوروبا. ثم أسس «شركة رياض الرئيس للكتب والنشر» سنة 1986.

حب أو تفاؤل. تذكرتك مع صاحب العيد الذي تكسرت نصال العالم على نصال جراحه، وذابت آلام الدنيا في صدره النحيل الرحب، وقد امتدت يده المدماة إلى البشرية تمنحها الغفران الدائم. وتذكرتك معه وأنت الرمز لكل ما في أعماقنا العربية من انكسار ومقاومة، وحزن وابتسام، وأمل ويأس، وانهييار وصمود، إلى أن تعبت من التفاؤل غير المجدي، وقررت الرحيل إلى عالم ينتظرنا كلنا. وعندما سألت صاحب العيد عنك يوم ميلاده قال لي: دع الموتى يدفنوا موتاهم.

سيدتي.. تذكرتك هذا العيد وأنا أقرأ قصيدة الشاعرة الكويتية سعاد الصباح وهي تقول: «كلما أبصرت في الحلم صلاح الدين يستجدي فتات الخبز في القدس.. ويستعطي على باب السيوف العربية.. كلما شاهدته في مركز البوليس، مرمياً على الحائط.. من غير كفيل أو هوية.. صحت في أعماق جرحي: أيها العصر الشعبي الذي صار فيه السيف يحتاج لإبراز الهوية!».«

وتذكرت كيف يمتحن إيماني بعروبتني في كل عيد، حيث لم أعد قادراً أن أخطب أحداً كعربي، قوميتي هي من نجد إلى تطوان، وهويتني هي فوق الشكوك، وولائي هو فوق التساؤل. لكننا نعيش، يا سيدتي، في عصر القطرية العربية والإقليمية العربية والطائفية العربية والعشائرية العربية والقبلية العربية. وكل مفردات التشردم التي يمكن أن يحبل بها قاموسنا العربي من المحيط إلى المحيط. نحن نعيش في عصر الشماتة العربية والخوف العربي والسقوط العربي والذل العربي والانهييار العربي.

ليس فينا من هو قادر أن يستل سيف صلاح الدين مصحوباً بقصيدة لعنرة ورسالة من زهير وعدل من عمر. ويعيد إلى هذه الأمة المضرجة

بالهزيمة، المملوطة بالكذب، المعجونة بالنفاق شيئاً من الصدق وشيئاً من الكرامة وشيئاً من الحرية، وأشياء وأشياء -مهما كانت صغيرة- من النصر. سيدتي.. لم يعد هناك من مكان لانكسار الآباء، وكما تقول سعاد الصباح: "كلما مر ببالي عرب اليوم بكيت.. كلما استجوبني بوليس قطر عربي عن تفاصيل جوازي عدت من حيث أتيت"، وإذا بنا -ونحن نبكي أو نعود من حيث نأتي- نبحت في أي جندي عربي عن خالد أو طارق، وفي أي نبيل عربي عن حاتم أو السموءل، وفي أي شاعر عربي عن خيال المتنبي أو الحمداني. لو تسألين يا سيدتي: كم واحداً منا نحن معشر الصحفيين والكتاب، يكتب بحماس أو يحلل بشغف أو حتى يقرأ بلذّة؟ ربما لا أحد. بعد اعتذار لكذب الكل أو البعض منا. هل تعرفين يا سيدتي كيف تطير الأفكار منا خوفاً من أن تتحول إلى هواجس؟ لو تعرفين كيف لا نريد الإبقاء عليها خوفاً من أن نضبط في أول مركز حدود عربي متلبسين بها. بل كيف نحيد عقولنا عن سابق تصور وتصميم، حتى صرنا نخاف النهار ونكره الليل. سيدتي.. تقول سعاد الصباح -وهي التي أثارت فيّ شجن الكتابة إليك: "والدنانير على الأقدام ترمى.. وعلى الأجساد تصطف القداح.. هكذا يا وطني، ترفع رايات الكفاح.. هكذا يبكي على الحائط سيف أثري لأبي.. هكذا من يأسه يبكي السلاح".

وهكذا من يأسنا يا سيدتي نبكي على فشلنا في كسر عقدة تاريخنا الدامي، بعد أن سقط جيلنا كله في مستنقع الفشل القومي. من أجل ذلك، ظلت سيوفنا في غير موضعها. سيوفنا التي لا تستطيع أن تحمي حرياتنا وكراماتنا وأرزاقنا. هي سيوف لا تستطيع أن تهزم أعداءنا. السيوف التي لا تعرف ما إذا كانت معدّة للسلم أو للحرب.. هي سيوف لا تعرف كيف تقاتل.

أليس الأفضل أن نمتلك سيفاً واحداً الآن بدل ألف قصيدة رثاء فيما بعد؟
وحتى تكون سيوفنا قوية ضاربة، يجب أن نكون نحن وراءها لا أمامها.
وحتى نكون وراءها يجب أن تكون أذرعنا الحرة قابضة عليها. السيّاف
المرتزق ليس سيداً حراً، بل عبد مأمور. والسيّاف لا يحارب، الأحرار وحدهم
يحاربون. عندئذ نكون قد بدأنا مرحلة بداية نهاية الضياع العربي. والتهيه
العربي يا سيدي، لا ينتهي إلا متى وجدنا مؤشر الحرية والكرامة، حين
ترتفع سيوفنا كلنا دفاعاً عن وطن ننتمي إليه، لا دفاعاً عن بيانات الإذاعة
والتلفزيون. وعندئذ.. يا سيدي، لن يبكي السلاح.

سيدي.. في عصر الذل العربي، طوي الفتح واستبيح الرعيل. وفي هذا
العصر أصبح تجار الهيكل أكثر وزناً وأكبر عدداً من كل السامريين الذين
عرفهم الناصري صاحب العيد في أيامه. الهيكل أصبح هياكل، وتجارة
الأوطان ازدهرت، والسامريون اختفوا، والمريدون الوطنيون والأتباع
القوميون تشرّدوا، فالأثمان لم تعد تحسب بثلاثين من الفضة. بل بأطنان
من الذهب، وأسعار العملات ارتفعت وأسواق الأسهم ازدهرت.
سيدي.. اعذريني -أنتِ وسعاد الصباح- فليس عندي من بطاقة معايدة
إلا قول للمتنبئ:

الحزن يقلق والتجمل يردع ** والدمع بينهما عصي طيّع..
ميلاد سعيد وسنة طيبة لأمة لم يعد فيها متحدث بلسانها الشجاع،
ولا حادٍ لقوافل أبطالها، ولا مغنٍّ لأيامها المضيئة.

مجموعة "فتافيت امرأة"¹

محمد الفايز²

يقولون:
إِنَّ الْكِتَابَةَ إِثْمٌ عَظِيمٌ..
فَلَا تَكْتُبِي
وإنَّ الصَّلَاةَ أَمَامَ الْحُرُوفِ..
حَرَامٌ
فَلَا تَقْرَبِي
وإنَّ مِدَادَ الْقَصَائِدِ سُمٌّ..
فإِيَّاكَ أَنْ تَشْرَبِي.
وَهَا أَنَذَا
قَدْ شَرَبْتُ كَثِيرًا
فَلَمْ أَتَسَمَّمْ بِجَبْرِ الدَّوَاةِ
عَلَى مَكْتُبِي

1- الأنباء 11 نوفمبر 1986.

2- شاعر وكاتب قصصي كويتي (1938 - 1 مارس 1991) له دواوين شعرية عديدة. يعد الفايز من أبرز شعراء منطقة الخليج العربي في مرحلة الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، وهو من جيل الوسط في الشعر الكويتي المعاصر، حيث سبقه جيل الرواد الذين عاشوا مرحلة ما قبل النفط، وشهدوا نشوء الدولة ونمو المجتمع المدني في بداياته

وها أنذا..

قد كتبتُ كثيراً

وأضرمْتُ في كلِّ نجمٍ حريقاً كبيراً

فما غضبَ اللهُ يوماً علي

ولا استاءَ مني النبي ..

بهذه البروق المكتوبة على الورق، وبهذه العاطفة النبيلة التي تناقش الحياة، أبدأ كتابتي عن ديوان الشعر الجديد، أو ولادة القصيدة الحديثة التي أكدتها الدكتورة الشاعرة سعاد الصباح لم يساعدني الحظُّ لقراءة دواوينها القديمة، ولكنني عندما قرأت مجموعة (فتافيت امرأة) تأكدتُ بأن هذه المجموعة تأكيد على شاعرية هذه المرأة الشاعرة التي تعيش الحياة ثم تكتبها، خلافاً لبقية الشعراء الذين يعيشون الكتابة، ولكنهم لا يعيشون الحياة.

ولكي أبرهن على مصداقية قولي أو إصراري على إعطائها لقب الشاعرة المبدعة فإنني أرجو من الشعراء أن يقرؤوا لهذه الشاعرة كي يتعلموا منها الشعر، اسمعوها تواصل نزيها المفرد

يقولون:

إن الكلام امتياز الرجال ..

فلا تنطقي!

وإن التغزل فن الرجال ..

فلا تعشقي!

وإنَّ الكتابةَ بحر عميق المياه

فلا تغرقني

وها أنذا قد عشقتُ كثيراً..

وها أنذا قد سبحتُ كثيراً..

وقاومت كل البحار ولم أغرق.

لقد أعادت الدكتورة سعاد بمجموعتها الأخيرة حالة الانبهار للقصيدة، كما أنها قد طمأنتنا نحن الشعراء الذين ابتلوا بالحزن، بأن الحزن سيد الشعر ومفتاح القصيدة، ولكنه يحتاج إلى موهبة كي يغرد ولكي يناقش ولكي يمنح التنفس للذين قد أغلقت صدورهم ونوافذهم، ولقد مكثت القصيدة الحديثة خارج الأبواب تحاول الدخول إلى الكهف المملوء بالعظام والأشباح والأسماء القديمة، وعندما تمكنت من اجتيازه وخرقه رفضته ورفضت نواحيه لكي تُنشئ لها أفقاً جديداً يلائم المرحلة الزمنية التي تمر بها مجتمعاتنا العربية

ومن خلال قراءتنا لقصائد الشاعرة مع بعض القصائد التي كتبها السياب في أواخر أيامه، وكذلك نزار قباني وأدونيس وصلاح عبد الصبور، أدركنا شرعية القصيدة الحديثة وتمكنها من استيعاب الحياة ومناقشة الواقع. ولنعد لمواصلة الرحيل إلى ذلك الأفق مع الديوان، أو اللؤلؤة الجديدة في عالم الشعر الحديث:

يقولون:

إني كسرتُ بشعري جدار

الفضيلة.

وإنّ الرجال هم الشعراء

فكيف ستولد شاعرة في

القبيلة؟؟

وأضحك من كلّ هذا الهراء

وأسخر ممن يريدون في عصر

حرب الكواكب

وأدّ النساء.

وأسأل نفسي:

لماذا يكون غناء الذكور حلالاً

ويصبح صوت النساء رذيلة؟

ما أقرب حزنها من البيان والفصاحة! ألم أقل لكم في بداية كتابتي بأن الحزن يستطيع أن يكتشف اللسان الملائم لأبعاد قضيته، فالشاعرة تصرخ من خلال معاناتها كامرأة شاعرة، وما أقربها بالخنساء، إلا أن القضية تختلف، فمشكلة الخنساء.. صخر، أما مشكلة الدكتورة الشاعرة فهي الخنساء ذاتها: المرأة التي تناقش الرجل المصّر على بقائه بقفصه القديم الذي أوشك أن يرتطم بصخرة الواقع.

ولا أدري هل نقد الشعر يرجع للشعر ذاته بما فيه من صور وإيحاءات أم بما تتناوله القصيدة من مواضيع مهمة لا يستطيع الحديث عنها كل شاعر؟ ولقد استطاعت الدكتورة سعاد بمجموعتها الجديدة هذه أن تكتشف اللسان الجديد للقصيدة التي بقيت فاعرة فمها بلا لسان. وإلى لقاء آخر مع ديوان الشاعرة الفاضلة

الدكتورة سعاد الصباح.. الأهازيج والحزن!!¹

فؤاد الهاشم²

«الأعماق» شيء.. لا تلمسه!!

«الضمير» شيء.. لا تلمسه!!

«الوجدان» شيء.. لا تلمسه!!

«الإحساس» شيء.. لا تلمسه!!

«الكمال».. هنا بيت القصيد!!

«الكمال».. أسطورة نحلم بها!!

«الكمال».. كلمة نحلم بوجودها!!

ما قلناه الآن.. أمر!!

ما سوف نقوله.. أمر آخر!!

«الأعماق» شيء.. نحسه!!

«الضمير» شيء.. نشعر به!!

«الوجدان» شيء.. نلهث وراءه!!

«الإحساس» شيء نعيش معه!!

1- الأنباء 17 فبراير 1987.

2- صحافي (17 أبريل 1952) وهو كاتب عمود (علامة تعجب!) في جريدة الوطن الكويتية، بدأ الكتابة الصحفية منذ مطلع ثمانينيات القرن الماضي وتحديداً في عام 1981 بمجلة (آفاق) الجامعية. وتتميز كتاباته بأسلوب النقد الساخر

«الكمال».. ما زال أسطورة نحلم بها!!
«الكمال».. ما زال كلمة نحلم بوجودها!!
«الشعر».. موهبة رائعة!!
الموهبة الرائعة.. هبة من الله!!
الشعر روعة.. والله واهبه!!
كنت لا أحب الشعر الحديث!!
وأيضاً.. لا أهضم.. نثره!!
جاهرت بذلك مراراً.. وتكراراً!!
كفرت به شعراً.. ونثراً!!
أمس الأول.. حضرت أمسية!!
الأمسية «شعرية حديثة»، ففعلتها.. وذهبت!!
في الدقائق العشر الأولى.. كان غضبي!!
في الدقائق العشر الثانية كانت فورتي!!
في الدقائق العشر الأخيرة.. «صبأت»!!
«صبأت» بالشعر الجاهلي الذي آمنت.. به!!
بقصائد الشاعرة سعاد الصباح، شعراً كانت أم نثراً، بأحاسيسها الصادقة
وهي تلقيه؛ عندها.. أصبح للأعماق والضمير والوجدان والإحساس أجسام
نحسها ونسمع.. أصواتها!!
هل تحلمون.. بالكمال؟! لقد تحول الكمال إلى امرأة.. شاعرة!!

بصراحة مطلقاً..¹

سعيد حبيب²

كنت أعتقد دائماً أن الروائية المصرية العربية "جاذبية صدقي" هي أفصح وأصرح وأوضح من عبّرت عن المرأة العربية، وكنت أظن أن جاذبية هي الوحيدة التي يمكن أن نعتبرها مبدعة الأدب النسائي أو أدب المرأة وقرأت بعد جاذبية صدقي للكثيرات.. حنفية فتحي، نوال السعداوي، غادة السمان، وغيرهن ممن لم تعد الذاكرة التي ضعفت تذكهن. ولكنني ظللت كقارئ -فأنا بالمناسبة لا أفهم في النقد الأدبي- وبالمناسبة كذلك لا أعرف كيف أقرأ القصائد الحديثة التي كما أورد أمثلة منها الزميل الدكتور محيي الدين اللاذقاني قبل يومين في عموده "طواحين الهواء" على غرار "باضت الحمامة على ذيل العقرب"، و"غصت البعوضة بالنبيذ"، و"ارتديت سروال الدهر المثقوب"، و"أودعت أسراري في عيون الحدأة التي هجرها حبيبها"

على العموم فإن مثل هذا الشعر هو الذي ألزمني حدودي، إذ قررت أنني لا أفهم في الشعر، وهذا لا يعينني، بينما قد يعيب شعراء الحمامة

1- مقال منشور في صحيفة العرب التونسية بتاريخ 8 مارس 1990.

2- كاتب وصحفي مصري ولد عام 1935 وتوفي عام 1992، التحق بكلية الآداب قسم الصحافة، ولم تمر سنوات الدراسة الجامعية عليه بالدراسة فقط، بل مارس من خلالها شغفه بأمر السياسة من خلال نشاطات اتحاد الطلبة بالكلية والجامعة، وعرف عنه أنه "نصير الغلاية"، حيث نشأ وترعرع في أزهى سنوات ثورة يوليو 1952 وجنى ثمارها وآمن بقائدها وأصبح ناصرياً قلباً وقالباً. بدأ العمل محرراً بأخبار اليوم، وكان عضواً بارزاً من أعضاء نقابة الصحفيين. وله كتابان الأول بعنوان "الخطر الناصري"، والثاني "إعدام صحفي"

التي باضت على ذيل العقرب أنهم يقولون كلاماً غير مفهوم وربما كانت هذه الجملة الاعتراضية غير خارجة عن مضمون ما أردت أن أقوله اليوم من أنني كنت أعتبر جاذبية صدقي هي أفصح وأصرح وأوضح من عبّرت عن المرأة العربية في فن الرواية والقصة القصيرة، أما في الشعر فإنني لم أستطع أن أتعرف على شاعرة واحدة يمكن اعتبارها امرأة شاعرة، ولسوء الحظ فإن عقدة ”باضت الحمامة على ذيل العقرب“ قد باعدت بيني وبين الشعر الحديث، فقررت أن لا أقرأ إلا لنزار قباني، وكفى الله القراء شر شاعر البطّيح الذي كتب عنه الدكتور محيي الدين اللاذقاني في نفس العمود أنه لن يذكر اسمه حتى لا تسارع الجماهير إلى رجمه بالبطّيح، وهو صاحب قصيدة يقول فيها: ”خدك يا حبيبتني حز من البطّيح ورأسك يا حبيبتني بطّيحة ناضجة“.

كانت هذه باختصار رؤيتي لأدب المرأة تمثله جاذبية صدقي الروائية العربية المصرية الكبيرة في فن القصة.. أما في فن الشعر فإنني لم أر واحدة تقول شعراً كامراً وإن كنت قرأت شعراً بقلم امرأة، يمكن أن يصدر عن قلم أرجل الرجال.

وهكذا فلقد قررت أن أكتفي من الشعر كله بما يبدعه نزار قباني، ونسيت أن في الدنيا شاعراً غيره حتى ذلك ”الأشهر“ ”الأفهم“ ”الأخطر“ ”الأعمق“ أدونيس!

ونسيت مسألة شعر المرأة -عفواً- أو تناسيته -عمداً- إلى أن قرأت شعراً لا يمكن أن تكتبه غير امرأة عربية، وكانت المفاجأة أن هذه المرأة العربية هي كاتبة أثارت إعجابي الشديد بتحليلاتها الاقتصادية والسياسية كخبيرة تفهم مادتها جيداً، وتعرف كيف تقدمها للقارئ غير المتخصص سهلة

مفهومة وغير ملغومة

وكنت قرأت مرة قصيدة للسيدة الدكتورة في الاقتصاد السياسي عن عبدالناصر، فأحسست بأنها قريبتني فأحببتها، ولكنني ظلمت على إعجابي بها ككاتبة في الاقتصاد السياسي لا تبارى، إلى أن صحت كما قد صاح نيوتن: وجدتها وجدتها.. لقد وجدت امرأة شاعرة، امرأة تقول شعراً لا يقوله رجل، ولا تبدعه أي امرأة.. وجدت المرأة الشاعرة التي تقول إنها امرأة وشاعرة صاخبة.. ولا تبارى.

أنا امرأة

لا تُشابهُ أيَّ امرأة

أنا البحرُ.. والشمسُ.. واللؤلؤة

مزاجي أن أتزوجَ سيفاً

وأن أتزوجَ مليونَ نخلة

وأن أتزوجَ مليونَ دجلة

مزاجي أن أتزوجَ يوماً

صهيلَ الخيول الجميلة..

فكيف أقيمُ علاقةَ حبٍّ

إذا لم تُعمدَ بهاءِ البطولة؟

وكيف تُحبُّ النساءُ رجالاً

بغيرِ رُجولةٍ؟؟

أوه.. هذه امرأة تقول شعراً لا تقوله غير امرأة.

لقد وجدتھا.. إنها الدكتورة سعاد الصباح التي ظللت لنسياني مسألة
شعر المرأة -عفواً- أو تناسيَّ له -عمداً- أظن أنها كاتبة تعرف كيف تصل
إلى القارئ العادي بأعقد النظريات الاقتصادية، فإذا بي أكتشف أنها المرأة
الشاعرة.

دكتورة سعاد الصباح، على البعد أشد على يديك.. يا امرأة شاعرة،
وآسف أننا لم نلتق من قبل.. مع أننا أقرباء من أسرة عبد الناصر، ومع
أنني كنت أبحث عن امرأة شاعرة.

دموع سعاد¹

صالح الحاجة²

عشية السبت الماضي كانت من أحزن العشايا التي عشتها!
كنت حزيناً إلى حد الجنون، وكنت أحاول أن أمنع نفسي من البكاء..
وتمنيت لو كنت وحدي فأبكي بكل حرية.. ولكن لأن الرجال لا يكون في
الوطن العربي أو لأن البكاء لا يليق بالرجال، فلقد بذلت جهداً لا يعلمه
إلا الله حتى لا أبكي.. ولكن مع ذلك كنت بداخلي أبكي.. أو أن داخلي كان
هو الذي يبكي!

أما المناسبة فلقد كانت الأمسية الشعرية للشاعرة الكويتية سعاد
الصباح.

لم تكن أمسية شعرية.. وإنما كانت موعداً مع التاريخ العظيم الذي
راح.. ومع الواقع العربي الذي يصرخ.. ومع الإنسان العربي الذي أرهقته
الأحزان.. والأشجان، وصار شجرة كل مواسمها حزينة.. وما حولها جفاف..
وفوقها سماء لا تمطر، ومع الأبطال الذين ذهبوا ولم يعودوا.

هل قالت سعاد الصباح شعراً؟

هل غنت هذه الشاعرة كما هو مطلوب من الشعراء؟

هل جلسنا إلى شعر فيه خيال.. وأجنحة نظير بواسطتها إلى مدن أخرى..

1- جريدة الصباح التونسية 13 مارس 1990.

2- كاتب وصحافي تونسي مؤسس جريدة الصريح سنة 1995 ودار الإرادة، كتب في العديد من الجرائد على غرار
صاحبة الجلالة والمسيرة والصباح والرأي العام

وإلى أيام لم تأت؟ الشاعرة فعلت ذلك ولم تفعل!

فعلت عندما صورت ورسمت وسجلت.

ولم تفعل عندما أرغمتنا على العودة إلى ما بالنفس.. إننا نحاول أن ننسى.. أن نوهم أنفسنا بأن الدنيا العربية مركبة تسير باتجاه القمر.. ولكن الشاعرة أعادتنا إلى الواقع.

باختصار.. بشعرها أسقطت الشاعرة ورقة التوت وهي الورقة الوحيدة المتبقية التي تغطي كل العورات العربية.

كانت سعاد في هذه الأمسية تقول وتعيد القول إنها كلما تطلعت إلى الواقع العربي بكت.. وكلما استمعت إلى الإذاعات العربية بكت.. وكلما وقفت أمام حراس الحدود بكت..

وكنا نستمع إليها ونحن نغالب الدمع.. ونتساءل: ما جدوى البكاء.. وما نفع الدموع في وطن أصيب بالعمى من كثرة البكاء..؟

إنه عصر النواح وتضخم الجراح!

صوت بدوي يصرخ للمرأة وللعروبة¹

آمال مختار²

أعلنت إحساسها بالخوف، وهي تلقي شعرها في حضرة جمهور رجالي ابتسم الجميع، وربما بعث هذا الاعتراف في نفوسهم مزيداً من كبرياء الرجال، ولكنني تساءلت: هل هو اعتراف تلقائي يؤكد رأي من يزعم ضعف المرأة أمام الرجل أم هو ذكاء امرأة شاعرة أرادت أن تجعل جمهور الرجال يصفقون لها وبحرارة؟

وفعلاً صفّق لها طويلاً، واهتز لكلماتها، والحقيقة أن هذه المرأة الشاعرة تستحق هذه الحرارة، ولكن لأسباب قد تختلف عن تلك التي صفّق من أجلها الجمهور الذي حضر الأمسية الشعرية التي أحيتها الشاعرة سعاد الصباح في دار الثقافة "ابن خلدون".

عندما رأيتها رأيت فيها أنثى بدوية لم تغير الإمارة والحضارة من صفائها ونقائها وحذقها وتلقائيتها. رأيتها خجلة مرتبكة بعض الشيء، وبخاصة أنها تقول كلاماً عن الحب والعشق والرجل، وبقدر ما كانت أنثى في قصيدتها «يا سيدي» حيث رسمت العلاقة بين المرأة والرجل علاقة عشق مجنون وجميل بقدر ما كانت متطرفة في قصيدتها «كن صديقي»، فهي تدعو

1- جريدة الصباح التونسية 14 مارس 1990.

2- كاتبة وروائية تونسية، نشرت أول رواية لها "نخب الحياة" سنة 1993 في دار الآداب ببيروت، ونالت عليها جائزة الإبداع الأدبي لوزارة الثقافة لسنة 1994. ومن أعمالها الروائية أيضاً: "الكرسي الهزاز" سنة 2002، و"المايسترو" سنة 2006، التي حصلت من خلالها على جائزة لجنة التحكيم لمسابقة الرواية التونسية الكومار الذهبي

الرجل في هذا القصيد إلى أن يهتم بعقل المرأة ويتجاهل أنوثتها، وهي بذلك تلغي ما يجعل المرأة امرأة، وهي الأنوثة، وتجيب تطرف الرجل الذي لا يرى عقل المرأة وإنما يرى الأسورة في معصمها بتطرف الآخر، وكم كنت أود أن تكون دعوتها للرجل بأن ينظر إلى عقل المرأة وهي أنثى كاملة الأنوثة بزینتها وأساويرها وعطورها، وعندها يحدث التوازن الذي نحكم به، وتنتهي المعركة الوهمية التي أذكت نارها المرأة.

أما عندما اهتمت سعاد الصباح بالسياسة والعروبة في قصائدها فقد استطاعت أن تضع يدها على مواطن الوجد العربي، وهي بكلماتها البسيطة وبصدقها المدروس شدت الانتباه.

وأعلنت بجرأة الأميرات عن الآلام والأحزان التي اجترتها العروبة في صمت، ولعل الجديد الذي أضافته سعاد في كشفها عن الأوضاع العربية هو أسلوبها الأنثوي، فهي تبكي عندما تستمع إلى الإذاعات العربية، وتبكي عندما تشاهد ما فعل النفط بوطنها الكويت، وتبكي عندما تسد الحدود العربية أمامها، وتبكي وفي بكائها وفي دموعها إعلان لهذا الخطر الذي يحرق بالوطن العربي، وقد رددت في قصيدتها كلمة «بكي» عدة مرات، وكل تلك المواضيع السياسية أو تلك الجراح التي نبشتها سعاد أنست الجميع أن يهتموا بتقنيات الشعر، وارتعاشة صوت سعاد وعلاقتها مع كلماتها كانت تؤكد ذلك، وتعكس شخصيتها التي كانت تحت الأضواء واضحة وبارزة.

ويبقى أجمل ما في سعاد إصرارها على أن تكون شاعرة ومبدعة مهما كانت موهبتها، ومهما كانت متاعب الإبداع وعذابات.

وبالرغم من كل شيء، ومن كل الاتهامات التي وجهت لسعاد، وبقطع

النظر عن طاقاتها الإبداعية فإن سعاد استطاعت أن تشق الصمت، وأن
تصرخ بأعلى صوتها لا عن أوجاع المرأة وأحزانها وأفراحها، بل وعن أوجاع
العرب والعروبة..

أصالة امرأة عربية¹

محمد البرجس²

هي امرأة تعشق العروبة والعرب.. وترى أن وفاءها للأصالة العربية هو وفاؤها لذاتها ولوجدانها، فهي عربية من نسل عربي؛ كتبت عن هموم العرب، وكتبت عن شجونهم، وشؤونهم، واتهموها بالعديد من الصفات، ولم تأبه، ولم تستكن، ولم تتردد، فهي تؤمن بما تكتبه، لأن قلمها لا يكتب إلا شعورها الصادق، ولا يترجم حبرها إلا الأحاسيس النقية الصافية كصفاء مياه الخليج

هي امرأة تجيد التحدث بنعمة ربها، وناfst يمينها شمالها في تقديم الخير لكل من يستحق الخير..

وكانت تحرص على أن تسعد كل كبد رطبة، وفي الأزمة الأخيرة لوطنها الكويت كشفت عن أصالتها المعهودة، فقدمت من دون كلل أو ملل، ولم يسعدها شيء في حياتها كالسعادة التي تشاهدها على وجوه أهلها وأبناء وطنها ممن يستحقون العون والمساعدة عندما تقدم لهم ذلك، استأجرت ساعتين من البث الإذاعي في لندن لصالح الكويت، وتبرعت للعديد من اللجان التي تخدم وطنها، وتكفلت بمصاريف كل المطبوعات والمنشورات التي تتحدث عن قضية وطنها الغالي، وهي سعيدة بذلك من

1- جريدة السياسة الكويتية - 6 يناير 1991.

2- كاتب صحافي كويتي، عمل محرراً صحافياً وكاتباً في عدد من الصحف الكويتية، ثم أنشأ جريدة خاصة به حملت عنوان (السبق)

أجل عيون الكويت

هي اليوم تنطلق بمفهوم جديد في الكتابة، ينادي بتطهير الكويت من الغزاة، وهي تتألم لأنها «خدعت» بمن «مدحته» في يوم من الأيام.. فلقد غدر بوطنها، وخدع كل العالم كما خدع وطنها الذي قدّم له كل شيء.. ولكنه تنكّر لكل شيء!

الدكتورة سعاد الصباح تكتب اليوم بأصابع الإرادة الكويتية القوية وحروف الألم لغزو وطنها، والتي كتبت بها أحدث ديوانين لها، وهما «برقيات عاجلة إلى وطني» و«هل تسمحون لي أن أحب وطني».. في حروف من نور لا يكتبها إلا الشرفاء الذين يعشقون النور

فارسفة فف ففدان القتال.. ونجمة فف قصائد الوجدان¹

نفلى محمد صالح²

لعل المرثحل داخل العالم الشعرف للشاعرة الدكتوراة سعاد الصباح من خلال قصائدها وكتاباتفا قبل وبعد فففة الاحتلال فكتشف دون عناء أن أهم معالم هذا العالم هو حب الوطن الذي فحتل مساحة كبفرة فف عالمفا الشعرف؁ بل فنه فحتل القمة باعتبارفه الملاذ الأول والمرفأ الأول الذي تلوذ وترتاح بفن أحضانه بعد طول الترحال فف الصحارف والففافف والجبال والبحار

ففهف تمثل رافداً من روافد الأدب والشعر فف ساحتنا العربفة ففث انطلقت بقدراتفا الإبداعفة خارج الحدود الإقلفمفة فف الكوفت ومنطقة الخلفج والوطن العربف والعالمف تتوجع لقضافا وطنفا الكوفت وللقضافا العربفة.. فجاهر بالحق والعدل.. تصرخ للباطل والظلم.. فدافع عن الأم والوجع العام السارف فف أوصالفا.. فناصر قفم الخفر والجمال.. تعرف ففداً أن للثقافة والفكر والشعر رسالة إنسانية.. وأن الشاعر والأفب هو مرآة

1- الوطن الكوفتفة 26 نوفمبر 1991.

2- ولدت عام 1957؁ أطففة وباحثة وكاتبة قصصفة كوفتفة؁ تُعد أول من بحث ووثق لكتابات المرأة فف الكوفت والخلفج العربف؁ حصلت على بكالورفوس الآداب فف اللغة العربفة من جامعة بفروت؁ وحصلت على دكتوراه شرف فقففرفة عالمفة من جامعة الحضارة الإسلامفة المفتوحة فف تخصص الدراسات الأدبفة والبحوث من كلية التراث والآداب عام 2006؁ وعلى دفلوم الدراسات العليا من جامعة الكوفت عام 2007 م؁ كما نالت الماجسفر من جامعة الكوفت عام 2008 عن رسالفا «علاقة المكان بالزمان فف قصص المرأة الكوفتفة». عملت فف وزارة الإعلام الكوفتفة كاتبة ومعدة برامج ثقاففة وأطففة وإعلامفة؁ وساهمت فف كتابة عدة برامج منها «أمسفة الأربعاء»؁ وهف عضو فف رابطة الأدباء فف الكوفت؁ ورابطة الاجتماعفف؁ وجمعية حقوق الإنسان؁ والمجلس الأعلى للمعوقف؁ والجمعية الثقافية النسائفة؁ وجمعية الصحاففف الكوفتفة

صادقة لواقعه الاجتماعي والثقافي والإنساني.

قصائد الوطن

الشاعرة الدكتورة سعاد الصباح غنت للوطن.. الوطن الكويت هو المحطة الكبرى على خريطة طموحها وأحلامها.. تقول الشاعرة: “كلما شردتني الرياح، وتعقبنتني العاصفة، وتقاسمتني الدروب، أعود إلى أحضان أمنا العظيمة الكويت وأختبئ في جوف أول صدفه تقابلني على شاطئ البحر”

في قصائد الوطن تعشق الشاعرة سعاد الصباح الكويت حتى النخاع، تستحم في بحرها، وتتكحل بذرات هوائها، وتتعطر بطيب صحرائها، وتستظل تحت خيمتها، تقول في قصيدة ”وردة البحر“:

كويت كويت

أشيلك حيث ذهبت حجاباً بصدري

أشيلك برعم ورد بأعماق شعري

أشيلك في القلب وشماً عميقاً

لآخر آخر أيام عمري..

الدكتورة سعاد الصباح شاعرة وجدانية وسياسية وباحثة اقتصادية.. وهي فارسة من فارسات الكلمة العربية المبدعة، التقت في شخصيتها قيم النبل والشهامة والإحساس بآلام الإنسان وهمومه.. وبآمال الإنسان وطموحه.. قصائدها مزيج من الشاعرية والفكر والتجربة والرؤية المحسوسة والتفكير الناطق الذي تصب فيه هموماً معاصرة.. ذاتها في عواطفها وانفعالها وأحاسيسها ورؤاها والتصاقها بالهم العربي والقومي والإنساني

في هذه الأبيات توضح الشاعرة من خلال عشقها للوطن دور الكويت القومي العربي، لأن الكويت كانت ومازالت واسعة للجميع: أهلهم ووطنهم وإطفاء حرقتهم.

لقد جاء الغزاة الطغاة كي يقطعوا اليد التي كانت تساعدهم وتؤازرهم، فكانت الصدمة عليها عنيفة وهي ترى كارثة انقلاب الجار الصديق إلى عدو غاز بربري، وهي الشاعرة العربية التي حملت الكويت في صدرها وعيونها ورموشها.. وهي الشاعرة الأصلية التي طالما تغنت بالعروبة وبالحنن العربي والدفاع عن الظلم والطغيان وكيان الإنسان.

لقد كانت الحرقه تأكلها وهي ترى الغزاة يمزقون جسد الكويت، ويتركون آثاراً مدمرة في النفس الإنسانية والبنية الحضارية.. ويحدثون عدة شروخ في الجسم العربي، وهي أعمال تنافي الأخلاق والقيم، بل إنها ضد الفكر العربي وضد الأمة العربية جميعها، وليست فقط ضد الكويت وحدها. حينها صرخت الشاعرة بأعلى صوتها متفاعلة مع قضية وطنها. حملت أحزان الوطن المقهور أينما رحلت وأينما حلت.. ونذرت ببطولة دمها وقلمها ومالها ووقتها من أجل إعادة وطنها الكويت حراً أبيعاً.

لقد تطوعت الشاعرة الدكتورة سعاد الصباح منذ الساعات الأولى للغزو، ووقفت مع أبناء بلدها واحة كل ما تملك من قدرات معنوية ومادية تحت تصرف قضية الكويت العادلة.. وإيصال صوت الحق إلى المحافل الدولية.. أقامت الأمسيات الشعرية، ووقفت على فوهة بركان حارقة تلقي الشعر.. فكان لأبياتها ومفرداتها طعم الدم والحرقه والغضب.

تقول وهي تتساءل بغضب اللهب:

من قتل الكويت؟

ينفجر السؤال في عقلي وقلبي

كنهر من لهب

كيف تموت نخلة بلا سبب؟

هل أعجمي يا ترى قاتلها؟

أم عربي جاء من أرض العرب؟

في قصيدة "سوف نبقي واقفين" تؤكد الشاعرة قوة وعزيمة شعب الكويت وإصراره على الوقوف يداً واحدة رغم همجية الاحتلال وعنف الدبابة

سوف نبقي واقفين

مثل كل الشجر العالي سنبقى واقفين

سوف نبقي غاضبين

مثلما الأمواج في البحر الكويتي

سنبقى غاضبين

أبدًا لن تسرقوا منا النهارا

أيها الآتون في الفجر على دبابة..

من رأى دبابة تجري حواراً؟

إن محاولة شطب الكويت من التاريخ هي محاولة مستحيلة، ومهما كان الخراب كبيراً والجرح عميقاً والأساليب متوحشة فسوف يعود الكويتيون إلى الكويت لينوها جبراً حجراً، ونخلة نخلة، وموجة موجة، ومثذنة مثذنة، كما تقول الشاعرة بلغة جميلة وتفاؤل جميل وإيمان قوي

سير حل المغول

عن كل شبر طاهر من أرضنا

سير حل المغول

ويرجع البحر إلى مكانه

وذلك بفضل تلاحم رجالها ونسائها وإخلاص قيادتها والتحام أبنائها الذين
جمعتهم قيمة برزت فوق كل القيم، هي قيمة الوطن الحبيب الأكبر

سيدة الإبداع والحزن الثاني

وبعد الحزن الكبير للوطن الغالي جاء الحزن الثاني للشاعرة سعاد الصباح
لوفاة رفيق حياتها فقيد الكويت الشيخ عبدالله المبارك الصباح. لقد
واجهت الحزن بالصبر والإيمان وهي القوة المؤمنة التي وقفت وتقف
في وجه أشد العواصف عنفاً في هذا الزمن الرديء الذي لا يريد أن يكف
عن أن يصيبنا بالأحزان المتتالية.. فكانت قصيدتها الرائعة ”آخر السيوف“،
وهي قصيدة رثاء في زوجها ورفيق دربها كتبتها بتعبير صادق وبمفردات
ملائمة لمشاعر الوجد والتوجع في مجاوبة فنية عميقة الترابط من حيث
الانسجام الفكري والعاطفي واللفظي والالتزام بقواعد اللغة والخصائص
المحكمة. تقول وهي ترثي سندها الذي فرش الدروب لها بالحب والحنان
وبنجوم العلم والخير والعطاء

وَجَزِيرَتِي.. وَالشَّاطِئِ الْمَسْحُورِ
سَيَلُّمٌ بَعْدَكَ دَمْعِي الْمُنْثُورِ؟
فِي اللَّيْلِ أَسْمَعُ صَوْتَكَ الْبَلُورِ
صَارَ الزَّمَانُ حَدَائِقًا.. وَعَبِيرًا

أَبَا مُبَارَكٍ.. كُنْتَ أَنْتَ قَبِيلَتِي
يَا خَيْمَتِي وَسَطَ الرِّيحِ، مَنْ الَّذِي
يَا مَنْ ذَهَبْتَ، وَمَا ذَهَبْتَ، كَأَنِّي
أَنْتَ الرَّبِيعُ.. فَلَوْ ذَكَرْتُكَ مَرَّةً

أَبَا مُبَارَكْ، لَوْ هُنَاكَ مَدَامُعُ
مَنْ ذَا يُغَطِّيْنَا بِرِيْشِ حَنَانِهِ؟
تَكْفِي.. لَفَجَّرْتُ الدَّمُوعَ هُورَا
مَنْ يَمَلَأُ الْبَيْتَ الْكَبِيرَ حُضُورَا؟

بعد الأحزان

ها هي الشاعرة سعاد الصباح كعهدنا بها أبداً تقوم بدورها الكبير بعد كل الأحزان الكبيرة دون أن تنتظر تصفيقاً أو تشجيعاً، فهي تساهم بهدوء وإيمان مساهمة فعالة بكل عمل خيري يقدم لعائلات الشهداء والأسرى والمفقودين.. هدفها خدمة وطنها ومجتمعها وإحساسها بدورها كإنسانة ومواطنة. إنها صورة مشرقة للمرأة الكويتية بعلمها وخلقها وشخصيتها التي تجمع بين الهدوء والرقّة.. الأمل والتحدي.. الحب والإيمان.. العزة والتواضع.. النبل والأصالة

المهام القادمة

إن أمام المثقفين مهاماً جساماً في تضييد الجراح العربية، وهي أن ينظروا إلى المستقبل نظرة واحدة تتضمن قدراً كبيراً من التضامن والتوجه نحو بناء الإنسان العربي الذي دمرته المحنة وهو لا حول له ولا قوة، وأن ييثوا من جديد روح الثقة في نفوس المواطنين العرب، ولاسيما أن الشاعرة قد تبنت هذه القضية منذ ديوانها الأول "أمنية" 1972م وحتى ديوانها الأخير "برقيات عاجلة إلى وطني".

إن أمام الشاعرة سعاد الصباح مهام صعبة، أهمها الالتزام بقصائد تنهض بالأمة وتعالج القضايا الاجتماعية والإنسانية.

أيضاً عليها أن تعيد توهجها المتألق، فتنقلنا إلى قصائد الحب التي تخاطب أعماق الإنسان ووجدانه لأنها مليئة بالحب والصفاء والنقاء..

قصفائءها أغففاف صاءقة للوءءان.. للءفاة.. للأمل.. للفسامء.. للوفاء..
للءرففة.. للسلام.. لكل ما فف الوءوء
علفها أن فوافل.. فوافل.. فوافل.. فاف المنفهى.
سعاء الصباء.. شكرأ كففراً لءزنك أففها الشاعرة الفارسة الفف طالما سمعنا
صهفلك الصرفء الذى أشبعنا وءعأ وألماً فف أفاف عصففة مظلمة نرف ففها
الءم فاف فءررف الأرض وأنف فسقفنا الأمل الأخضر ءرعة ءرعة
والآن ومن أجل إعاءة الفرف الكفر نحن بانفظار قصفائءك الوءءانفة
المفعمة بالرفة والشفاففة والرهافة والمطر الوءءانى الءالم

في البدء كانت الأنثى¹

خلدون زينو²

الشاعرة د. سعاد الصباح فتت ذاكرة التوت واعتنقت شجرة التفاح
الوحيدة ونضجت فيها: "أصرخ: أحبك، فيترك القمر بيته وزوجته وأولاده
ويندس تحت شراشفي"

وبعدما أطلقت نفسها في خمس رصاصات على الرائحة والصوت
والمقعد والجريدة والسلسال الذهبي أزهرت "هي" لتعود وتنثر البدء
الأنثوي في قصيدة حب تكتظ بالأحلام والألم والحسرة والتطهر والانتماء
العنيف، لتعلن التوحد اللانهائي مع الحبيب من أبسط تفاصيله إلى تخوم
الماوراء في تكوين «استعجل» تحطيم الحواجز، فبدأ بنفسه ولغته ورغباته
عبر «زفة» تواكب فيها الحنان الميثالوجي الحسي والثقافة مع البساطة
الغرائبية لـ "الطقس" المعاصر القائم بالفعل وشهادة النص والخيال، حتى
كأن غيماً "كثيماً" طويل الصبر والبال والأسى أراد أن يلثغ، فانهمر بغته
وبكل اللغات، إلا أنه احتفظ -لغويًا- بقليل من الحذر، وقليل الشعراء
كثيرٌ.

«في البدء كانت الأنثى» قصائد في قصيدة للشاعرة سعاد الصباح، جاءت
بياناً شعرياً اعترافياً شفافاً وجارحاً يواجه أطلال الهزائم بما سبق كتمانها

1- السياسة 4 أكتوبر 1994.

2- شاعر وكاتب وإعلامي سوري.

من الحب والمحبة والحياة ومخبوء اللغة والمدن والأزقة والذكريات، وحضرت فيه الصوفية في ثوب مترف ومستلهم بالقصد أو الحالة: "لا تمش إلى جانبي على ضفاف بحيرة اليمان حتى لا تظن البحيرة أنني «نسختك الثانية». وفي الذاكرة: أنا من أهوى ومن أهوى أنا".

بيان أنثوي متدفق يتمنى "الولادة"، يحب الرجل ولا يقاصه بما اقترف الاقتصاد والسياسة والسلطة والفقہ النفعي والحروب والفوارق، ولا يدعو إلى الثأر من أجل المساواة لأنه يعيش نرجسيته التاريخية الحقّة والحلوة في أن الأنوثة كانت أصلاً وأولاً وبدءاً، وهو بقدر ما يشكو فإنه يفخر ويعتد وينتشي في لحظة العطاء: "لو رميت نفسي من قمة هذا العالم، لأتخلص من أفيون حبك لوجدني الناس ممددة بين ذراعيك".

وفي المكان يعيد صياغة جغرافيا الموقف: "لا أسمح للقبيلة أن تتدخل بيني وبينك، أنت قبيلتي...!"، وتطير العاشقة العربية التي "تشوى على نار الفحم" بين الطلب والصمت والتكرار والنزق الدفين و«تصفية الحساب» مع ركام خانق من القيم والمصائر وأقانيم السلوك، وكلما تكونت في الحبيب هدمت منها ومنه و"صيرتهما" كما يشاء الخيال الرغائبي التطهري الطفل في ثقة كاملة بالغدو مذهلة بالواقع إلى درجة إعلان العصيان المدني والعسكري والسياسي في مواجهة مفردات الإذلال التي أصبحت "عادة".

تنسج سعاد الصباح بريق -أو منديل- الأنوثة العاشقة قتلوح وتغطي به ولا تستسلم في زناناته: "قل لي: أحبك.. أحب من يحك لي جلد أنوثتي".

وعلى الرغم من بهجة التوحد والانتماء والتغاير فإن الألم والعتب يتدفقان سواء في الإيحاء الحسي أو الحضور الذهني المتواتر المتداخل مع البوح في لغة بدت خائفة بعض الأحيان كثر فيها التسكين واستخدام كاف التشبيه

من دون ضرورة -فليس في الحب قياس- كما بدا الاستغراق في جمال اللفظة على حساب الشعر فيما تم تفتيت الوهم الذهني الثابت الوصفي للتربية والحب والحياة والجسد الذي صار فاكهة كما يتمناه المحبون

”في البدء كانت الأنثى“ والبدء خلود، إنما كيف حاله الآن في السعادة والحزن والكرامة والذات؟ تقول الشاعرة: ”لست أفكر في تعليمك فن الحب، ولو علمتك ما لا أعلم، ماذا يبقى منك؟“.

سفيرة الحب والشعر والوطن¹

حنان توفيق العرج

تمثل المرأة ضلعَي مثلث الحياة، فهي الابنة والأخت والأم التي قرّبها إلينا الباري عزّ وجل ثلاث درجات عن الأب الحنون

المرأة الكويتية في مرحلة ما قبل النفط كانت تقوم بمهامها ومهام الأب الذي كان يصارع الموت ويجوب البحار بحثاً عن رزقه ورزق عائلته، فكانت المريية والموجهة للأبناء، وكانت المحافظة على كيان أسرتها وعلى سمعة وشرف زوجها، بل وكانت الاقتصادية بالفكرة في تنظيم ما لديها من قوت قليل ومال أقل.

واليوم وفي مرحلة الخير والرخاء الذي مَنَّ العزيز القدير به على أهل الكويت نجد الأم الكويتية قد واكبت المستجدات، ووصلت إلى درجات عالية من العلم والمعرفة، بل ووصلت إلى مراكز قيادية عليا.. ومع كل هذا التغير بإيجابياته وسلبياته.. نجد الأم الكويتية هي أمّ ما قبل النفط.. محافظة على بيتها وحريصة على تربية أبنائها، ومع المشاغل الجمة التي تأخذ من الأب الوقت الكثير نجدها الأمينة المتابعة لكل احتياجات الأسرة وإن كان منوطاً بها أعمال رسمية أو قيادية.

إن الابنة الكويتية، الأخت الكويتية، الأم الكويتية، هي الآن وكيلة وزارة.. سفيرة.. رئيسة مجالس إدارة.. وتعمل جنباً إلى جنب مع شقيقها أو والدها

1- مقال منشور عام 1995، للكاتبة حنان توفيق العرج، وهي معلمة لغة فرنسية كويتية، ولها اهتمامات أدبية وصحافية

أو زوجها لبناء حضارة هذا الوطن.

إن ما دفعني إلى هذه المقدمة هو متابعتي لنجمة ساطعة في سماء وطني لها مواصفات قليل من البشر ممَّن يَمُنُّ الله بها عليهم.
متواضعة.. قمة في دماثة الخلق.. رائعة في وفائها لزوجها.. مثالية في تضحياتها.. عطاؤها قمة في السخاء.. الوطنية تجري في عروقها.. مواقفها في كل محفل يعتز بها كل كويتي.. إنها سفيرة تعمل بصمت..

الزوجة الوفية

قدّم لي والدي قصيدة شعر كانت الدكتورة سعاد الصباح قد أهدتها له، وكان عنوانها ”آخر السيوف“، فسألت والدي: ماذا تقصد الدكتورة؟ فقال والدي: سترين شيم وأخلاق ووفاء المرأة الكويتية من خلال وفائها لزوجها وتقديرها له، وهذه المرأة التي صنعتها الدكتورة سعاد تعكس أخلاقيات وسلوك الزوجة الكويتية المخلصة قديماً وحديثاً.

أباً مبارك.. كنتَ أنتَ قبيلتي
وجزيرتي.. والشاطئ المسحورا
يا خيمتي وسط الرياح، من الذي
سيلمُّ بعدك دمعي المنشورا؟
يامن ذهبَت، وما ذهبَت، كأني
في الليل أسمعُ صوتك البَلّورا
أنت الربيع.. فلو ذكرْتُك مرة
صار الزمان حدائقاً وعبيرا

عطاؤها الوطن

يروى لي أحد الأقرباء أن د.سعاد الصباح وقفت بإصرار مع نجلها الشيخ محمد عبدالله المبارك الذي تطوع مع قوات الكوماندوز البريطانية خلال فترة تحرير الكويت من الغزو العراقي الغاشم.. ولم تكن القوات الخاصة البريطانية تقبل المتطوعين لأنها قوات ذات طابع قتالي خاص.. ولكن أمام رغبة الشيخ محمد الشديدة والملحة بالمشاركة وإصرار والدته تم إلحاقه بهذه القوات.. وكانت مسؤوليتها أثناء حرب التحرير هي تطهير مطار الكويت الدولي الذي كان يعجّ بقوات العدو ودباباته وصواريخه نظراً لأهمية الموقع، وكانت المعركة قد استمرت لساعات عديدة، وقد كان شرفاً عظيماً للشيخ محمد عبدالله المبارك ولأهل الكويت أن يرفع العلم الكويتي بنفسه في أرض المطار.

وهناك جانب آخر من العطاء الوطني لهذه النجمة، فخلال الاحتلال البغيض كانت تقدم لأهل الكويت في أكثر من بلد العون والمساعدة المادية والأدبية.

ولقد ساهمت مساهمة فعالة في توطيد علاقات الكويت الثقافية مع العديد من الدول العربية من خلال "دار سعاد الصباح للنشر"، وقدمت الملايين من الجنيهات والآلاف من الدنانير دون ضجة إعلامية مساهمة منها لمساعدة منكوبي الحوادث في بعض الدول.

مكانتها المتميزة عربياً ودولياً

لقد سبق أن كتبت مقالة عن هذه الإنسانية الرائعة تحدثت فيها عن شعرها الوطني، فقد ساهمت وقاتلت العدو بشعرها من خلال قصائدها الوطنية الرائعة، ويكفييني وإياكم قصيدة "نحن باقون هنا"، وفي يوم

السبت الموافق 17 يونيو 1995 تلقت الدكتورة سعاد محمد الصباح من الأمم المتحدة ممثلة بسكرتيرها العام الدكتور بطرس غالي رسالة عبّر فيها عن عميق تقديره وخالص تحياته لما قدمته الدكتورة سعاد الصباح من "دعم حقيقي لمؤتمرات الأمم المتحدة للمرأة"، وما تبذله من جهد وفير ومتواصل من أجل دفع قضايا المرأة العربية ودورها في المجتمع

وتقديرًا من الأمم المتحدة وسكرتيرها قُدّمت للدكتورة سعاد الصباح الدعوة لحضور المؤتمر الدولي الرابع للمرأة المقرر انعقاده في بكين في الرابع من سبتمبر 1995 "كضيفة شرف"، وقال غالي في رسالته: "إن حضوركم سيكون عاملاً إيجابياً نحو نجاح المؤتمر، كما سيكون له أثر فعال في دفع القضايا المطروحة على جدول الأعمال".

والجدير بالذكر أنه تم اختيار الدكتورة سعاد الصباح لتحضير ورقة عمل عن المرأة وأهداف الأمم المتحدة في ظروف العالم المتغير وإلقاء الخطاب الرسمي في المؤتمر الحكومي نيابة عن المنظمة العربية الأمريكية للمرأة، وكذلك تحضير ورقة عمل لإلقائها أمام المنظمات غير الحكومية عن دور المرأة العربية في عملية التنمية.

وإن هذه الدعوة بحد ذاتها مفخرة وتكريم لكل أم وأخت كويتية بل لكل أم وأخت عربية.

لك دعواتي بالتوفيق يا سفيرة دولة الكويت في كل محفل وكل الظروف وكل الأحداث الحضارية.

عطر سعاد الصباح¹

نادية عابد²

رغم أنف الحاقدين من الرجال، والحاقدات من النساء، أنحاز لها
ولا أكتم انبهاري بها.

”القصيدة“ العربية سعاد الصباح شاعرة، تنسكب ”أبياتها“ المشحونة
بالإحساس في وجدان الإنسان العربي تحت أي سماء.

هي ”ديوان عشق“ تمطر به الرجل الشرقي. ف.. مرة تهدده، ومرة
تذبحه، مرة تتمناه، ومرة تطلب منه أن يرحل، تشعر دائماً أنها -كامراً-
”الحضارة“ والطغاة ”ذكور“.

مرة تخاطبه: ”يا أيها المسافر في دمي“، ومرة أخرى تقول له: ”قل لي
أحبك كي تزيد قناعتني.. أني امرأة“، وتقول له: ”يا أيها المزروع كالوردة في
الأعماق.. أغار من يديك يا صديقي.. حين على الأوراق تعزفان“.

ديوان العشق يقول في ”امرأة بلا سواحل“ عطر سعاد الصباح الجديد:
”إذا ما رفعت ذراعيك عني.. وسافرت يوماً.. كيف أصدق في ساعة البيت..
بعد رحيلك.. يا من سرقت الزمان؟“.

وتمس الشاعرة -بعذوبة- وتر الذكريات وتعزف: ”قل لي يا سيدي.. ماذا
أفعل بهذه التركة من الذكريات.. التي تركتها على كتفي.. وعلى شفتي؟“.

1- مجلة صباح الخير - 5 يناير 1995.

2- اسم مستعار لكاتب مصري شهير، كتب من خلال هذا الاسم عقوداً من الزمن.

وتقول سعاد الصباح بأمانة امرأة عاشقة فيروزية الهوى: "حاولت أن أقتلعك من تراب ذاكرتي.. فوجدت أنك متشبث بأنسجتي".. وتصل إلى قمة الصدق حين تعترف بلا مواربة: "كل شيء قابل للمحو يا سيدي.. إلا بصماتك المطبوعة على أنوثتي".

ما أرقى التعبير الذي يرقد في كياني ولا أجرؤ على الإفصاح عنه.. في حين أفرجت عنه الشاعرة سعاد الصباح:

أنا لا أفرق بين أنفي أو فمي في حين أنت على النساء قدير
من أين تأتي بالفصاحة كلها وأنا يموت على فمي التعبير
وتخاطب الشاعرة في ديوانها الأنيق شكلاً، وموضوعاً، ومضموناً، رجلاً
(لا يفرق في لعبة الحب.. ما بين لحوم النساء.. ولحوم العجول): "كما كان
يوماً جدودك.. يستملكون النساء.. كأبي عقار".
ديوان سعاد الصباح الجديد هو بمثابة عزف على أوتار العشق.. بمثابة
عطر نفاذ لا يذهب.. لقد عبّرت بالنيابة عنا، بعُريّ مُغطّى بالصدق.

تقدم المرأة من تقدم الوطن والعكس صحيح¹

سعاد الصباح غزالة تركض عكس الريح، هاربة من سهام القمع وسيف
القهر.. مبحرة دائماً في بحر العواصف، مُحَلَّقة في الفضاء، تشقُّ درباً مضيئاً
في ركام عالم دامس، تحاول أن تشعل النجوم المطفأة، وتدعو الشموس إلى
زيارة هذا العالم.. وتنهض المرأة بثقافتها وعلمها وشخصيتها لتحيل هذا
العالم إلى وداعة وسلام وحياء يفيض فيها نهر العذوبة والجمال

قصائد سعاد الصباح بحر عميق يجرفنا تياره وتضربنا شواطئه، حتى
تتكشف الجسور ويتفتح أماننا عالم سحري مدهش.

إن كل إبداع يحمل في أعماقه قدراً من التوجه الإنساني، وطموحاً نحو
تغيير الواقع والتعامل مع الفرد في وحدته وغربته.

فإلى أي مدى تعاملت سعاد الصباح مع المرأة العربية وسطرت من
مواقف الرجال؟ إنها تقول:

أنا الخَلِيجِيَّةُ

التي نَصَفُها سَمَكَةٌ

وَنَصَفُها امْرَأَةً..

أنا النَّائِي.. وَالرَّابَّاءَةُ.. والقَهْوَةُ المُرَّةُ..

أنا المَهْرَةُ الشَّارِدَةُ

التي تَكْتُبُ بحَوافِرِها نَشِيدَ الحُرِّيَّةِ.

1- مقال تم نشره بلا توقيع في مجلة أسرتي الكويتية - 29 يناير 1995.

أنا الخنجِرُ البحريُّ الأزرقُ
الذي لن يَستريحَ
حتَّى يَقْتُلَ الخُرَافَةَ..

• مهرة جامحة

هكذا تتألق سعاد الصباح مهرة جامحة تفرّ من الأسلاك التي تحاصرها
والجدران العالية حولها.. تهرب إلى مراعي الحرية.. وحقول النغم الشارد
المنطلق في الفضاء يشدو في تلقائية وتمرد
شعر سعاد الصباح يمثل قضية في حياة الناس بصفة عامة.. وفي حياة
المرأة بخصوصية شديدة.. فالمرأة احتوت في أعماقها معاناة قهر الرجل
لها.. وفي هذا الزمان الطويل الذي ظلمت فيه المرأة هي ليست أكثر من
تاريخ وظل.

• صوت الحرية

ظلمت المرأة في مملكة الاستبداد، فهي لا تحكم.. ولا تملك.. ولا تصنع
حياتها من أفكارها الذاتية.. الرجل يهيئ لها كل شيء.. وتظل مسلوبة
الحرية والكيان.. فكيف لا تثور على هذا الواقع؟
لذلك صرخت سعاد الصباح بصوت الحرية، وقفت تتحدى مجتمع
الظلم، وتعلن قدرة المرأة على أن تحقق حريتها وكرامتها وذاتها بذاتها
وإرادتها.

وإذا ثار ضدها مجتمع الرجال وادعى جنونها تردّ عليه ساخرة:
إنني مجنونةٌ جداً..

وَأَنْتُمْ عُقْلَاءُ
وَأَنَا هَارِبَةٌ مِنْ جَنَّةِ الْعَقْلِ،
وَأَنْتُمْ حُكَمَاءُ
أَشْهُرُ الصَّيْفِ لَكُمْ
فَاتْرُكُوا لِي انْقِلَابَاتِ الشِّتَاءِ..

• مشاعر الحب

لربما كانت مشاعر الحب من الأشياء المحرمة على المرأة في مجتمع يرفض
أن تعبر فيه الأنثى عن أدنى المشاعر ولكنها تقول في عناد وتحداً
أنا في حالة حبٍّ.. ليس لي منها شفاءً
وأنا مقهورةٌ في جسدي
كملايين النساء
وأنا مشدودة الأعصاب..
لو تنفخ في داخل أذني
لتطيرت دُخاناً في الهواء..
إنني ضائعةٌ كالسَّمَكِ الضَّائِعِ في عَرْضِ الْبَحَارِ..
فمتى تنهي حصاري؟..
يا الذي خبأ في معطفه مفتاح داري
يا الذي يدخل في كل تفاصيل نهاره.

• رقيقة وجارحة •

إن قضية حرية المرأة في التعبير عن أحاسيس القلب ونبضات الروح وحقها في الحياة واكتشاف قدرتها وذاتها قد حولت شاعرة رقيقة حاملة رومانسية إلى أن تصبح ثائرة.. جارحة تهزأ بسخرية من عادات وقيم بدائية مازالت تحاصر المرأة العربية

وإذا كان المجتمع العربي قد تمرد على صورة شهرزاد التي تقص كل يوم حكايا لشهريار.. فإن هذه الصورة يجب أن تتناثر أوراقها على كف الريح، لذلك ترفض الشاعرة صورة شهرزاد وتصيح:

أنا الخليجيةُ

الهاربةُ من كتاب ألف ليلة

ووصايا القبيلة

وسُلطة الموتى

والتي تتحدّى - حين تكونُ معك -

حركة التاريخ، وجاذبية الأرض..

أنا النخلة العربية الأصول

والمرأة الرافضة لأنصاف الحلول

فبارك ثورتي..

• صراع امرأة •

تصور سعاد الصباح الرجل بأنه يعاني من عقد نفسية تجاه المرأة، ومتحجر العقل يغار من تطور المرأة ونجاحها في الحياة.. وتلك الصورة

الساخرة توضح مدى المأساة والصراع الذي تعانيه المرأة المثقفة في مواجهة
رجل معقد يخشى تفوقها

يا سيّدي..

إِنْ كُنْتَ تَعْتَبِرُ الْأُنُوثَةَ وَصْمَةً

فَوْقَ الْجَبِينِ،

فَمَا الَّذِي أَبْقَيْتَ لِلْمُتَحَجِّرِينَ؟

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الَّذِي احْتَكَرَ الذِّكَاةَ

يَا أَيُّهَا الْقَمَرُ الْأَنَائِيُّ

الَّذِي زَعَمَ السِّيَادَةَ فِي السَّمَاءِ

يَا مَنْ تُعَقِّدُكَ انْتِصَارَاتِي..

وَتَكْرَهُ أَنْ تَرَى حَوْلِي،

أُلُوفَ الْمُعْجَبِينَ..

يَا مَنْ تَخَافُ تَفُوقِي..

وَتَأْلُقِي..

وَتَخَافُ عِطْرَ الْيَاسْمِينِ

هَلْ مُمَكِّنُ..

أَنْ يَكْرَهُ الْإِنْسَانُ عِطْرَ الْيَاسْمِينِ؟

هكذا ترسم الشاعرة صورة لهذا الرجل المتحجر الذي يكره عطر
الياسمين، إنه مازال يحيا بعقلية قديمة، وينظر إلى المرأة على أنها وصمة

عار كما كان يراها الجاهلي قبل الإسلام
فإذا كان الجاهلي قد مارس وأد المرأة تحت التراب بصورة فيها الكثير
من الظلم والخشونة والغضب.. فها هم بعض الرجال يؤدون الدور ذاته،
ويرفضون وجود المرأة المثقفة في المجتمع إلى الحد الذي يجعلهم يقفون
ضد عطر الياسمين

فالنص الشعري يكشف ما في الرجل من تناقض، فهو قد احتكر الذكاء
والسيادة، ورغم ذلك بقي بعيداً عن نور العلم والثقافة وأحاسيس الحب..
وصورة هذا الرجل مرفوضة

يا صَدِيقِي..
لا يَغُرَّنْكَ هُدُوءِي..
فَلَقَدْ يُولَدُ الإِعْصَارُ مِنْ تَحْتِ قِنَاعِي..
إِنِّي مِثْلُ البُحَيْرَاتِ صَفَاءً
وَأَنَا النَّارُ.. بَعْضُفِي
وَأَنْدِلا عِي..

• السخرية من البعض

في النص سخرية حادة من موقف بعض الرجال.. فهي تفخر بالجنون
إذا كان طريق الكلمة الحرة والتعبير عن الذات ورفض الظلم ومقاومة
سيف الجلاد

ولا شك أن الشاعرة تغير من واقع المرأة في مجتمع مازال مقتنعاً بأن
للمرأة دوراً وحيداً في البيت ورعاية الأطفال وطاعة الرجل، حتى وإن

تعلمت فلا مكان لها للمشاركة في نهضة المجتمع الإنتاجي بل هي عنصر لا قيمة له.. في الوقت الذي أصبحت فيه المرأة وزيرة وكاتبة وأستاذة، وتؤدي مهام كبيرة في الحياة والنهضة الاجتماعية والقضايا السياسية

• العدالة مع الرجل

سعاد الصباح شاعرة متمردة على الوضع القائم، وهذا التمرد يهدف إلى محو فكرة الرجل عن المرأة وتأسيس صورة جميلة للمرأة العربية بما لها من حقوق يجب أن تنالها ومشاعر تعبّر عنها وفكر تفيد به بلدها وأبناء أمتها ورسالة علمية واجتماعية تنشرها

لماذا؟

يُقيمون هذا الجدار الخُرَافِيَّ
بين الحقول وبين الشَّجَرِ
وبين الغيوم وبين المطرَ
وما بين أنثى الغزال، وبين الذَّكَرِ؟
ومن قال: للشَّعْرِ جِنْسٌ؟
ولللشَّعْرِ جِنْسٌ؟
وللفكرِ جِنْسٌ؟
ومن قال: إنَّ الطَّيِّعَةَ
ترفض صوت الطُّيورِ الجميلة؟

• ثورة ضد الواقع

سعاد الصباح تهدد وتتوعد وتنفجر ضد مجتمع القهر واستغلال جسد المرأة ومصادرة مشاعرها وعقلها.. سعاد الصباح شاعرة تغني للحرية وعصافيرها، وترفض الخراب الاجتماعي وسقوط البطولة إلى حد اللوعة والبكاء والأم

كُلَّمَا أَبْصَرْتُ فِي الْحُلُمِ صَلَاحَ الدِّينِ..
يَسْتَجِدِّي فُتَاتَ الْخُبْزِ فِي الْقُدْسِ،
وَيَسْتَعْطِي عَلَى بَابِ السُّيُوفِ الْعَرَبِيَّةِ
كُلَّمَا شَاهَدْتُهُ..

تَائِهًا، يَسْأَلُ فِي الصَّحَرَاءِ عَنْ أَحْيَاءِ طَيِّ
وَتَمِيمٍ، وَغُزَيَّةٍ..

كُلَّمَا شَاهَدْتُهُ فِي مَرْكَزِ الْبُولِيسِ،
مَرَمِيًّا عَلَى الْحَائِطِ مِنْ غَيْرِ كَفِيلٍ أَوْ هَوِيَّةٍ
صَحَّتْ مِنْ أَعْمَاقِ جُرْجِي:

أَيُّهَا الْعَصْرُ الشُّعُوبِيُّ الَّذِي
صَارَ فِيهِ السَّيْفُ يَحْتَاجُ لِإِبْرَازِ الْهَوِيَّةِ..

هكذا.. تصل المأساة وتتفاقم.. إلى حد سقوط رمز كبير في البطولة والفروسية وهو صلاح الدين الأيوبي، سقوط لا ينبئ إلا عن الحرية المزيفة، وينهار كل شيء، فالمرأة مازالت تعاني الذل والحصار من كل الجهات.. وتحرير المرأة من الوهم هو تحرير للوطن والبطولة

امراة بلا سواحل وهموم المرأة¹

سناء صليحة²

يرى بعض النقاد أن الإنسان نطق بالشعر عندما شعر بحاجته لتأكيد وجوده في عالم غريب عليه ليواجه الطبيعة القاسية والكون بأبعاده المترامية وألغازه وأسراره.. ولعل هذه المقولة بالذات هي أول ما يتبادر للذهن مع الانتهاء من قراءة آخر أبيات أحدث ديوان للشاعرة سعاد الصباح (امراة بلا سواحل)

ففي ديوانها الجديد يتأكد الصوت الشعري الخاص المتمرد لكاتبه، وإن جاءت من أعماق البيئة الشرقية التي تركت بصمتها على روحها وعلى روح كل أنثى مثلها، إلا أنها قررت أن تتحدى طقوسها الجامدة ورجالها وتتمرد على عالم العادات المتحجرة ومفاهيم عصر الحريم، التي فرضت على المرأة الخرس، ومنحت الرجل حنجرتها ليعبر عنها وعن مشاعرها كما يحلو له هو أن يتصورها..

ولعل اقتحام سعاد الصباح منذ بداياتها الأولى لهذه المنطقة المحرمة المملوغة التي حرمت العادات والتقاليد العربية على المرأة الاقتراب منها، فحرمت عليها أن تعبر بصدق عن خوالج النفس ومشاعر الأنثى، هو الذي

1- الأهرام 29 يناير 1995.

2- كاتبة مصرية حاصلة على بكالوريوس إعلام صحافة - ماجستير إعلام وسياسة من الجامعة الأمريكية، دبلوم من جامعة إعلام وتنمية - أستاذ مادة الإعلام والصحافة بالأكاديمية البحرية وجامعة الأهرام الكندية، وكاتبة متخصصة في الشأن الثقافي، مترجمة وكاتبة قصة قصيرة

دفع البعض إلى التشكيك في قدرات الشاعرة أو على أقل تقدير اتهامها بأنها خرجت من عباءة "شاعر رجل" بداية من استخدامها للغة وانتهاء بالفكر والإحساس..

ولكن ومع توالي ظهور دواوين الشاعرة وتنوع قصائدها، وامتزاج هموم القلب بهموم الوطن وقضاياها السياسية والاجتماعية، وتجانس الفكر والإحساس اللذين حولاً ثلاثية تحرر المرأة والرجل والوطن إلى منظومة واحدة متكاملة خفتت الأصوات المُشكّكة، ولعل هذا هو ما شجع الشاعرة على أن تقدم لنا هذه المرة ديواناً أكثر جرأة تعلو فيه نبرة الأنثى حتى عندما تتعرض لهموم الوطن، فنعيش قضية الوطن الممزق الذي تخنقه سحابات الدخان الأسود بعد الاحتلال من خلال وجدان حبيبة، تتكحل بنسمات هواء الوطن وتتعطر بثراه، فتجوب المرافئ محتضنة هموم الأنثى وعذابات الوطن.. ففي القصيدة السوداء تقول:

كم غَيَّرْتُني الحَرْبُ.. يا صَدِيقِي

كم غَيَّرْتُ طَبِيعَتِي

وغيَّرْتُ أُنُوثَتِي

وبعثَرْتُ في دَاخِلِي الأشياءَ

فلا الحِوَارُ مُمَكِّنٌ

ولا الصُّرَاخُ مُمَكِّنٌ

ولا الجُنُونُ مُمَكِّنٌ

فنحنُ مَحْبُوسَانِ في قَارُورَةِ البُكَاءِ..

وتمضي فتقول:

قد شوّهتني الحربُ يا صديقي
والحربُ كم تُشوّه الإنسان..
فهل هناك فرصةٌ أخرى.. لكي تُجَنِّني؟
وليس في عينيّ إلا مَطَرُ الأُحزان..
يا سيّدي:

ما عدتُ بعد الحربِ.. أدري مَنْ أنا؟

ورغم أن قصائد الديوان لا تقدم صورة واحدة للشاعرة ولا لعلاقة الرجل بالمرأة، إلا أنها تخلق نسقاً شعورياً واحداً يكشف دلالة القلق والمفارقة الشعورية الناشئة من معاشة الواقع وإحساس الشاعرة المختلف به، بما يصل بالقصائد إلى ذروتها ليؤكد غربة الشاعرة عن عالمها ويحول الشعر إلى صرخة احتجاج، فهي تتمرد وتعلن صراحة حقيقة مشاعرها وما يدور بنفسها دون خوف أو موارد لتفتح ألف جرح وتكشف السرايب المظلمة التي تختنق فيها مشاعر النساء، فهي إن كانت ترفض الحب المعقد المغمض العينين وعلاقة التبعية، إلا أنها لا تخجل من أن تعبر عن تمزق المرأة ما بين الحلم بعلاقة من نوع جديد وما استكنّ في الأعماق من أحاسيس ومشاعر وميراث ثقيل من الأفكار والمعتقدات.

تقول في قصيدة القمر والوحش:

تتصارعُ في أعماقي رغبَتان
رغبتي في أن أكونَ حبيبتك..
وخوفي من أن أصبحَ سجيّتك.

وتستطرد فتقول:
تَخْتَلِطُ في أعماقي
مَشاعِرُ الغضبِ..
بمَشاعِرِ الأمومة..
وإحساسِ الأمانِ
بإحساسِ العاصفةِ القادمةً..

ثم تمضي فتقول:
أنا لَسْتُ أَنثًاكَ، يا سيّدي
ففتش عن امرأةٍ ثانيةٍ
تُشابهُ آيَةَ سَجَادَةٍ
في بلاطِ الرّشيدِ..
أنا امرأةٌ مِنْ فضاءٍ بعيدٍ
وَنَجْمٌ بَعِيدٌ
فلا بالوعودِ أَلِينُ.. ولا بالوعيدِ

ومن المؤكد أن ملامح القصيدة الحديثة من حيث وحدة القصيدة وتداخل الأبيات قد أفادت الشاعرة في تطويع موسيقى الشعر للإيقاع النفسي واستخدام التيمات والاستعارات، لتعبّر عن التجربة الشعورية بحريّة وجرأة.. ولتصبح تجربتها الفنية أشبه بلحظة اعتراف وصرخة احتجاج تطلقها نيابة عن حناجر خرساء عاشت الصمت زمناً طويلاً

إبداعات متجددة¹

عرفان نظام الدين²

شغلتنني الأسفار والرحلات ومتاعب العمل عن هوايتي المفضلة، وهي القراءة ومتابعة آخر الكتب التي هي خير جليس وأنيس وزاد الصيف والشتاء وشعلة الفكر النير، وعدت لأجد أمامي أكواماً مكدسة من الكتب والإصدارات الجديدة لأدباء وشعراء أكنّ لهم كل الحب والتقدير

من بين هذه الكتب اخترت في سلم الأولويات الإصدارات الجديدة أو الإبداعات المتجددة لإخوان وأخوات وأصدقاء وصديقات يعتز بهم كل عربي، وهم غادة السمان وزكريا تامر ود.سعاد الصباح وياسين رفاعية وعبد الإله محمد جدع.. وغيرهم، وسأحاول في الحلقات التالية اختيار انطباعات عن هذه الإبداعات لأشارك القراء الأعزاء بها.

ولكن، قبل أن أبدأ لا بد من الإشارة إلى أنني لا أستعرض الكتب، ولا أحاول أن أكون ناقداً أو محللاً لمضامينها، فهناك زملاء أعزاء تخصصوا في هذا المجال ولهم زوايا أسبوعية ويومية في الصحف والمجلات. ولكن ما أفعله، وهذا رد على كثير من الأصدقاء الذين يرسلون إليّ كتبهم أو

1- الحياة 7 فبراير 1995.

2- إعلامي لبناني، رئيس تحرير صحيفة الشرق الأوسط اللندنية الأسبق، حائز شهادة الماجستير في العلوم السياسية والاقتصادية. بدأ حياته الصحافية في صحيفة "الحياة" اللبنانية عام 1965، واستمر حتى عام 1976، حيث توقفت عن الصدور بسبب الحرب. ثم عمل في مجلة "الاقتصاد اللبناني والعربي" ووكالة "أورينت برس" للأنباء الاقتصادية وفي "وكالة الأنباء العربية". انتقل إلى لندن عام 1978 ليشترك في تأسيس صحيفة "الشرق الأوسط" الدولية حتى عام 1987، كما كتب في عدة صحف عربية، ومنها صحيفة القبس الكويتية

يظنون خطأ أنني أستعرض الكتب، هو تسجيل انطباعات واستخلاص وجهة نظر معينة، واختيار مقاطع أعجبتني ولفتت نظري ونقل أبيات تدغدغ أحاسيسي، وأرى من واجبي أن أشارك القراء بها، خصوصاً بالنسبة إلى الوجدانيات والعبارات والحكم الراسخة التي كنت قد ناديت بتأسيس ناد خاص لها اسمه «نادي الوجدان» أو «نادي الرومانسيين الحالمين» في زمن صارت فيه الرومانسية والوجدانيات عملة نادرة، وطغت المادة على كل مجريات حياتنا، فأصبحنا نلهث وراءها على رغم علمنا أننا نلهث وراء سراب زائل ومجد زائف

والقراءة كنز لا يفنى يجب أن نغرس عاداتها مع جذور تربيتنا وإعداد النشء وتوجيه الأجيال، كما يجب أن لا تلهينا مشاغل الحياة والعمل عن ممارستها لأنها تثمر علماً وفكراً وحكمة وبُعد نظر، وتفتح أمامنا آفاقاً جديدة لنلحق بركب العالم المتحضر الذي علم أجياله منذ الصغر أن يكون الكتاب رفيقها الدائم في السفر والترحال وفي ساعات الفراغ والعطل والإجازات بل وحتى في المواصلات العامة

وقد استفزتني الدكتورة الشاعرة سعاد الصباح عندما كتبت لي إهداءها المميز لإصدارها الجديد «امرأة بلا سواحل»، وتساءلت فيه: «هل يسمح وقت الصحافي لقراءة في سطور سواه؟»، وأرد عليها بالقول إن الصحافي الذي لا يقرأ لا يستحق اسمه ولا شرف مهنته

أخيراً أقول: شكراً لكل من أهداني كتاباً مع أنه في كل مرة أكتب فيها عن كتاب لزميل أو صديق أتلقي طلبات من إخوان من المحيط إلى الخليج يطلبون فيها نسخاً منه فأدفع الثمن مضاعفاً، ولكن بكل طيبة خاطر

امراة بلا سواحل¹

عرفان نظام الدين

أبدأ هذه السلسلة من المتابعات للإبداعات العربية المتجددة بديوان الشاعرة الرقيقة المرفهة الدكتورة سعاد الصباح «امراة بلا سواحل»، وفيه نعثر على ضالتنا من السواحل الوجدانية وشطآن الأمان الرومانسي، ونتأكد مرة أخرى أن أسلوبها الخاص مازال يدور حول الوريد والجليد والمعطف والإسورة والرياح والخصر والشعر وقوس قزح والمدرسة الداخلية وذكريات التلميذات «الشقيات» والغابات وداحس والغبراء والرشيد والبريد والقتيلة والجواري

وديان «امراة بلا سواحل» صغير في حجمه (10 قصائد) تكفيه جلسة واحدة لإكمالها لتجلس بعدها أياماً طويلة تفكر وتتذكر وتحلم وتستعيد ذكريات شبابك، ولكنه ممتع ولطيف وخفيف الظل وهو استمرار لدواوينها السابقة التي تدور حول الحب والعشق والهوى والبحر

ولم تنس الشاعرة أن تخص الرجل العربي بهجوم ناعم الملمس، على رغم قسوته في بعض المواضع، كما أنها لم تنس أن تواصل تمرداً على الواقع بعبارات مؤدبة وراقية مستعينة بالمحسنات اللغوية المتعارف عليها بين أهل الشعر والقلم في سبيل هدف واحد تشاركها فيه عادة السماء وانتصار العقيل وثرثريا العريض، وهو حمل لواء الدفاع عن حق المرأة في

1- الحياة 8 فبراير 1995.

الحياة والحرية والتنفس والمساواة

وأكبر مثال على ذلك ما ورد في ديوانها «للأنثى قصيدتها وللرجل شهوة القتل»، وهي أفضل قصيدة فيه وأقواها، ففيها هجوم قوي على منتقديها استخدمت فيه كلمات قاسية، كنت أتمنى أن لا ترد على لسان مثل هذه الشاعرة الرقيقة مثل: «كلاب النقد - الصعاليك - كعب حذائي...!!». أما في «ثورة الدجاج المجلد» فتجد قصيدة أخرى لكنها عامة، وفيها عبارات التمرد على القبيلة والتقاليد والجواري...! وهذا ما ورد أيضاً في تقديم من سطرين فقط قالت فيه:

«فرق كبير بيننا يا سيدي، فأنا الحضارة والطغاة ذكور».

وفي «للأنثى قصيدة» ردت على منتقديها قائلة:

أطلقوا خلفي كلاب النقد

حتى يربوني

سَخَرُوا أجهزة الإعلام ضدي

واستعانوا بالجنود الإنكشاريين

حتى يُسكتوني

هكذا أوحى لهم سيدهم

أن يَصْلُبوني!!

وفي «ثورة الدجاج المجلد» تتمرد وتقول:

أنا لست أنثاك يا سيدي

ففتش عن امرأة ثانية

تشابه أية سجادة

في بلاط الرشيد

وأترككم مع هذه الكلمات المتمرده لأعود غداً مع شاعرية الأنثى
ورومانسية سعاد التي أفضلها ألف مرة على شعر النجمة والأسر وشهوة
الانتقام!!

مقتطفات رومانسية¹

عرفان نظام الدين

كما ذكرت بالأمس فإنني أحب أن أختار من أبيات الشاعرة الرقيقة
المرهفة الدكتوراة سعاد الصباح الرومانسيات والوجدانيات، وأسقط عبارات
التمرد والكلمات التي تثير الفتن والأحقاد بين شريكي الحياة: الرجل والمرأة،
لأنني رجل أغضبني الهجوم والاتهام والانتقاد، بل لأننا تعبنا من الحروب
الجاهلية والأخذ والرد وتبادل الاتهامات

تعبنا في الحب، كما تعبنا في السياسة من الجدل البيزنطي عن البيضة
والدجاجة وكروية الأرض ومن جاء أولاً، وعن جنس الملائكة أيضاً،
فيما حصان طروادة يدخل كل بيت من بيوتنا ويهدد مصيرنا وحاضرنا
ومستقبلنا، وتعبنا من تبادل الاتهامات عمن بدأ ومن افترى ومن ظلم
تعبنا وصرنا في حاجة إلى هدنة وسلام وصفاء ومحبة وصدق ورومانسية،
فالحب عطاء وتضحية ومشاركة بين طرفين يجب أن يتوصلا إلى معاهدة
سلام وصيغة وئام وتفاهم ومحاولة لنسيان الماضي وفتح صفحة جديدة لا
تعلق فيها الرواسب وعُقد الماضي وتراكمات عصور الظلام والجاهلية

وأكبر دعم لهذا التوجه يأتي على لسان سعاد الصباح في وجهها الرومانسي
الذي يتحرر بعض الأحيان، وعند ساعات التجلي من حال الانفصام مع
الوجه الآخر الناقم على ظلم الرجال، فهي تقول في قصيدتها «تمنيات

استثنائية لرجل استثنائي»

عامٌ سعيدٌ

عامٌ سعيدٌ..

إِنِّي أَفْضَلُ أَنْ نَقُولَ لِبَعْضِنَا:

«حُبٌّ سعيدٌ».

ما أَضْيَقَ الْكَلِمَاتِ حِينَ نَقُولُهَا كَالْآخَرِينَ

أنا لا أريدُ بأن تكونَ عواطفي

مَنْقُولَةً عَنْ أُمْنِيَّاتِ الْآخَرِينَ..

أنا أرفضُ الحُبَّ المعبَّأ في بطاقاتِ البريدِ..

إِنِّي أَحْبُّكَ فِي بَدَايَاتِ السَّنَةِ..

وأنا أَحْبُّكَ فِي نَهَايَاتِ السَّنَةِ..

فالْحُبُّ أَكْبَرُ مِنْ جَمِيعِ الْأَزْمَنَةِ

والْحُبُّ أَرْحَبُ مِنْ جَمِيعِ الْأَمْكِنَةِ

ولذا أَفْضَلُ أَنْ نَقُولَ لِبَعْضِنَا:

«حُبٌّ سعيدٌ»..

وفي "اعترافات امرأة استثنائية" تقول:

يا أَيُّهَا الْجَالِسُ..

سُلْطَانًا عَلَى أَوْرَاقِهِ

يا أَيُّهَا السُّلْطَانُ..

اكتبُ على إسْوَارَتِي..
اكتبُ على دُشْدَاشَتِي..
اكتبُ على الأَجْفَانِ..
اكتبُ على الرِّيحِ..
والأمْوَاجِ..
والأمْطَارِ..
والخُلُجَانِ..
أُمْنِيَّتِي.. بَأَنْ أَكُونَ فَتْحَةً..
أَوْ ضَمَّةً..
أَوْ كَسْرَةً..
أَوْ زَهْرَةً صَغِيرَةً
فِي ذَلِكَ الْبُسْتَانِ..
لَوْ كَانَ بِالْإِمْكَانِ، يَا صَدِيقِي
لَوْ كَانَ بِالْإِمْكَانِ..
يَا رَجُلًا حَرَّرَنِي..
مِنْ سُلْطَةِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ..
لَوْ كُنْتُ تَدْرِي، كَمْ أَنَا مَبْهُورَةٌ..
وَكَمْ أَنَا سَعِيدَةٌ..
وَكَمْ أَنَا أَشْعُرُ بِالْأَمَانِ

مع هذا الوجه الرومانسي الحالم أختتم مع سواحل سعاد الصباح، وهو وجه نرى فيه المرأة الحقيقية، المرأة الرومانسية المتحررة من العقد والأحقاد، المرأة العطوفة الحنونة التي تبحث عن الأمان.. والأمان بيد الرجل مهما حاولت المرأة أن تنكر.. وأن تتمرد!

قيثارة الحب والأمل¹

فهد السويحلي الهاملي

عندما أصبح لدي بعض الاهتمامات في شؤون الأدب والشعر منه بخاصة عرفت قيمة القول المأثور عن أسلافنا "الشعر ديوان العرب"، فبدأت أتابع على استحياء بعض ما ينشر منه، وازداد تعلقي به إبان كارثة الغزو التي مزّقت أجنحة القومية وحطمت جدار الأمان والآمال والتاريخ المشترك، فقوضت المبادئ واستباححت الحرمات

وشدني من بين الكم الهائل من بكائيات حب الوطن الضائع قصائد قيثارة الحب والأمل الدكتور سعاد الصباح، التي غرست في النفوس الأمل بدل الألم، فعشنا معها على شطآن الغربة نرقب طيور النورس الآتية من موطن عروس الخليج، كويت الخير والكرم.

من قال إن الكلمة لا تحمل في طياتها مشاعل الخلاص...؟ إن من يعتقد ذلك لا يعرف أن الكلمة قد تكون رصاصة في صدر طاغية قاتل، وقد تكون بلسماً لجرح مقاتل سقط دفاعاً عن العرض والدين والأرض.. وقد تكون شعلة من نور يهتدي بضوئها الباحثون عن الخلاص من سالب حريتهم، وقد تكون أملاً يشعّ من عيون زهور الإيمان، فيتحول إلى حقيقة تدوس بقدرسيها رقاب الطغاة.

تلك هي كتل المشاعر التي تملكني كلما قرأت أو سمعت شيئاً مما

1- مجلة الديرة 27 يونيو 1995.

ترنم به قيثاره الخليج الدكتورة سعاد الصباح، فأجد معها سعف النخيل وقد غدت سيوفاً مرفوعة في وجه الظلم والقهر، فأنتفض لأزبل عن وجه الحبيبة كل بصمات الحقد التي تركها الغزاة.. لتعود تزهو بسحر الوجود وتزداد تألقاً..

وكنت حتى اللحظة أظن أن قيثاره الحب لا تجيد إلا الترنم بأعذب الألحان، فإذا بها عطاء متواصل من الفكر والسياسة والاجتماع والتاريخ، وإذا بمواقف النبل والكرم تتجلى في كل مجال بعبق أريحيها العربية.. فهذا الاحتفال لتكريم أستاذنا الكبير عبدالعزيز حسين ينم عن أصالة عربية محضة لدى المحتفى والمحتفى.. فكلاهما أعطى لهذه الديرة كل ما يمكن أن يعطيه عاشق متيم بها.. وكلاهما يستحق أن يعيش عرس الاحتفال بالتكريم.. الشواهد أكثر من أن تحصى، يكفي أنها نالت ثقة هيئة الأمم المتحدة فرشحتها لتكون إحدى العضوات الفاعلات في مؤتمر المرأة بكين.. سفيرة الحب للإنسانية تحمل هموم أمة قتلتها الردة التي ارتكبتها طاغية باغتياله للأخوة على محراب القومية.. لتعرضها على طاولة المرأة في بكين أملاً في الانتصار العالمي لحقوق الإنسان فيساهم في الإفراج عن أسرانا.. لترتسم البسمة من جديد على شفاهٍ حرمت منها سنين..

ومن غيرها لهذه المهمة؟ وهي أخت الرجال التي تعد نموذجاً للمرأة العربية وسفيرة لها في كل بلاد الحب والأمل.. حتى يأتي بعد ذلك من يقول إن المرأة ليست جديرة بالمساواة!!

كم يسعدني أن أرى العشرات والمئات بل الآلاف من سعيديات الأمة وهن يتبوأن أعلى منابر العلم والفكر والثقافة، فهل نحلم.. وفينا الشاعرات الحالمات..؟

د. سعاد الصباح وحقوق الإنسان¹

عبد الرزاق البصير²

التعريف الصحيح للإنسان أنه حيوان ناطق عاقل، لهذا سميت الحيوانات الأخرى بالعجماوات، إذ الكلام دليل على التفكير الذي يتميز به الإنسان، وإلى التفكير يرجع الفضل في رقيه وحضارته، فقد أوصله تفكيره إلى وضع القوانين لتنظيم جميع جوانب حياته، فما من نشاط إنساني إلا وله أنظمة تحميه من الظلم بمعناه الواسع، من هنا يتضح أننا لا نستطيع في هذا المجال أن نتحدث عن إنشاء كل القوانين وما لها من أثر بالغ في تنظيم حياة الإنسان، وكلما تقدم العقل البشري تنبه الإنسان إلى أن من المحتم عليه أن يضع قانوناً لهذا النشاط أو ذاك، وبهذا الإلهام الإلهي، وصل الإنسان إلى ما وصل إليه من تقدم في حياته.

وربما لا يعدو الصواب من يقول إن وضع قانون لحقوق الإنسان من أفضل ما توصلت إليه الأمم المتحضرة، ومما لا يحتاج إلى بيان أن قانون حقوق الإنسان يصطدم بمصالح كثير من الناس، لذلك نرى الكثيرين يحاولون الالتواء على هذا القانون، لأن الذين يواجهونه بصورة مباشرة

1- القبس 21 ديسمبر 1996.

2- أديب وكاتب كويتي، من مواليد 1915 في فريج القناعات في الكويت، وتوفي في 5 أبريل 1999، كان فاقداً للبصر منذ صغره. بدأ بالتعليم الديني، درس القرآن وحفظه، ودرس قواعد النحو والبلاغة وفقه الدين والفلسفة القديمة في الكويت والنجف في العراق، وقد أصبح قاضياً لمدة اثنتي عشرة سنة، وبعدها عمل مأذوناً شرعياً حتى عام 1954. كتب في جريدة البحرين في عام 1943 ثم الرسالة المصرية، وقد رشحه طه حسين ليكون عضواً في المجمع اللغوي في القاهرة

يصبحون موضع انتقاد عند الأكثرين، فإن كل من يعارض نشر العدالة بين الناس تصبح صورة أخلاقه مشوهة عند جميع الناس، وإن من المؤكد أن قانون حقوق الإنسان مستوحى من الحديث الشريف القائل: «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى».

وبعبارة أخرى، يعتمد مبدأ حقوق الإنسان على مساواة الناس أمام القانون، ويضيف إلى ذلك تأصيلاً لهذه القاعدة الإنسانية، وليس من شك أن فرحة كبيرة قد غمرت قلوب الملايين في مشارق الأرض ومغاربها حينما صدر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام 1948، وكانت ديباجته تؤذن بعهد جديد للإنسان، حيث قالت المقدمة: «لما كان الاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم المتساوية الثابتة هو أساس الحرية والعدل والسلام في العالم، ولما كان تناسي حقوق الإنسان وازدراؤها مفضياً إلى أعمال همجية آذت الضمير الإنساني، فإن غاية ما يرنو إليه عامة البشر انبثاق عالم يتمتع فيه الفرد بحرية القول والعقيدة ويتحرر من الخوف والفاقة».

ولكم سررت عندما تلقيت كتاب «حقوق الإنسان في العالم المعاصر» هدية من مؤلفته الدكتورة سعاد الصباح، فشكراً جزيلاً لها على ما تحفني به من كتب قيمة. وحين بدأت في قراءته وجدت ما كنت أحلم به منذ مدة، وهو أن يكون في الكويت جمعية لحقوق الإنسان بصورة معترف بها، ليتمكن أعضاؤها من العمل بما تتطلبه هذه الجمعية من نشر الوعي بحقوق الإنسان، وهو حلم يدور في نفوس المثقفين ثقافة حرة نقية.

تقول الدكتورة سعاد: «لقد كان لأبناء جيلي حلم عظيم، وهو أن تكون الكويت (منارة) للتقدم والحضارة يتطلع إليها الآخرون ويقتدون بها،

وبالقدر الذي تنتشر فيه ثقافة حقوق الإنسان في بلدي، وبالقدر الذي يتحول فيه هذا الفكر إلى ممارسة، فإن الحلم ينزل تدريجياً من فضاء الخيال إلى واقع الحقيقة، وتسطع أضواء (المنارة) في كل مكان وفي كل الأوقات».

وليس من شك أن كل فرد كويتي من نساء ورجال، يبذل كل ما في استطاعته، بأن يكون هذا الوطن العزيز منارة للتقدم والحضارة، وإن شئت الدقة في التعبير، فقل إن كل فرد يود ازدياد معرفة الناس في العالم المتحضر بأن الكويت على هذه الصفة الحضارية الممتازة، لأن إسهام الكويت في تنمية الثقافة الصحيحة أمر معروف لدى كل منصف، أما الحاقدون الحانقون فإنهم على معرفتهم الأكيدة بما تبذله الكويت في الميدان الثقافي، يحاولون تشويه هذه الصورة المستنيرة، بل إن شئت الواقع فقل إنهم يحاولون محو هذه الصورة الخيرة، والمؤسف حقاً أن يكون ذلك من بعض الذين يحملون القلم في وطننا العربي، لكن أنوار الصباح وجمال الورود والزهور وأريجها، لا تعرف الوقوف، وإنما دأبها الانتشار بين جميع الناس.

خطوة حضارية للكويت

نرجو أن تتحقق مساعي كل الذين يعملون لإشهار جمعية حقوق الإنسان في الكويت، ولست أشك أن هذا الحلم إذا تحقق فسيكون له مفر لائق بمكانته السامية، مفر يحتضن كل ما يحتاج إليه العاملون من أدوات حديثة وكتب قيمة وصلات فسيحة

ولست أعدو الصواب إذا قلت إن من المفروض أن يكون في كل دولة إسلامية أضخم بناء لجمعية حقوق الإنسان، ذلك أن القرآن الكريم قد

دعا إلى تعزيز حقوق الإنسان بأفصح تعبير وأعذب أسلوب، حيث يقول: «ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً».

وكم كانت الدكتوراة سعاد موفقة في تعقيبها على هذه الآية الكريمة حيث تقول: «وقد نظر الإسلام إلى الإنسان الفرد نظرة مزدوجة، فهو من ناحية يعتبر وحدة فريدة ومتميزة، أي هو في ذاته كلٌّ في واحد، ولكن ومن ناحية أخرى اعتبر الإسلام هذا الفرد جزءاً أصيلاً من كيان مركب هو الجنس البشري، وانطلاقاً من هذه النظرة المزدوجة يعتبر الفرد في الإسلام أهم وحدة في الكون، وهو لذلك يولد حراً ومتمتعاً بكامل الحق في الاختيار، ولا ينبغي إجباره أو حمله قسراً على القيام بتصرف معين إلا في حدود مقتضيات النظام العام الذي يقوم عليه بنیان المجتمع ومصلحة كل أفراد، ومن أجل ذلك أيضاً، لم يفرق الإسلام بين الفرد المسلم والفرد غير المسلم الذي يعيش في كنف الدولة الإسلامية، في ما يتصل بالحقوق الأساسية للمواطنة».

وعلى كل حال فإن الدكتوراة سعاد الصباح مؤلفة هذا الكتاب، قد استقصت جوانب هذه الخطوة الحضارية المهمة، إذ إنها أوردت أهم ما يتصل بحقوق الإنسان من تاريخ صدور قانون هذه الخطوة الإنسانية، والملامح العامة لها، كالحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وتطور حقوق الإنسان وبروز فكرة الحقوق الجماعية، إلى غير ذلك مما يتصل بحقوق الإنسان، كل ذلك بأسلوب بسيط يسهل فهمه لكل من يملك ولو أدنى ثقافة عامة.

والحق أني قرأت كتباً عديدة تتحدث عن حقوق الإنسان، لكنني وجدت

هذا الكتاب من أفضل الكتب التي ألفت في هذه القضية الإنسانية.
وبعد: فهل ما يجري في الكويت من تضيق على الناس باسم الانتصار
للإسلام مُعزّز لحقوق الإنسان؟
سؤال أطرحه على الذين يشوهون صورة الكويت المعروفة بالإشراق
والتنوير.

أميرة الشعراء¹

د. عايد المناع²

في سوسة على الساحل التونسي، وفي سيدي بوسعيد في العاصمة التونسية، احتشد الشعراء والهواة والمتذوقون ليستمعوا ويصفقوا ويهللوا للشاعرة الدكتورة سعاد الصباح، ولأن لهذه الشاعرة الكويتية مكانتها المرموقة في عالم الشعر فلقد حرص وزير الثقافة التونسي عبد الباقي الهرماسي على أن يرافقها، وأن يستمع إليها ضمن مئات المستمعين وهي تشدو بقصائدها العذبة، كما حرص رئيس الوزراء التونسي حامد القروي على أن يستقبلها، وأن تنشر الصحافة التونسية الناطقة بالعربية والفرنسية صوراً ومقتطفات من هذا اللقاء.

وهذا الاهتمام الرسمي والتدافع النخبوي والشعبي يؤكد ضمن الأمور الأخرى أن شاعرية سعاد الصباح قد خلقت لها أرضية جماهيرية خصبة تمتد من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسي.

وإذا كان ليس مستغرباً أن تغص قاعات الشعر في الكويت بعشاق شعر سعاد الصباح، وإذا كان متوقعاً - كما حدث بالفعل - أن تضيق قاعات الشعر بالجمهور اللبناني، وأن يصبر الناس على انهيار المطر وقسوة العواصف

1- الوطن 5 مايو 1997.

2- كاتب سياسي وإعلامي كويتي، بدأ الكتابة الصحافية منذ السبعينيات، وفي عام 1975 التحق بجريدة الوطن محرراً طلابياً واستمر فيها سنوات، ثم عمل رئيساً للهيئة الاستشارية العليا في جمعية الصحفيين الكويتيين، يحمل شهادة الدكتوراه في الإدارة العامة، وعمل أستاذاً مساعداً في كلية الدراسات التجارية

الشديدة ليستمعوا لحورية بحر الخليج وهي تنشد أشعارها، فإن عشق التوانسة خصوصاً والمغاربة عموماً لا يقل عن عشق الشرق العربي لأشعار وشخصية سعاد الصباح.

وإذا كنت شخصياً قد عاشرت تفاعل التوانسة مع قصائد سعاد الصباح فإنني في أثناء زيارتي للمغرب في منتصف أبريل الماضي قد سئلت كثيراً عن دواوين هذه المبدعة الكويتية وكيفية الحصول عليها.

وبصرف النظر عن تقييم الشعراء لشاعرية سعاد الصباح، والذي أعتقد أنه -موضوعياً- لا يمكن إلا أن يكون لصالحها، غير أن المؤكد أن سعاد الصباح قد تربعت على عرش الشعر عن جدارة واستحقاق.

وإذا كان الشعراء في السابق قد بايعوا مبدعاً عربياً هو الراحل أحمد شوقي أميراً للشعراء فإن سعاد الصباح تستحق أن تباع أميراً لشعر الجنسين، ولن يكون كثيراً على سعاد الصباح أن تسمى "أميرة الشعر"، فلقد حصلت على ذلك بمرسوم جماهيري يمتد من الخليج إلى المحيط.

وسام الاستحقاق الثقافي من الرئيس التونسي¹

علي محمد المهدي²

يفخر المواطن الكويتي ويعتز حينما يشعر بأن هناك من يقدره وهناك من يحترمه ويكرمه، ولا شك أن المواطنين جميعاً سمعوا وشاهدوا وقرأوا أنباء تكريم أخت الرجال وبنت الرجال شاعرتنا الموقرة الدكتورة سعاد محمد الصباح، التي مُنحت وسام الاستحقاق الثقافي في ختام أمسية شعرية أقيمت في تونس الشقيقة مؤخراً

جاء هذا التكريم تقديرًا من الرئيس التونسي زين العابدين بن علي، للأدباء والشعراء الكويتيين من خلال الدكتورة الفاضلة سعاد الصباح، باعتبارها رمزاً من رموز الأدب الكويتي المعاصر، ورمزاً للمرأة في الكويت على وجه الخصوص.

جاء هذا الوسام الثقافي ليضاف إلى الأوسمة الكثيرة التي علقت على صدر شاعرتنا المحترمة، والتي استحقتها بجدارة متناهية، هذه الشاعرة التي طالما رفعت اسم الكويت عالياً في كل المحافل الثقافية والأدبية وفي كل الأمسيات الشعرية محلياً وإقليمياً وعربياً، تستحق أكثر من وسام وتستحق أكثر من جائزة.

إنها علم كويتي يرفرف فوق ساريات المنتديات الثقافية في الوطن العربي، وهي بذلك تقدم للعالم نموذجاً مُشرِّفاً للمرأة الكويتية المثقفة وللأدبية

1- مقالة نشرت في جريدة الوطن الكويتية في 9 مايو 1997.

2- كاتب وصحافي كويتي، عمل في صحيفة الوطن الكويتية.

الكويتية على وجه العموم

أنا من الذين يواظبون على حضور الأمسيات الشعرية التي تشترك فيها الأخت الفاضلة د. سعاد الصباح، ومن الذين يتذوقون شعرها المميز الذي يخدم الكويت على مختلف الأصعدة سياسياً وأدبياً وثقافياً واجتماعياً

إن لقصائدها الرائعة التي نظمتهها خلال فترة الاحتلال الغاشم لبلدنا العزيز الكويت الأثر البالغ في نفوسنا ككويتيين، لقد ساهمت هذه المرأة الكويتية بقصائدها ونثرها في إذكاء روح المقاومة الكويتية الباسلة أثناء محنة الغزو الآثم، وعمّقت روح الولاء والمحبة والتعاون بين جميع طبقات الشعب الكويتي، فهنئاً لشعب أنجب أمثال هذه الشاعرة، وهنيئاً لأسرة الخير بهذه المرأة الأدبية التي ترفع رأس كل كويتي وكويتية

إن تكريم سعاد الصباح هو تكريم للكويت وأهلها، و"تستاهلين" يا أخت الرجال.

ليت كل سعاد مثل سعاد شاعرة¹

محمد بخيت

أردت أن أبين للعامة خصال هذه المرأة التي تعمل بصمت للكويت وأهلها، ولديّ في ذلك ملف كامل عن مآثرها التي حرصت هي بدورها على أن لا يعلم عنها أحد، ولو أنها تحب أن يتحدث عنها وعن أفعالها البيضاء الناس لقلت وفصلت تفصيلاً قد يتعجب منه الكثير من الناس إلا من عرفها

إن هذه الشاعرة بوقوفها بشموخ أمام الحاضرين تلقي أشعارها وكلماتها المحلاة بالدرر رفعت اسم الكويت في كل محفل شاركت فيه، بل إن تاريخ الكويت يشهد لها وقفها الشجاعة عندما وصل لعلمها أن الوطن العزيز قد احتل واستبيحت حرماته، فهبت كالرجال الأبطال تدافع عنه بقلمها وأشعارها معبرة عن رفضها وشجبها للاحتلال.

قبل أيام قلائل زارت هذه الشاعرة بلداً عربياً شقيقاً هو لبنان، ألفت من شعرها وقصائدها ما ألهمت به مشاعر الحضور، بل إنها استنهضت الهمم لوضعها أصابعها على سلبات الوطن العربي وتداعياته ودرجة الهوان التي وصل إليها، وكانت كاميرات التصوير تتفحص وجوه الحاضرين والحاضرات واحداً بعد الآخر، وكانت كلماتها ترسم على وجوههم بدقة متناهية لتعكس موضوع القصيدة سواء كانت رثاء أو غزلاً أو حتى مديحاً، وهذا

1- جريدة السياسة الكويتية - 4 يوليو 1997.

لا يتأتى إلا لفحول الشعراء ومن تمكّن وعرف كيف يتعامل مع الكلمة ويضعها في مكانها الصحيح.

ثم إن هناك أمراً أراه غائباً عن كثير من شعراء الوطن العربي وهو الإلقاء السليم والحرص على مخارج الألفاظ، فمن لم يجدهما فقد يقتل القصيدة وإن كانت من عيون القصائد، إلا سعاد فقد أجادت الإلقاء السليم ونطق الأحرف بوضوح والتعبير بصدق، وهو الأمر الذي أدهش الحضور وحاز على إعجابهم، حتى إنها ما تكاد تتوقف لالتقاط أنفاسها إلا وقد دوت القاعة بالتصفيق الحار.

أما نحن بالكويت فقد فرضت علينا هذه الشاعرة الإنصات والسكينة بالديوانية حتى من لم يسمع الشعر من قبل أو يتذوقه كان يقول: لا فضّ فوك يا سعاد.

فهنيئاً للكويت بسعاد، وهنيئاً لسعاد بالكويت، وإن من الشعر لحكمة ورسالة بليغة.

ليست النائحة الشكلى مثل النائحة المستأجرة¹

د.عزيزة المانع²

تحدّث كثير من الشعراء بلسان المرأة، وتطوعوا للتعبير بأقلامهم عما تحسه هي، وتعانيه هي، وتعيشه هي، لكنهم جميعاً لم يفلحوا في نقل صدق الأحاسيس النسائية، فكما يقال: “ليست النائحة الشكلى مثل النائحة المستأجرة”، ولن يستطيع الرجل مهما أوتي من دقة الملاحظة ورهافة الحس أن يستشف ما في نفس المرأة كالمرأة نفسها

وليلة السبت الماضي كانت ليلة يعلو فيها صوت المرأة، حيث اعتلت الدكتوراة الشاعرة سعاد الصباح المنبر تشدو باسم ملايين النساء العربيات، اللاتي يبحثن عن الحق، ويتلهفن إلى العدل، ويحلمن بأن يعم الهدى فيرى الضالون قبح الضلال، ويلمس المنحرفون اعوجاج الطريق.

في تلك الليلة اكتظ مبنى السفارة الكويتية في الرياض بأعداد النساء البارزات في المجتمع، جئن ليحظين بالاستماع إلى الدكتوراة سعاد الصباح وهي تحيي أمسية من أجمل الأمسيات وأمتعها.

1- جريدة عكاظ 12 ديسمبر 1997.

2- أمانة “جائزة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن للتميز النسائي”، وأستاذة التربية في “جامعة الملك سعود”، وعضو مجلس الإدارة وعضو مؤسس في “جمعية رعاية الطفولة” منذ 2011، كما تشغل عضوية مجلس إدارة الجمعية السعودية لكتاب الرأي “رأي”، و”هيئة الأدب والنشر والترجمة السعودية” منذ 8 يوليو 2020، إضافة إلى كونها عضواً في “جمعية فلسفة التعليم” في المملكة المتحدة، و”المؤسسة الأميركية لعلم الاجتماع”. أصدرت كتابين هما: “زامر الحي”، و”أحاديث في التربية”، كما نشرت عدداً من الدراسات التربوية والأبحاث الأكاديمية في مجلات علمية محكمة، وتحرر عموداً يومياً في “صحيفة عكاظ” بعنوان “أفياء”

أَلقت الشاعرة عدداً مختاراً من قصائدها ذات المواضيع المختلفة، إلا أنها جميعاً كانت تتحدث بلسان المرأة وإلى المرأة وعن المرأة، وقد أحسنت الشاعرة اختيار القصائد فجاءت معبرة عن معاناة المرأة في جوانبها المتعددة.

لقد قرئت في تلك الليلة باقة من القصائد الجميلة، سأختار منها قصيدتين أحبتهما كثيراً، الأولى بعنوان (عقوق)، تصور فيها الشاعرة سطحية بعض الرجال وتعاليمهم الجاهل على المرأة، وارتكازهم في ذلك على فهمهم القاصر لبعض الأحاديث النبوية. وأبرز مثال ما نراه من إصرار البعض الاستشهاد بقول الرسول صلى الله عليه وسلم عن النساء ”ناقصات عقل ودين“ الذي أراد به الإشارة إلى ناحية معينة محدودة، فاستغله عامة الناس وجهالهم ليستشهدوا به على تفوق الرجال العقلي على النساء، تقول القصيدة:

يَرْضَعُ الطُّفْلُ مِنْ ثَدْيِي أُمُّهُ

حَتَّى يَشْبَعَ ..

وَيَقْرَأُ عَلَى ضَوْءِ عَيْنَيْهَا

حَتَّى يَتَعَلَّمَ الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ ..

وَيَسْرِقُ مِنْ كَيْسِ نَقْوِدِهَا

لِيَشْتَرِيَ عُلبَةَ سَجَائِرَ

وَيَمْشِي فَوْقَ عِظَامِهَا النَّحِيلَةَ

حَتَّى يَتَخَرَّجَ فِي الْجَامِعَةِ

وَعِنْدَمَا يُصْبِحُ رُجُلًا

يضعُ ساقاً فوقَ ساقٍ
 في أحدِ مقاهي المثقفينِ
 ويعقدُ مؤتمراً صحفياً يقولُ فيه:
 إنَّ المرأةَ بنصفِ عقلٍ..
 وبنصفِ دينٍ..
 فيُصفقُ له الذُّبابُ
 وجرسوناتُ المقهى..

أما القصيدة الثانية فهي بعنوان (أنثى 2000) تصور موقف امرأة اختارت حمل المسؤولية رغم ما يتطلبه ذلك من مشقة وعناء. فهذه المرأة رغم أنه كان بمقدورها الركون إلى الترف والرفاهية والتشبث بالدعة والسكون فضلت المشقة، لأنها آمنت بقيمة وجودها في الحياة، فركلت بقدمها كل التوافه التي يريد البعض أن يكبل بها النساء، وأثبتت للعالم أن المرأة بإمكانها أن تكون شيئاً آخر غير الدمية، تقول أبيات القصيدة

قد كانِ بوسُعي
 -مثل جميع نساء الأرض-
 مُغازلةُ المرأةِ
 قد كانِ بوسُعي ألا أفعلَ شيئاً
 ألا أقرأ شيئاً
 ألا أكتبَ شيئاً
 أن أفرِّغَ للأضواء.. وللأزياء.. وللرحلات..

قد كَانَ بُوسُعي
أَنْ أَبْتَلَعَ الدَّمَعَ
وَأَنْ أَبْتَلَعَ القَمْعَ
وَأَنْ أَتَأَقْلَمَ مِثْلَ جَمِيعِ الْمَسْجُونَاتِ
لَكِنِّي خُنْتُ قَوَانِينَ الْأُنْثَى
وَاخْتَرْتُ مُوَاجَهَةَ الْكَلِمَاتِ ..

فللدكتورة سعاد الصباح من كثير من النساء باقة خالصة من الحب والامتنان على تلك الأمسية البديعة التي نفثت فيها الشيء الكثير من مكنونات الصدور.

وللسفارة الكويتية ممثلة بالشيخة عائدة الصباح حرم السفير الكويتي عظيم التقدير وجزيل الشكر لهذه المساهمة الجميلة في ربط النساء العربيات وإتاحة الفرصة لهن في اللقاء.

وللدكتورة وسمية المنصور همزة الوصل الرائعة خالص حبنا وشكرنا، فهي برقتها ودمائة خلقها استطاعت أن تنشر السعادة في قلوب الكثيرات.

نشرة أخبار غير شعرية عن سعاد الصباح¹

خالد القطمة²

عندما يسافر أحد أفراد أسرته أو واحد من أصدقائه ترافقه الدعوات بالسلامة في ذهابه وإيابه.

قلة من الناس يرافقهم الممرض خلال سفرهم، فلا يبقى أمامك غير الصلاة إلى الله أن ينعم عليهم بالعافية ليعودوا سالمين، وخلال عام ونصف العام، وبعيداً عن الضوء والعين، كانت سعاد الصباح تحمل حقائب آلامها وتغيب فتلحق بها همسات الشفاه الزرقاء ونظرات العيون الصفراء.

وما من يوم يمضي إلا وأسمع رذاذ الإشاعة، بعيدة عن البراءة وعن القلق الصادق، تضرب أذني، فأكتم غيظي ولا أبوح بما أعرف من تفاصيل سفر السيدة النبيلة وأين تكون. في مرات كانت الإشاعات قبيحة، ولكنها تجتمع كلها لتصب في خانة الحسد والغيرة.

هذه المرة لم يكن الأمر قابلاً للصمت، ففي الوقت الذي كانت فيه طبول الخبثاء تقررع مني الروح، وجدت أن من حقها علي، وعلى الألوفا،

1- القبس 13 نوفمبر 1998.

2- صحافي وشاعر وكاتب سوري. أنهى دراسته العالية بدرجة الماجستير في الجامعة الأميركية ببيروت. عمل في الصحافة اللبنانية والسورية والكويتية. بدأ مشواره الصحافي في يوليو عام 1955 في لبنان، ثم هاجر إلى الكويت في 1963 فأقام فيها وتولى منصب مدير التحرير لعدد من الصحف والمجلات الكويتية، عمل في جرائد الهدف، والوطن، كما أصدر الأنباء عام 1976، عمل منذ 1991 مديراً عاماً لدار سعاد الصباح للنشر والتوزيع. يعد من مؤسسي الصحافة في الكويت وكان عضواً في الحزب السوري القومي الاجتماعي من 1953 حتى وفاته

أن يعرفوا أنها في المستشفى للعلاج من التهاب حادّ أثر على الرئة، لم تظهر بوادره حين كانت في مستشفى «مايو» في الصيف أو في المصحّ القريب من لندن.

كنا نتحدث عن عودة قريبة إلى الوطن..

«الحقيقة ضاق خلقي من السفر، ولكن ماذا أفعل مع الأطباء؟ ها أنا أدخل المستشفى لأغادره إلى المصح ثم إلى الفحوصات من جديد»، تضحك: «أصبحت نزيلة مستشفيات، غداً سيجري التقاط صور الأشعة وبعدها أعود بإذن الله»، ولكن بعد يومين كانت تقول: «جاءني هذا الفيروس خلال أدائي عمرك السنوية! على كل حال قرر الأطباء إدخالني المستشفى في لندن وغداً أذهب إلى هناك».

وفي اللحظة، التي كانت فيها الدكتورة سعاد الصباح تفتح باب غرفتها في مستشفى «كرومويل» اللندني كان هناك من يسألني في شأنها ويمارح في تحليل سفرها.

عجيب أمر عباد الله! لا يرحمون ولا يودّون رحمة الله تنزل على غيرهم، عشرات الهواتف في كل صباح تسأل؛ مؤسسات ثقافية ومنتديات عربية من المغرب إلى البحرين ترغب في استضافتها للمشاركة في ندوة أو في مؤتمر أو تطلب إليها إحياء أمسية شعرية، واتصالات أخرى من الوطن العربي تسأل عن صحتها وسبب عدم مشاركتها في المنتديات الثقافية والسياسية والاقتصادية التي كان لها فيها حضورها المستنير لتمثيل وطن عشقته حتى الثمالة، ورود وفاكسات للاطمئنان، والصلاة ممن أحبوها، هذا عدا مئات الهواتف والرسائل التي تطلب يد العون من خالق العباد، ومن فضله على سعاد الصباح.

كل ذلك وهذه الإنسانية رائعة الروح ترقد في المستشفى هناك، بالكاد يأتي صوتها الذي نعرفه على مدى عشرين عاماً، عالياً في كلمة شعر أو في منتدى للفكر.

كل ذلك وسعاد الصباح تلتقط أنفاسها من رئة متعبة بينما يسألونك: «شو أخبارها؟ باينتها طولت!».

هذه هي أخبار سعاد الصباح، وآمل أن ترتاح نفوس الضعفاء وتهداً تساؤلات الخبث بالتواء اللسان.

سلامات يا أم الخير كما كان يحب أن يناديك كل من أبيك وزوجك.. يا التي نحب كما يؤبؤ العين.

سلامات لك نقولها من القلب ونحن على اليقين أننا سوف نلتقي على الخير أبداً، لأنك من أجل خير الآخرين تتعب منك الرئة والصدر والصوت. إن شموع الحياة أقوى من المرض، فكيف إذا كانت تحوطها صلاة المؤمن، وأنت والله لا تتركين صلاة يوم، فكم مرة قطع صوت المؤذن حديثنا لتقومي إلى غرفتك ترفعين لله وحده الصلاة ولله وحده الدعاء. السلامة لك مكتوبة أيتها الرائعة، لأن الأفواه لا تنطق بها، بل الأرواح المسكونة بالوفاء يا أم الوفاء.

هذه المرة سوف نصدر نشرة طبية تقول: عادت سعاد الصباح إلى أسرتها وإلى وطنها وإلى محبيها، وكثيرون هم، كثيرون من الماء إلى الماء، يا نهراً من المحبة، ونهراً من النقاء

أميرة الحب¹

سارة المطيري

عادت سعاد الصباح إلى الكويت.. عادت بهدوء كعادتها دون ضجة أو بهرجة.. عادت ابتسامة الكويت وطبيعتها، عادت تحضن هواء الوطن وتعانق ترابه.. عادت بجمالها وروعها، عادت أميرة الحب والكرم والأخلاق والرفعة.. عادت هذه المرأة التي لم تأخذ حقها في وطنها من التكريم والاهتمام.. وهي التي طالما أعطت وبذلت وسخت دون انتظار لمردود. هذه المرأة التي لم تبخل يوماً في مساندة المحتاجين، ونصرة المظلومين، فقد شجعت المبدعين، ودعمت الثقافة والمثقفين، ولهذا تستحق منا كل تقدير واحترام وإعجاب.. وتحية.

عادت نسمة الحب في زمن التطاحن، ورجاحة العقل في زمن التخبط، ونصيرة الضعفاء في زمن البقاء للأقوى.

فحمداً لله على سلامتك يا أم مبارك، وأهلاً بك في وطنك، وحصنك الدافئ وحصنك الحصين..

أهلاً بك أيتها القمة الشامخة..

وشكراً لمجلتنا "الحدث" التي اهتمت وحرصت أن تتابع أخبار د. سعاد الصباح، وكم كانت سعادتنا كبيرة باللقاء الذي أجري معها في "الحدث" في العدد 34.

1- مقال منشور في مجلة "الحدث" الكويتية - عدد 35 - يونيو 1999.

دار كويتية تستحق الإشادة¹

علاء الجابر²

دعم الثقافة والمثقفين لا يأتي بالطبع من الكلام بل من الفعل، والإصدار الذي بادرت إليه وأشرفت عليه د. سعاد الصباح من خلال دار النشر التي تمتلكها يأتي تجسيداً للدعم الحقيقي للمثقف في حياته لا بعد أن يودعنا ولا بعد أن لا يبقى للكلمة من أثر عليه!

وما فعلته الدار باحتفالياتها لتكريم فرسان الثقافة العربية أمر محمود، نتمنى أن يغار منه الآخرون فيحذوا حذوه، فالمثقفون هم صانعو الحضارات على مر السنين، وهم الذين يبحثون لمجتمعاتهم دوماً عن سبل الترقى والنهوض بالطاقات.

وإن يكن الاحتفاء من مؤسسة خاصة لا مؤسسة حكومية، فذلك ما يثلج قلب الفارس المكرم، لأن تقديره لم يكن تقديراً لأحد رجال المؤسسة الحكومية الذي تقلد ولسنوات مناصب فيها بل من زملائه وطلابه وأساتذته من المثقفين، ولعل النظرة الأسمى والأعمق في هذا التكريم أن يأتي من خارج بلده، من هذا القطر العربي الصغير الكويت ليبرهن على اهتمام الدار بالثقافة العربية ضمن مبادراتها الوفية بتكريم الرواد تقديراً

1- مقال منشور في جريدة الوطن الكويتية - عام 2000.

2- كاتب وناقد مسرحي، وروائي، ومدرب ورش في مجالات الكتابة المتعددة (مسرح - تلفزيون - إذاعة - صحافة). عُرف في الأوساط الأكاديمية والثقافية باهتمامه "بأدب الأطفال"، عمل في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت 1987 - 1990. وعمل في الصحافة الفنية ثم مشرفاً على الصفحة الثقافية في جريدة الوطن - الكويت 1988 - 2002. وله العديد من المقالات في الصحف الخليجية والعربية

لما قدموه في دعم مسيرة الثقافة العربية.

إن هذا الدور الذي تلعبه دار سعاد الصباح على مر تلك السنوات بتخصيص جزء كبير من ميزانيتها وأكبر من وقتها لتشجيع الثقافة على اختلاف مضامينها وتوجهاتها من مسابقة لدعم الطاقات الشابة المبدعة إلى إصدارات تشجيعية للشباب، إلى تكريم للرواد واحتفاء بهم، أمر يستحق الإشادة والشكر، فلقد دأب الأثرياء في أغلب مجتمعات العالم على أن لا يعرفوا إلا أنفسهم وأهاليهم، وأن لا يخصصوا أي مبلغ أو جهد منهم لدعم المشاريع التنويرية أو الاجتماعية سواء لمجتمعاتهم أو للإنسانية بشكل عام باستثناء أسماء قليلة أصبح العالم ينظر لهم بكل التقدير والعرفان، ومنهم في الكويت د. سعاد الصباح ورجل الأعمال عبدالعزيز البابطين والراحل الشيخ عبدالله المبارك الذين لم ييخلوا بمالهم أو جهدهم في سبيل دعم الثقافة في بلدهم وفي الوطن العربي.

الكتاب الصادر أخيراً لتكريم د. ثروت عكاشة كان محركاً لنا بحقٍ لنُشيد ونشدّ على يد هذه الدار متمثلة في المرأة التي تقف وراءها بكل ما تملك، ورجال الدار الذين لا يتوانون عن بذل ما يستطيعون لتنفيذ مشاريع الدار، وعلى رأسهم الأستاذ محمد خالد القطمة وطاقم فريقه جميعاً، وأذكر منهم الأستاذ علي الصباغ والسيدة هند محمد صالح، وكل فريق العمل الذي يشعل شموع الثقافة فينير لنا وللأجيال القادمة طريقها نحو عالم الحب والكلمة الحرة الصادقة.

«نادت سعاد» فهل في الكويت من سمعوا؟¹

محمد زهري حجازي

قرأت للشاعرة سعاد محمد الصباح قصيدة نشرت في مجلة «أخبار الأدب» المصرية وجريدة الحياة في وقت واحد يوم الجمعة في 10 كانون الأول سنة 1999 عنوانها «عزف منفرد على ربابة كويتية»، نظمت الشاعرة القصيدة متأثرة برفض مجلس الأمة الكويتي إعطاء المرأة الكويتية حقوقها السياسية

سعاد الصباح لا تبهر في الذاكرة، ولا تغوص في الأعماق، ولا تبحث عن معانٍ، فهي تأتيها عفو الخاطر، ولا دخل للأخيلة والرؤى والأحلام. سعاد تلامس في نصوصها الواقع، تحفر فيه أخاديد يكاد الحجر ينطق من وقع إزميلها، تنحت من الجلمود صوراً حية تشي بواقع موسوم بالقهر والتخلف.

نصوصها لا مراوغة فيها ولا مخاتلة ولا إغراق في الرمزية، على العكس ربما تصدم القارئ بصدقها وعفويتها، والقصيدة التي نحن بصددتها تندرج في ما يسمى بـ«الواقعية»، والشاعرة متأثرة بمدرسة نزار قباني، وتتبع أسلوبه في السجال وتكرار النص كلازمة ليستقيم الشعر وتحلو العبارة وينضبط الإيقاع، مثل قولها:

من الخرافات التي تسكنني..

من السكاكين التي تتبعني..

من الكوابيس التي ترعبني..

نجد في القصيدة تركيزاً على معاناة المرأة في مجتمع بطريكي ذكوري أبوي مازال للتأبؤ المقدس أثره في مجتمع قابع في عصور غابرة، مجاف لعصر التقدم العلمي والتكنولوجي، عصر الأقمار والإنترنت والعولمة وغزو الفضاء

سعاد الصباح فرادتها في نصوص تحاكي الواقع وتكشف زيفه.

تبدأ الشاعرة قصيدتها بالقول: «أنا من الخليج»، نص يدل على اعتزاز بالانتماء رغم المعاناة، بيد أنها تشعر كأنها هي جماد أو كالجماد لا نامة ولا حركة مستلبة، مستلة الروح والإرادة، خاوية من الأحاسيس.

أنا من الخليج..

اسم من الأسماء..

لا أثر لحياة هنا، «اسم» فقط، كأن تقول شجرة، صخرة، وتزيد على ذلك فتقول

جرح نسائي أنا..

ليس له بدء..

ولا انتهاء..

تفصح الشاعرة في هذا المقطع عن واقع راسخ متخلف نعيشه في أوطاننا اكتسب ديمومة لا نهاية لها، والسبب فيه العقل المجتمعي الذي يرفض الحداثة ولا يأخذ بأسباب التقدم «الحرية والديمقراطية»

قصيدة ممنوعة..

وردة سوداء..

ذرة رمل..

طحنتها الشمس والرياح والأنواء..

ماذا نجد في هذا النص؟ نجد لوناً رمادياً قائماً موشحاً بحزن ويأس
شديدين (جرح نسائي، وردة سوداء، حبة رمل، طحنتها الشمس)
من هذه المفردات تتكون امرأة كويتية من لحم ودم مجروحة، والوردة
التي تتزين بها سوداء. إنها امرأة مسلوبة الإرادة «شُيئت»، نُزعت عنها
صفاتها الإنسانية، هي من مستلزمات البيت، أمتعة وخزانة:

أنا من الخليج..

باحثة عن نخلة..

عن ثمرة..

عن عشب خضراء..

ترشني بالماء..

فلا أرى حولي سوى قبائل

تعودت أن تئد النساء..

أن تأكل النساء..

هي ذي الشاعرة تعود إلى الجاهلية الأولى، والحق أنها لا تريد أن تحكم
مجتمعاتنا مفاهيم مغلقة في القدم في الألفية الثالثة

ربابة مكسورة..

شيء من الأشياء..

أنوثتي فضيحة..

ثقافتي فضيحة..

كما قلنا من قبل كل النصوص تشي بقهر واضح وحرمان وفقدان لحقّ
الإنسان في الحياة، ذكراً أو أنثى، في أن يحيا على النحو الذي يحب
بعد النصوص الحزينة الرمادية نجد نصاً يشكل رفضاً للظلم السائد
وقمرداً عليه:

امرأة واثقة من نفسها..

مؤمنة بعقلها..

ترفضها الأرض..

كما ترفضها السماء..

يقال في بلاد بآني ذكية كظبية..

فكيف يمنعون أن تفكر الظباء؟

في هذا النص مَرَّ حوار جميل إذا توسعنا في تفاصيله نجد الشاعرة تحتج
قائلة: طالما تعلمون أنني امرأة واثقة من نفسها فلماذا تثقلون قيودكم
عليها؟ وأني ذكية كظبية والظباء تسير متنقلة في المنتجعات من حقل
لواذٍ بكامل حريتها فلم تحرمونا نحن النساء من الحرية؟

أنا من الخليج..

حيث الكتابات على أنواعها..

صِنَاعَةُ الرَّجَالِ..
وَكُلُّ مَا تَكْتَبُهُ الْأُنْثَى هُوَ اسْتِثْنَاءٌ!!
هَلْ كُلُّ مَا يَبْدِعُهُ رَجَالُنَا مُقَدَّسٌ؟
وَكُلُّ مَا تُبْدِعُهُ نِسَاؤُنَا..
يُجَانِبُ الْحَيَاءُ؟؟

هنا عودة إلى «التابو» الأبوي المقدس توكيداً على مجتمع الذكور.
نصوص سعاد لغتها جميلة مباشرة في معانيها ومدلولاتها، وهي تنعى
ما نحن فيه من جمود وتحجّر، والخطاب صادر عن ألم الشاعرة الممزوج
باللهفة إلى التغيير

أَنَا مِنَ الْخَلِيجِ..
لَوْلَوْ تَنَاؤُ فِي غِلَافِهَا..
عَرُوسَةٌ تُذَبِّحُ فِي زِفَافِهَا..
مَنْ يَا تُرَى يُطَلِّقُنِي عُصْفُورَةً..
فَطَالَمَا حَلَمْتُ أَنْ أَطِيرَ فِي الْفَضَاءِ..
فَمَا أَنَا جَرِيحَةٌ..
وَلَا أَنَا ذَبِيحَةٌ..
وَلَا أَنَا شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ!!

سطور هذا المقطع قبل الأخير تشي بثقل القيود، فالشاعرة تود أن تحلق
مثل طائر: «طالما حلمت أن أطير»، وتلجأ إلى التحريض كأي بها تنادي قوى
التغيير في الكويت قائلة: هبوا من سباتكم، ثوروا، قاوموا القوى الظلامية

التي تريد أن نظل نرسف في الأغلال «من يا ترى يطلقني عصفورة»

أنا من الخليج ..

وأعيني تخاف من أهدابها السوداء ..

حرّيتي ..

اسم بلا مُسمّى ..

وخيمتي محتومة بالشمع ..

لا يدخلها الحب ولا يدخلها الهواء ..

فما الذي أكتبه في وطن ..

يخاف من قصيدة الشعر ..

ومن رائحة الورد ..

ومن ثقافة النساء؟ ..

في هذا المقطع الأخير مفردات تتألق بالوجد والحب والحنين، مثل: قصيدة، وطن، حب، أهداب، هواء، ورد.. ولكن هذه المفردات مقرونة بأضدادها، وهذا سر جمالها، أما قيل: «والحسن يظهر حسنه الضد»!؟

امرأة خرافية هذه الـ "سعاد"¹

مسفر الدوسري²

سعاد الصباح.. امرأة ترتق ما ينفثق من جسد البحر.. تُقوّم ما يميل من قامات النخيل.. ترتب العشب، وأوراق البردي على جانبي الطريق، توزع الشعر على الفقراء والساسة والاقتصاديين و.. الغد المقبل سعاد الصباح.. امرأة غارقة في الشعر حد الثمالة، الشّع لديها يبرر الوسيلة.

تحلل النظريات الاقتصادية.. شعراً.. تنظر للثورات البيضاء.. شعراً.. تصادق شعراً، وتخاصم شعراً، أنشأت داراً للطباعة والنشر، ضمن سياسة طويلة الأمد تتبناها سعاد الصباح وتهدف لأن يصبح لكل مواطن قصيدة، وحب، امرأة خرافية هذه الـ "سعاد"!

مرّت بكثير من الحزن.. لم يكسرهما، حتى عندما كسا عينيها ببعض من وشاحه الشفاف، زاد تلك العينين جمالاً.. وضياءً، لكن.. لم يكسرهما! وهبت الشعر.. والأمل.. للضالين وأبناء السبيل.. ونسقت الزهور في آنية الوقت.. لم تزدها السنون ولا الأحزان رغم جبروتها إلا مزيداً من الوقار والسمو.. حتى لتكاد تشكّل أسطورة عربية، والحقيقة أن لسعاد الصباح

1- جريدة السياسة الكويتية 25 أغسطس 2000.

2- شاعر وإعلامي سعودي ترعرع في الكويت ثم انتقل إلى الرياض، أصدر أول دواوينه الشعرية في الثمانينيات بعنوان (صحارى الشوق)، وله عدة دواوين أخرى. أصدر كتاباً بعنوان «ما لم أقله شعراً» يتضمّن 40 مقالة، كان نشرها في جريدة «الجريدة» بين عامي 2007 و2009.

من السمات الأنثوية والفكرية ما يؤهلها لأن تكون رمزاً أسطورياً موحياً،
يثيري ليالينا الشتائية بالدفء.

ومناسبة الشعر.. نقول لسعاد الصباح.. من قلوبنا الصادقة: كل عام
وأنت بخير.. كل عام وأنت.. ترتقين جسد البحر.. وتقومين ما يميل من
قامات النخيل.

خنساء العصر¹

فواز الشمري

حين نذكر الشاعرة الدكتورة سعاد الصباح نحسّ بجذورها الضاربة في عمق التاريخ، فهي تجعل تاريخنا حياً يعيش معنا وبيننا.. فمن قال إن الخنساء ماتت؟! لا لم تمت، فهي شاعرتنا تترجم جروحها لتكون خنساء هذا العصر

إن معادلة سعاد الصباح سهلة ومعقدة، أو هي السهل الممتنع، ومن يتعمق في قراءة شعرها يحس بأنه غط فريد من الشعر، فهي قبل أن تكتب الشعر شاعرة بالفطرة، وفي حديثها وأنفاسها ولفاتها هي الوجود كله .

بشعرها الخالد الذي طبعته فأخذت بيده وارتحلت معه، وطارت به وطار بها عبر فضاءات لازردية بين السحاب والغيوم، إن مملكتها هي الشعر ونجومه وطيوفه وألوانه، هذه هي المملكة التي تربت عليها شاعرتنا بكل اقتدار، فلم يكن يصلح إلا لها هذا الشعر البحر العظيم المتلاطمة أمواجه، لا يركبه كل من شاء، ولا يبحر به إلا القلة النادرة في هذا العصر وفي كل عصر، والشعر موهبة يهبها الخالق لمن يشاء.

إن المتذوق لشعر هذه الشاعرة يحس به قبل أن يفهمه، فهو يخطف القلب أولاً، وباعتقادي أن القلب هو الحكم على العقل دائماً، لأن القلب

1- جريدة السياسة الكويتية - 28 أبريل 2001.

هو الفیصل فی کل الأحوال والأحیان.

أجمل ما فی شعر سعاد الصباح هو ابتعاده عن سفاسف الأمور إلى فضاءات الطهر، وأجمل من ذلك كله امتزاجه بالأمومة، وهل الأمومة إلا حب مضاعف؟

ومن منا لم یسمع قصائدها حین كان وطنها محتلاً یئن تحت جنازیر دبابات الغدر، كنت أحس بأن شعرها توءم لكل الأسلحة التي تقذف الأعداء، والقاسم المشترك فی كل قصائدها أنك لا تمل قراءتها أو الإنصات إليها، هذه هي المعادلة الصعبة التي تجعل قصائدها حية على مر السنین. وإن كانت الدموع هي أصدق تعبير لمشاعر الإنسان، فإن الرثاء هو أرق وأصدق أنواع الشعر، فإذا كانت الخنساء فی الجاهلية قد سطرت أروع المراثیات فإن د.سعاد الصباح هي خنساء العصر بما سطرته فی أبيات الرثاء عندما رثت ولدها مبارك وزوجها الراحل الشیخ عبدالله المبارك.

هذه هي الإنسانية سعاد الصباح التي لم یتغیر جوهرها الطیب حتی وإن سبق اسمها لقب تستحقه سواء كانت الشیخة أو الدكتورة، لا يمكن أن نفيها حقها.

لقد أعانت مئات المحتاجین والمرضى، والیوم هي بحاجة لیس للمال بل أن نذكرها، وندعو لها أن یبقیها ذخراً لوطنها وأمتها.

تحية إعجاب عراقية إلى برنسياسة لشعر كويتية¹

سيار الجميل²

كيف تموت نخلة بلا سبب؟
هل أعجمي يا ترى قاتلها؟
أم عربي جاء من أرض العرب؟
سعاد

الدكتورة سعاد الصباح شاعرة وكاتبة وأديبة وناقدة، ولدت في 22 مايو 1942، وهي الابنة البكر لوالدها الشيخ محمد الذي ينتمي لآل الصباح الكرام حكام الكويت

وفي عام 1973 حصلت على بكالوريوس الاقتصاد في جامعة القاهرة، ثم حصلت على الماجستير والدكتوراه في الاقتصاد والعلوم السياسية من جامعة ساري جلفورد بالمملكة المتحدة، وأطروحتها: التخطيط والتنمية في الاقتصاد الكويتي ودور المرأة.

وهي عضو مجلس مؤسسة التعاون بجنيف، وعضو مؤسس للمؤسسة

1- جريدة السياسة الكويتية 14 مايو 2004.

2- كاتب ومؤرخ عراقي، ولد في الموصل 1952. كان جده علي الجميل صحفياً في الحكومة الوطنية 1921 قبل تشكيلها وأحد الوجوه الثقافية في الموصل آنذاك. أكمل سيار دراسته الأولية في الموصل ودخل كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم التاريخ وتخرج فيها عام 1974. حصل على الدكتوراه في التاريخ الحديث للشرق الأوسط من جامعة سانت أندروز بإنجلترا عام 1982. عاد إلى العراق وانتسب تدريجياً للتاريخ الحديث في كلية الآداب عام 1984، غير أنه عمل محاضراً في العديد من الجامعات العربية، منها جامعة تونس الأولى وجامعة وهران في الجزائر وجامعة الحسن الثاني في المغرب

الثقافية العربية بلندن، وفي جمعيات ولجان تنفيذية واتحادات ومجالس أمناء محلية وعربية ودولية، وقد منحت درجة الزمالة من كلية سانت كاترين بجامعة أكسفورد، وأسست دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع. شاركت في معظم فعاليات المؤتمرات الخاصة بالمرأة والطفولة والمنتيات والمهرجانات الثقافية والشعرية في الكويت، وعلى امتداد الوطن العربي.

وخصصت جوائز للشباب؛ الأولى جائزة الشيخ عبدالله مبارك الصباح للإبداع العلمي بفروعه المختلفة، والثانية جائزة سعاد الصباح للإبداع الفكري بفروعه المختلفة، والثالثة جائزة لشباب الأرض المحتلة.

شاركت في معظم فعاليات المؤتمرات الخاصة بالمرأة والطفولة، والمنتيات والمهرجانات الثقافية والشعرية محلياً وعربياً، من مؤلفاتها الاقتصادية:

التخطيط والتنمية في الاقتصاد الكويتي ودور المرأة، أضواء على الاقتصاد الكويتي، أوبك (بين تجارب الماضي وملامح المستقبل)، السوق النفطي، أزمة الموارد في الوطن العربي، المرأة الخليجية ومشاركتها في القوى العاملة.. وغيرها.

ولسعاد الصباح العديد من المقالات الأدبية والسياسية والاقتصادية، والقصائد الشعرية المنشورة في الصحف والمجلات المحلية والعربية.

أما دواوينها الشعرية، فهي:

من عمري (1964)، أمنية (1971)، إليك يا ولدي (1982)، فتافيت امرأة (1986)، في البدء كانت الأنثى (1988)، حوار الورد والبنادق (1989)، برقيات عاجلة إلى وطني (1990)، هل تسمحون لي أن أحب وطني (مجموعة مقالات) (1990)، آخر السيوف (1991)، قصائد حب (1992).

• أنا والشاعرة سعاد

أتذكر أنني اقتنيت ديوان شاعرتنا الموسوم بـ(أمنية) وأنا أحد طلبة كلية الآداب، وكنت أردد مقاطع منه من وقت لآخر..

وبعد سنوات طوال قرأت (الفتافيت)، ووجدت نفسي في حالة شعرية من نوع آخر.. وبقدر إعجابي بشعر سعاد وأدبها الراقى، فقد كنت أدرك وأنا أسمعها وهي تلقي شعرها هناك في وطني وأنا بعيد عنه مدى اعتزاز هذه المرأة بالعراق والعراقيين وهي تتغنى بقصائدها ليس في مدح الرئيس الطاغية، بل تعبيراً منها عن عشق العراق إبان تلك الأيام القاسية من عمر ذلك الوطن الجريح، إذ كنت أقول لنفسي دوماً: إن كل هذا الثناء والتفخيم والتعظيم لم يكن للديكتاتور المتوحش، فهي ليست كبقية الشعراء والشاعرات العراقيين والعرب الذين يريدون التقرب زلفى بمدحهم من أجل أن يطعمهم ويسقيهم ويتلقوا مكافآتهم على أبوابه!! وكنت أحتار في أمر هذه الشاعرة المرفهة الرقيقة، أفسر مواقفها في حب العراق ليس إلا، وهي كانت تسمع وترى وتدرّك ما الذي يحدث من مأس للعراقيين، وكم سقط من فلذات أكبادهم في الحروب التافهة والشنيعية في آن واحد.

كنت أتمنى على الجميع أن يصمتوا قليلاً كما كنت صامتاً أكظم الغيظ مع بقية أقراني العراقيين.. فالصمت علامة رائعة في قاموس النضال ضد ذلك الجبروت وكل الجبارين المرعيبين.

ومرت الأيام ثقيلة وبليدة حتى اشتعلت الحرب الطائشة المجنونة من جديد، ولكنه يغزو جارتنا العزيزة الكويت الآن.. وفي غضون ساعات، احتلها بقسوة ورهبة وسط ذهول كل العراقيين والعالم على الإطلاق..

كنت حزيناً قنوطاً، ومثلي ملايين العراقيين لهذا الفعل السيئ غير المبرر، والذي سيكلف العراق والعرب كثيراً، في حين صفق المصفقون العرب لتلك العملية المخزية التي لا يختلف على جرميتها الشنعاء اثنان! ولكن هل باستطاعة أي عراقي أن يتنفس ويعترض ويحتج؟؟

ولم أتذكر -والله يشهد علي- في تلك اللحظة المأساوية الحرجة إلا أصدقائي الأعزاء من الكويتيين الطيبين، كما كانت صورة الشاعرة سعاد الصباح لا تفارق مخيلتي أبداً! كنت أقول لنفسي: هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ ومضى الزمن الصعب الذي عانى منه الإخوة في الكويت ما عانى منه كل العراقيين أزماناً كالدهور..

ولكن الكويت العزيزة تحررت من قبضة الجلاذ الطاغية، ورحت أبحث عن وسيلة لأبارك لأصدقائي هناك، فأوصلت لهم كلماتي بخفية وذكاء، بل استطعت أن أهدي مكتبة جامعة الكويت بعض إصداراتي بيد هذا أو ذاك، إذ كانت الكويت قد منعت دخول أعمال المؤلفين العراقيين.. مع متابعتي لتصريحات الشاعرة سعاد وقصائدها الجديدة التي تتغزل فيها بالكويت.

كنت أفكر أنها تكظم غيظاً تجاهنا نحن العراقيين، علماً بأنني التقيت بأصدقائي العديدين من الكويتيين بعد زمن، ولم أجدهم إلا كما كانوا منذ زمنهم الأول إخوة أحباء بدؤوا يشاركوننا آلامنا وجروحنا وأحوالنا الصعبة، ولكن استمر معي هذا الهاجس إزاء الشبيخة الشاعرة سعاد حتى التقيت بها في واحد من ملتقيات منتدى الفكر العربي، ولكنني لم أتجاذب معها أطراف الحديث، إذ كانت أعين الرقباء والجواسيس العرب تترصد كل شاردة وواردة عني، ولكنني عرفت كم تمتلك هذه الأميرة العربية

من اللباقة وحسن المعاني وسمو المزاياء، وكانت كلماتها تخرج عنها بلشغة محببة، جميلة ساحرة كأنها الشعر..

ومرت أربع سنوات حتى تكلمت معها قبل قرابة سنتين هاتفياً وأنا أدعوها لحضور ندوة كنت مكلفاً إعدادها، ولما عرّفْتُها بنفسي قالت: العراق يعيش مع كل العراقيين الطيبين في أعماق قلبي! فشكرتها شكراً جزيلاً على عواطفها النبيلة، ورحنا في حديث عن العراق، وقد عرفت وأدركت أنها كانت عندما تكتب قصائدها فهي تكتبها للعراق، إذ إنها عاشقة للعراق وأهله، ولم تزل هكذا، فشكرتها وباركت لها موقفها الرائع.

• العراق والكويت

لم أسمع في أي يوم من أيام حياتي بشراً عراقياً يذكر الكويت والكويتيين بسوء.. ولقد صعقني غزوها من قبل صدام وعصابته الشريرة، وتبلور عندي موقف صارم من الغزو رافضاً أي مشاركة لتأييد النظام السابق في هذه العملية الغادرة.. في حين وجدت على الخط المعاكس العشرات من الأدباء والكتّاب العراقيين والعرب الذين رقصوا وصفقوا للطاغية الذي حقق شعار (أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة..)

كان العقل غائباً تماماً على مدى سنوات، وكان كل الذين يصفقون للعدوان والبغي من حولي خارج الزمن، وكم سمعنا من تمجيد للديكتاتور، وبنفس الوقت من تحدٍّ للعالم كله..

ومن غرائب ما حصل ويحصل أن أحدهم كان يؤيد الغزو والعدوان وهو مؤرخ عربي.. منح في العام الماضي جائزة كويتية!! ومن غرائب وعجائب الزمن أن يتهم كل من وقف ضد الغزو بالعمالة للأمريكان وقتل العروبة! والدنيا عجائب وغرائب وللشعر حالات ومصائب.

لم أر الكويت أبداً، وكم كنت أتمنى أن أراها نظراً لما هو مغروس في عقلي ووجداني عنها، وكم أجدُّ لأكتشفها من خلال قراءتي شعر برنسيصة الشعر سعاد الصباح، فهو يذهب بي أكثر من مرة إلى الكويت ولا يرجعني.. وفي كل مرة أو في كل قراءة أكتشف شعباً حيواً يجاورني منذ الأزل وهو يحسن المعاملة والعيش ويحسن التجارة ويقرأ كثيراً..

ويعود سر نهضة الكويت المعاصرة إلى الجهود التاريخية الرائعة التي بذلها صاحب السمو المغفور له الشيخ عبدالله السالم الصباح الذي حكمها أميراً وحقق استقلالها، وبدأت حياتها النهضة على عهده الذي عاصر مرحلة تاريخية من الحياة العربية..

وإنني أقول بأن إبداع سعاد الصباح هو واحد من نتاج وارث من النهضة الرائدة التي تتمتع بها بين أبناء جيلها الرائع.

• سعاد برنسيصة شعر كما قرأتها!

هذه الشيخة الكويتية الفاضلة سليمة بيت حاكم قديم، يبدو من خلال قراءة شعرها أنها تختار كلماتها وألفاظها من معين ينبض بالحركة والمشاعر الفياضة، وتلبسها كل البسمة، وتنبعث منها جملة من المعاني الساحرة الثرية.

لديها ثقة عالية بالنفس تمنحها القوة والمنعة والشخصية المؤثرة المحببة من قبل كل من يسمعها أو يلتقي بها! ويبدو لي أنها كانت ولم تزال تحيا وتعيش من أجل أن تقرأ الشعر وتصوغ قلائده. إنها في شعرها تحلم كما يحلم باقي الشعراء.. وإنها لا تخاف من بث خواطرها وهمومها.. أراها في العديد من قصائدها التي تلقيها بصوتها المتميز أميرة تمتطي ناقة بيضاء وهي تعتكف وحدها لتطل من هودج بين الفينة والفينة بعينيها

الدعجاوين اللامعتين، ومن حولها الأميرات الساحرات ينصتن وهن يسمعن
ترديد القصيد الذي يتهادى بأصدائه، وهن يؤدين طقوسهن عند البحر.
سعاد تعشق البحر عشقاً لا يبارى أبداً.. تناشد كل من لا يعرف البحر
أن يعرفها ليعرف البحر من خلالها.

لا شك أنها أبدعت في خلق الشعر، ولا شك أنه يسيطر على قصيدها كمّ
هائل من الصور الشعرية واضطرام العواطف الرقيقة النبيلة.

أقرأ شعرها في ساعة معينة من أعماق الليل، وأتساءل عن مصادفات
هذه الشاعرة التي جعلتني أذوق العربية بنكهة البحر والإيقاعات
الكويتية الهادئة التي تمتص المصاعب والتقلبات والأهواء.

وأخيراً، أقول: إن هذا ما أردت أن أسجله عن هذه الشاعرة الرائعة
التي أحیی ذكرها لمناسبة حصولها على واحدة من الجوائز في العاصمة
اللبنانية بيروت كما سمعت ذلك أخيراً، متمنياً لها دوام التوفيق وموفور
الصحة والإبداع.

كما ينبغي للروح أن تكتب¹

عمر إدلبي²

من «أمنية» بدأت رحلتها إلى حدود الشمس، ولا نملك إلا أن نعترف بأن حورية الشعر الخليجي سعاد الصباح فتنت أجيالاً متعددة من قرائها في رحلتها النورانية تلك، فترك عشاق شعرها لكلمات مزجت بماء الروح أن تحلق بهم عالياً

في مطلع السبعينيات، ولما كانت الشاعرات العربيات يتلمسن طريقاً غير الذي اختطته الرائدة نازك الملائكة، في ذلك الزمن العربي المترنح هزائم، رمت سعاد الصباح حجرها الشعري الأول «أمنية» في ماء المشهد الشعري العربي، فارتدت الموجات سكرى.

أطربت مجموعتها الأولى قلوب البعض بتحفظ، وقبل أن يرتد إليهم طرفهم أتهم بعرضها محمولاً على مجموعتي «إليك يا ولدي» و«فتافيت امرأة»، وعندما كان الوسط الأدبي يفكر بتتويجها أكدت مجموعتها «في البدء كانت الأنثى» أنها ليست ومضة شعرية عابرة.

1- جريدة أوان الكويتية - 8 سبتمبر 2009

2- من مواليد دمشق 1970، يحمل إجازة في الحقوق من جامعة دمشق، وهو صحفي، وشاعر، وناشط سياسي، ورئيس تحرير موقع حرية برس. عمل في العديد من الصحف والمؤسسات الإعلامية، منها جريدة أوان الكويتية، مما صدر له: حان وقت الغيم / شعر / دائرة الثقافة والإعلام في حكومة الشارقة / 2000م. غيم على شباكنا / شعر / اتحاد الكتاب العرب / 2003م. يعلقني قمراً وبنام / شعر / اتحاد الكتاب العرب / 2005م. وقد حاز على جوائز أدبية منها جائزة الدكتور سعاد الصباح للشعر عام 1999م. جائزة الشارقة للإبداع العربي / الشعر / عام 2000م

وكما هي عادة النقاد المرتابين في كل نتاج فني أنثوي، فما بالك بشاعرة من الخليج، انتظروا لتطمئن قلوبهم، ولم تتركهم ابنة الكويت ينتظرون طويلاً، فصرعتهم عيون قصائدها النجل في مجموعتي «قصائد حب» و«برقيات عاجلة إلى وطني»، وعندئذ سقط في أيديهم، وبهت الذي كفر! لكن التطور الملحوظ في تجربتها الشعرية لم يطمئن للإشادات التي تلققتها من هذا الناقد أو ذاك، فتابع مسيرته في «آخر السيوف» مروراً بـ«امرأة بلا سواحل» وصولاً إلى «خذني إلى حدود الشمس».

ولأن قراءة تجربة غنية متنوعة المضامين والأشكال التعبيرية، كما هي تجربة شاعرتنا تحتاج إلى صفحات بعدد كلماتها، فإن هذه الرؤية النقدية تحاول ما استطاعت أن تكثف وتلخص.

بخلاف ما اختطته الحداثة الشعرية على يد جماعة مجلة شعر، من هدم وتفكيك للأنساق الشعرية العربية من جهة، وبخلاف ما كرسه شعراء التزام الأيديولوجيات من خطاب تعبوي مشدود إلى أنماط (ثورجية) فجّة من جهة أخرى.

بخلاف هذين المذهبين قدمت سعاد الصباح نصها الشعري بعفوية وتلقائية، تاركة للغة أن تعبر عن الخيال والعاطفة، والذات والموضوع، والمحسوس والمجرد، والواقع والحلم، بلا رتوش ولا إكراهات.

وإذا كانت الشاعرة ليست السبّاقة في ابتكار هذا الخط الشعري، لأن نزار قباني سبقها إلى مجد مسح غبار قرون طويلة من الأنماط الجاهزة عن وجه القصيدة العربية، أولاً، وصم أذني قصيدته عن ضجيج دعوات أدونيس والخال وأنسي الحاج وسواهم من أنصار عاصفة التغريب، فإن ركوب الشاعرة هذا المركب الصعب بعد أن شهدت بأم عينها ما لقيه

نزار من متاعب على أيدي الأبواق الإعلامية للطرفين النقيضين يجعلنا نحتسبها في عداد القابضين على جمر صدقهم، مع ذواتهم ومع فطرة الذائقة الشعرية العربية

تفصح قصيدة سعاد الصباح عن وعي ذكي بضرورة الاشتغال على المضمون الفكري والرؤية الذاتية الخالصة بأدوات اللغة البسيطة المتداولة وشحنها بعاطفة تثور على سجانها وتتجاوز بصدقها حدود خيال المتلقي، لتصبح القصيدة بذلك (ممكناً) قابلاً للتحقق، يقرر القارئ -وهو يرتاد آفاقه الرحبة- أن هذا (الممكن) ما هو إلا حلمه الذي لطالما فكر بإلقاء شبابه لاصطياده، وتراجع ظناً منه أنه المستحيل.

هي معادلة السهل / الممتنع إذن، طرفها الأول يتمثل في لغة شفافة، لا تتمتع بالغموض الخفيف إلا لتزداد فتنة، ولا تتخفى إلا لتدهش عندما تظهر، أما طرفها الثاني فهو صياغات تعبيرية تتجاوز مألوف الكلام العادي، وتقف على تخوم المسكوت عنه تدعو وعي المتلقي بهمس وجداني، وربما بنزق أحياناً، لخوض غمار القول في هذا (المسكوت عنه)، كخطوة أولى ليجرب مفاتيحه الخاصة في أقفاله الصدئة.

ولأن مذهباً كهذا في الشعر يقتضي صياغة دقيقة وحساسية عالية في توازن كفتي الميزان، فإن السقطات واردة، والاختلالات ممكنة، ويمكن الإشارة إلى بعض منها، كالمباشرة في الطرح والتعبير عن المشاعر والعواطف والأفكار، وهي سقطة قد نجد ما يبررها في الرغبة بتأثير أعمق في النفوس ولا بأس بسقطات كهذه في البدايات، لكننا نستغرب وجودها في مراحل متقدمة من عمر تجربة الشاعرة

هذا إضافة إلى بنيات نحوية صغرى عانت في بعض القصائد من افتقادها

عمق الدلالة، ولجوئها إلى أشباه الجمل والصفات المتعددة والمكررة للمعاني، والحشو الذي كان من الممكن الاقتصاد فيه، وهي أمور أوهنت شعرية بعض النصوص رغم سلاسة تعبيرها الشعري، وحيازتها جماليات فنية أخرى لا تنكر.

الرحلة إلى حدود الشمس لم تنته بعد، وقرأء سعاد الصباح ينتظرونها في محطات قادمة، ستكون أكثر ألقاً دون شك.

د.سعاد الصباح.. ورزان¹

د.علي الزعبي²

في مكتبتني المتواضعة في المنزل، جلستُ إلى جانبي ابنتي الكبرى ”رزان“ تدرس مادة اللغة العربية للصف السادس، فسألتها: ماذا تدرسين؟ فقالت: أحاول أن أحفظ قصيدة «أنا بنت الكويت» للدكتورة سعاد الصباح، قلت لها: هل تعلمين أنني أعرف الدكتورة سعاد، كما أن ابنها الشيخ محمد العبد الله المبارك صديق لي؟ قالت: إن كنت تعرف الدكتورة سعاد فسوف أحفظ قصيدتها الآن

أرسلت رسالة SMS للدكتورة سعاد وأبلغتها بالأمر، فما كان منها إلا أن أرسلت رداً يحمل تحية عطرة ودعاء رقيقاً لرزان، وقد فوجئت ابنتي عندما قرأت الرسالة.. وخطفت الهاتف وراحت مهولة لكي تريه لأخواتها وإخوانها، وبالفعل حفظت رزان النص الشعري للدكتورة سعاد في تلك الليلة.

الدكتورة سعاد الصباح، لمن لا يعرف، كانت بمثابة المعلم لنا بأطروحاتها الراقية، وإنسانيتها المتميزة، وبعلمها الوافر والممتد من الاقتصاد إلى الأدب. إنها والدتنا، وأختنا، وصديقتنا، نهلنا من علمها ومعرفتها وحسها الراقي

1- جريدة أوان الكويتية 14 ديسمبر 2009.

2- أستاذ في قسم الاجتماع والخدمة الاجتماعية لدى جامعة الكويت منذ يونيو 2016. ولد في 23 أبريل 1965، وعمل مستشاراً في مكتب وزير الإعلام، وتولى منصب نائب رئيس الجمعية الكويتية للإعلام والاتصال منذ 2014، وبدأ نشر مقالاته في جريدة القبس منذ 2013.

الشيء الكثير، وكانت معرفتي بها، وبكل المقاييس، ذات نفع معرفي، ناهيك عن أن معرفتي بالدكتورة سعاد تعد -حقيقة- نبزاً افتخري وأعتز به. حسناً فعلت وزارة التربية، عندما أدخلت هذا النص الشعري للدكتورة سعاد الصباح، وغيره من النصوص الشعرية لشعراء كويتيين، وحسناً فعلت حين تناولت مواضيع التربية الوطنية تراث أهل الكويت بشقيه المادي وغير المادي، والأجمل أن يعلم أبنائنا من هو إبراهيم الصولة، ومن هو غنام الديكان وغيرهما ممن صنعوا الفن الكويتي. نعم، حسناً فعلت وزارة التربية عندما رسّخت العنصر الوطني في مناهجها، التي كانت مختطفة في العقود الخمسة الماضية من قبل فنانين وشعراء عرب تغلب عليهم الصبغة المحلية الخاصة بأوطانهم!!

المال في خدمة الثقافة¹

بشير عياد²

قد يستبدُّ المالُ بصاحبه فيحوِّله إلى مستبدٍّ، وبدلاً من إنفاقه فيما ينفعُ الناس، يجعلُ منه سياطاً تكوي ظهورهم ولو عن بُعدٍ عندما يصبحُ الإنفاقُ نوعاً من السفه جرياً وراءِ سرابِ السمعةِ أو الألقابِ أو الواجهةِ الاجتماعية، أو عندما يكونُ تطبيقاً حرفياً لأحدِ لوازمِ نزار قباني في رثائه عميد الأدب العربي طه حسين (في قصيدته: حوارٌ ثوريٌّ مع طه حسين)

حبسوا الماءَ عن شفاهِ اليتامى

وأراقوه في شفاهِ الغواني

وما أكثرَ الأموالَ التي أريقَت هباءً، وكانت تكفي لإطعام آلاف اليتامى، وعلاج آلاف المرضى، وإنشاء عشرات المشروعات وقفاً على الخير، وبناء المستشفيات ودور رعاية الأيتام، لكنَّه المالُ عندما يستبدُّ بصاحبه

لم يعدم العربُ وجودَ الكثير من النماذج المضيئة التي سخَّرت المالَ لخدمة المجتمع، وجعلته رافداً خيراً في السرِّ أو في العلن، وفي مجال الأدب والثقافة والعلوم يأتي الدورُ الذي لعبته الدكتورة سعاد الصباح عندما سخَّرت المالَ لخدمة فنِّها الأول، الشعر، مضافاً إليه فنون اللغة العربية الأخرى، كعلامةٍ مضيئةٍ عمرها الآن يقتربُ من ربع القرن

1- مجلة العربي الكويتية - يوليو 2012.

2- شاعر وأديب ومؤرخ فني وأديب مصري، ولد في عام 1960 وتوفي في عام 2015، تخرج في كلية الحقوق جامعة الإسكندرية في مايو 1982، عمل بالصحافة، وعمل سكرتيراً ثم مدير تحرير لمجلة (كاريكاتير)

وإذا نظرنا إلى مُجَمِّلٍ ما قدَّمته مع زوجها الراحل الشيخ عبدالله المبارك الصباح نجدهُ يجاوزُ ما قدَّمتهُ دولٌ تدَّعي تأثيرها في صفوة الجماهير على الخريطةِ العربيَّة

كَانَ أَوَّلُ ما لفتَ انتباهنا في مصر، وأعني أدباء جيلي، «جوائزُ الدكتوراة سعاد الصباح» التي تُمنَحُ للأدباء العرب الذين لم يتجاوزوا الخامسة والثلاثين من العمر، وقتها، في العام 1988م تحديداً، لم نكن ملمين تماماً بكلِّ المؤسسات الفردية التي تمارسُ دوراً إيجابياً في خدمة الآداب والفنون، إذ لم نكن نعرفُ سوى ما تؤدِّيه «الدولة» من خلالِ مؤسساتها، وكان النموذج الأمثل أماننا هو الدور العظيم المستمر إلى الآن، والذي تقومُ به هيئتنا «الكتاب» و«قصور الثقافة» بمصر

أما الأقطار العربيَّة الشقيقة فلم نكن متواصلين معها -ومعظمها إلى الآن- إلا من خلال الصحف والمجلات التي تأتيها أوائل الشهور الهجرية أو الميلادية أو على رؤوس الفصول الأربعة

بعد التفاتنا إلى مهرجان الجوائز السنوية، جاءت النقلة الأخرى، الأكبر والأعمق أثراً وتأثيراً، عندما انتقلت دار سعاد الصباح إلى القاهرة، لتواصل دورها في ترويج الإبداع العربي والعالمي

وأصبح للدار حضورٌ طاعٍ في الشارع الأدبي، وحضورٌ أطفَى في معرض القاهرة الدولي للكتاب، ومن خلالها وضعنا أيدينا على مئات الكتب لكبار مبدعينا وشبابهم على امتداد الوطن الكبير، ثم أضيفَ إليهم عددٌ آخر من شواهد الأعمال لبعض الأدباء العالميين من خلال الترجمة

الجوائز

بدأت «جوائز الشيخ عبدالله المبارك والدكتورة سعاد الصباح للإبداع بين الشباب العربي» بتنفيذ منتدى الفكر العربي (عمّان)، والهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة)، تركزاً على دعامتين أساسيتين هما: الإبداع الفكري، والإبداع العلمي، وهما المجالان المفتوحان أمام كل الشباب العربي ممن لا يتجاوزون الخامسة والثلاثين من العمر، أما جائزة الإبداع الخاص فكانت مقصورة على «الإبداع الفلسطيني»، إذ جاءت مسيرة الجوائز متوازية مع الانتفاضة الأولى للشعب الفلسطيني العظيم من خلال أطفاله وفتيانهِ فيما عرفناه بـ«انتفاضة أطفال الحجارة»، وجوائز الإبداع تَضَعُ في المقام الأول «تشجيع الإبداع الفكري بين الشباب العربي للإسهام في بعث اهتمام الأجيال الجديدة في إثراء مسيرة العرب القوميّة»، وليس خافياً على أحدٍ أن القضية الفلسطينية هي حجر الزاوية أو رمانة ميزان القوميّة العربيّة. أما الأعمال التي تدور حولها الجوائز في الإبداع الفكري فهي دواوين الشعر والمجموعات القصصية والروايات والمسرحيات والدراسات (خمسة مجالات)، وفي كلّ مجالٍ ثلاث جوائز، والجديد في الأمر أن الأديب يقدّم عمله غير متقيّد بموضوع (عدا الدراسات التي هي أيضاً في داخلها غير محدّدة بعنوانٍ واحد)، وهذا ما يعطي الفرصة كاملة من أجل إنتاج إبداع حرّ، حتى إن الجوائز لا تقتصر على الأعمال غير المنشورة، بل لا تمانع في كونها منشورة بشرط أن يكون ذلك في أحد العامين السابقين (على تاريخ التقدّم للجائزة)، ومنذ البداية جاءت قيمة الجائزة (الأولى) تفوق قيمة الجائزة التقديرية في مصر يومها، إذ تبلغ قيمة الجائزة الأولى ثلاثة آلاف دولار، والثانية ألفي دولار، والثالثة ألف دولار

وجاء الحافزُ المعنوي الآخر، الذي يحملُ مضمونه حافزاً مادياً أيضاً، وهو طبعُ الأعمال الفائزة ونشرها على نطاق واسع من خلال دار سعاد الصباح والهيئة المصرية العامة للكتاب، أمّا «التحكيم» فيتصدى له كبار مبدعي الوطن العربي ونقّاده، والجوائز «لا تعرفُ الرحمة»، وتكادُ تكونُ في مقدّمة الجوائز التي تذهبُ بالفعل إلى مَنْ يستحقونها بلا أدنى مجاملة لمبدعٍ على حسابٍ آخر، فالجميعُ في العروبة سواء، والفائز ليس سوى جزءٍ من كُلٍّ، وإذا كان ذلك كذلك فلندع المجاملات والانحيازات جانباً، لتكون الكلمة الأولى والأخيرة للإبداع وليس لصاحبه

أمّا جوائز الشيخ عبدالله المبارك للإبداع العلمي فتختلفُ إلى حدٍّ بعيدٍ عن «جوائز سعاد الصباح للإبداع الفكري»، فكثيراً ما تأتي في خطوط وعناوين محددة في خمسة فروع أو مجالات في حقل البحث العلمي، فوق ذلك فهي تفرضُ عدداً من الشروط القاسية التي أطمعُ في أن تكونُ أساساً لكل خطوة في مجال البحث، الشرطُ الأوّل: أن يكونَ الباحث من الحاصلين على دراساتٍ عليا فوق المستوى الجامعي الأوّل (أي أعلى من البكالوريوس)، وهذا الشرط لا نجده في مجال الإبداع الفكري. الشرط الثاني هو أن تكونَ البحوث تطبيقية ونابعة من البيئة العربية ومشكلاتها، وهذا ليس شرطاً قاسياً، لكنه المنطق والمطلوب، أمّا الشرط الأهم من وجهة نظرنا فهو أن تراعي الأعمالُ المقدّمة أصولَ النشر العلمية، وأن لا تكون رسائل للماجستير أو الدكتوراه ولكن في مستوى الماجستير والدكتوراه. هذا الشرط يضعنا أمام جوهر الجائزة، وهو أنها لا تُمنح لأي عابر سبيل يدبّجُ رؤيته في سيل من الكلمات السطحية المهترئة في جلسة على مقهى ثم يذهب لينال الجوائز والأوسمة، وما أيقظ شجوني في هذا الشرط اللافح هو

ذكرياتي مع عشرات الرسائل التي طالعتها أو حضرتُ مناقشتها (ماجستير أو دكتوراه)، ومئات الأبحاث المقدّمة في المؤتمرات الأدبية والعلمية، ولا يخفى على القارئِ الفطن المتخصص أو العام ما يمرُّحُ في براح هذه الرسائل والأبحاث من السطحية وسوء المنهج والتغاضي عمّا تفرضه أصولُ البحث العلمي، كما أن الشرط الثاني من الشرط يضعنا أمام جدّية الموضوع وعدم الاستهانة به «... وأن لا تكون رسائل الماجستير أو الدكتوراه ولكن في مستوى الماجستير أو الدكتوراه»، ولهذا، قلنا إن الجوائز تذهب إلى مَنْ يستحقونها بالفعل، وأنها لا تحسب حساباً إلا للعمل، ومن هنا جاءت الأعمال الفائزة على مدار السباق تمثل إضافات مهمة، وتمنح الأمل في الأجيال المقبلة، وتُبْرِزُ علاماتٍ أو إشاراتٍ قريبةً إلى حدٍّ كبير من الواقع الفعلي وما هو مأمول من الشباب العربيّ إذا وضعنا في الاعتبار عشرات الأعمال التي خرجت من السباق والتي كانت أيضاً قريبة من مرمى الهدف، وأن الكثير منها يستحقُّ الالتفات والتقدير

وعلى صعيدِ «جوائز الإبداع الفلسطيني» كمجال مغلقٍ على الخريطة الفلسطينية، فقد جاءت تكريماً لنضال الشعب الفلسطيني وتسليط الضوء على حقّه في استمرار هذا النضال ضد مغتصبي أرضه وحقوقه، وكما أشرنا إلى أن مسيرة الجوائز قد بدأت بالتوازي مع الانتفاضة الأولى، وكانت دورة العام 1990 معبرةً أصدق تعبير عن توجّه الجائزة، إذ تضمنت جوائز للطفولة لمن هم دون الخامسة عشرة (أي أطفال الحجارة) في الفنون التشكيلية (رسم أو نحت أو صلصال، أو أي مادة تشكيلية أخرى للتعبير عن روح الصمود والمقاومة)، والأناشيد (أحسن ثلاثة أناشيد تعبّر عن هُويّة الفلسطينيين وشجاعتهم وآمالهم)، والقصة القصيرة (أحسن ثلاث

قصص أو حوادث تصوّر نضال أطفال الحجارة وبسالتهم في مواجهة العدو الصهيوني)، وكانت الجوائز بمعدل ثلاث جوائز في كلّ مجال (500 - 1000 - 250 دولاراً). وكان المغزى أعمق كثيراً من كونها جوائز مادية، كان المضمون يحمل رسالة إلى هؤلاء الأطفال وإلى عدوّهم في آنٍ معاً

وقد توقّفت مع هذا الفاصل من جوائز الأطفال من أجل إعادة تدوير الرسالة التي تحملها، وترويجها مرّةً أخرى.. لعلها تصل إلى الكثيرين الذين يستهينون بقيم النضال والبطولة، أو يستهترون بانتفاضات الصغار عندما تتحوّل إلى أشواكٍ في مضاجع المعتدين

كانت هناك أيضاً جوائز للشبيبة، لكنها ارتفعت إلى ألفي دولار للأولى، وتناقصت إلى ألف وخمسمئة، ثم ألف دولار، وكانت هناك جائزتان للمؤسسات الأهلية الفلسطينية المتميزة في المجالات الفكرية والعلمية في الأراضي المحتلة، الجائزة الأولى عشرة آلاف دولار، والثانية خمسة آلاف دولار أما العيد السنوي للفائزين فيأتي متزامناً مع معرض القاهرة الدولي للكتاب، وغالباً ما يكون في أواخر يناير، ويُستضاف كلّ الفائزين ومعظم المحكّمين بالقاهرة، ويتم توزيع الجوائز في حفل كبير بمعرض الكتاب (بأرض المعارض بمدينة نصر) أو بدار الأوبرا المصريّة

دار سعاد الصباح للنشر

«نافذة للعرب على العالم، ونافذة للعالم على الأمة العربية».. هذا هو الوصف الأمثل لمشروع «دار سعاد الصباح للنشر»، التي قامت على نشر روائع التراث العربي والثقافة العربية المعاصرة، كذلك التجارب الإبداعية للشباب العربي من المحيط إلى الخليج، ثم الالتفات إلى اللغات الأخرى لترجمة روائع الثقافات الأخرى ونشرها، وبهذا مثّلت الدار إضافة مهمة

لدور النشر الكبرى بالوطن العربي التي تقوم على نشر الإبداع الفكري والأدبي والعلمي في طبعات فاخرة ومميزة، وبأسعار قد لا تغطي ثمن الخامات التي دخلت في صنع المنتج (الكتاب)، وجاء التنوع بكلّ وجوهه وأشكاله سمةً بارزة في منهج الدار، بمعنى أنها لا تتوقّف عند قطر معين، أو فنّ معين، أو جيل محدد، ولكن أصبحت بوتقة تجتمع فيها كلّ الفنون والأسماء والأجيال والأقطار العربيّة، مع عدم تجاهل خط الترجمة عن اللغات العالمية لفتح نافذة أمام القارئ العربي ليطلّ على الآخر ويراه في أرقى صوره الفكرية والإبداعية، فأعيدت طباعة سلاسل متعددة من «الأعمال الكاملة» لكبار شعراء العرب ونقادهم وروائيهم غير المتعاقدين مع دور أخرى، بالإضافة إلى الإبداعات الجديدة للكبار وللشباب، كذلك الدراسات بكلّ فروعها وميادينها، وصولاً إلى أدب السير الذاتية، كما لا ننسى إصدارها أعداد مجلة «الرسالة» التي كانت إحدى منارات الثقافة في القرن العشرين، وكان للدكتورة سعاد الصباح الفضل في إعادتها إلى الوجود في أربعين مجلداً من خلال «دار صادر» ببيروت

تكريم رواد الثقافة الأحياء

من عاداتنا المزمّنة، نحن العرب، أن لا نعرف أقدار مبدعينا إلا بعد رحيلهم، فنتبارى في كتابة قصائد الرثاء ومقالات المديح، ولا مانع من اجترار الذكريات وخلطها بالكثير من الدموع من باب إكرام الراحل العظيم مبادرةً أخرى من مبادرات الدكتورة سعاد الصباح جاءت لكسر هذه العادة، إذ قررت تكريم رموز الثقافة العربية الأحياء للاعتراف بفضلهم وهم بيننا، وليشعروا بتقديرنا لما قدّموه للغتنا وتراثنا وحضارتنا، وكان من هؤلاء، على سبيل المثال، عبد العزيز حسين من الكويت، إبراهيم العريّض

من البحرين، نزار قباني من سورية، ثروت عكاشة من مصر، الأمير عبدالله الفيصل من السعودية، عبد الكريم غلاب من المغرب، وكلنا ندرك عمق الأثر النفسي على هؤلاء الكبار عندما يرون زرع أيديهم وقد أثمر في حقائق الأجيال

وهكذا، وعلى هذه الأجنحة وبها.. تتواصل المسيرة، وفي كل يوم تضي أبعاداً جديدة لوظيفة المال عندما يصبح وسيلة لترويج قيمة التنافس الشريف بين أبناء الأمة وتحفيزهم على الابتكار والإبداع ورغد نهر الحضارة بكل ما يصلنا بتراثنا ويدفعنا بقوة إلى المستقبل، ولتظل علامة بارزة إلى جوار المبادرات العربيّة الأخرى الكثيرة، في الأدب والثقافة أو في الحقول الأخرى، التي تعطي المثل والقُدوة من أجل بذل العمر والمال فيما ينفع الناس ويقوّي الإحساس بقيمة الوقت والإبداع والوطن

بين الثقافة والسياسة في الكويت والبحرين¹

محمد جابر الأنصاري²

جاء الإعلان عن منح الشاعرة الكويتية سعاد الصباح جائزة (مانهي) للأدب في كوريا الجنوبية، تذكيراً بالدور الثقافي الكبير الذي لعبته الشبيخة سعاد في ثقافة بلدها وفي ثقافة البلدان العربية عامة بعد أن أصدرت الشاعرة عدداً وفيراً من الدواوين الشعرية، وأثبتت نفسها في ساحة الشعر، اتجهت إلى إصدار موسوعات تكريمية لأحياء من رجال الثقافة العربية، ونشدد على كلمة أحياء، فقد جرت العادة أن يتم تكريم رجل الثقافة بعد موته عند العرب.

لقد اخترقت الشبيخة سعاد هذا التقليد العربي العقيم، واتجهت إلى تكريم الأحياء من رجال الثقافة العربية، فأصدرت بداية كتابها المرجعي عن عبدالعزيز حسين، رجل الثقافة المرموق في تاريخ الكويت والخليج والوطن العربي الكبير، الذي عاش مع حلم التنوير العربي وأسهم في إغنائه.

ثم تتالت كتبها عن رجال الثقافة العرب من شاعر البحرين الكبير إبراهيم

1- صحيفة الحياة اللندنية - 1 نوفمبر 2012.

2- مستشار ثقافي للهاهل البحريني، وكاتب ومفكر، وأستاذ دراسات الحضارة الإسلامية والفكر المعاصر، وعميد كلية الدراسات العليا في جامعة الخليج في البحرين وعضو المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون في البحرين. بكالوريوس آداب عام 1963م. ماجستير في الأدب الأندلسي عام 1966م. دكتوراه في الفلسفة الإسلامية الحديثة والمعاصرة عام 1979م. رئيس الإعلام وعضو مجلس الدولة في البحرين 1969 - 1971. من مؤسسي أسرة الأدباء والكتاب بالبحرين وأول رئيس لها سنة 1969. حاز على جائزة الدولة التقديرية في البحرين، وجائزة سلطان العويس في الدراسات القومية والمستقبلية وجائزة منيف الرزاز للدراسات والفكر

العريض، إلى الشاعر السعودي الكبير عبدالله الفيصل، إلى الشاعر العربي السوري المجدد نزار قباني، إلى ذلك الرجل الذي قدّم أجّل الخدمات للثقافة العربية بمصر الأستاذ ثروت عكاشة، إلى غسان تويني مؤسس دار النهار بלבnan، إلى أديب المغرب البارز عبد الكريم غلاب.

وأذكر أن الشيخة سعاد قد كلفتنا، زوجتي عائشة وأنا، الإشراف على السفر الصادر عن شاعر البحرين إبراهيم العريض، وكان حدثاً لافتاً ذلك التكريم الكويتي للبحرين، فعندما تتجه الكويت خليجياً تجد امتدادها الطبيعي في البحرين، فالبلدان تاريخياً كانا منارتين للتقدم والتنوير والتطور. واللافت أن الثقافة في البلدين معاً ترعاها امرأتان صديقتان وهما الشيخة سعاد الصباح في الكويت والشيخة مي بنت محمد آل خليفة وزيرة الثقافة البحرينية التي تستعد هذه الأيام للحفل الختامي بمناسبة تدشين المنامة عاصمة للثقافة العربية طوال الأشهر المنصرمة.

إن التعاون الإيجابي بين المرأتين قد خدم الثقافة والتراث في بلديهما وفي العالم العربي.

وفي مصر العربية تركت الشاعرة د. سعاد الصباح أثراً أدبياً طيباً لا ينسى. فجوائز سعاد الصباح للأدباء العرب الشباب كانت باكورة ذلك النشاط الثقافي، ثم تلتها نقلة ثقافية أخرى بانتقال دار سعاد الصباح إلى القاهرة، ثم مشاركتها في معرض القاهرة الدولي للكتاب

وجاءت جوائز سعاد الصباح لأطفال الانتفاضة الفلسطينية لتسد فراغاً في الاهتمام العربي بالقضية الفلسطينية.

وتضافرت جوائز الشيخ عبد الله المبارك الصباح للإبداع العلمي وجوائز سعاد الصباح للإبداع الفكري في رفد السيرة الثقافية العربية.

ومن يتأمل في مطبوعات دار سعاد الصباح يجد أنها ذات اهتمامات عربية وإنسانية شاملة.

هذا جانب من سجل الكويت في خدمة الثقافة العربية، فالكويت كانت الرقم الثقافي الصعب في وطنها العربي.. وكذلك كانت البحرين.

واليوم يشهد البلدان للأسف تراجعاً ثقافياً في الخطاب السياسي، على رغم التطور الحاصل، وعلى رغم الإنجازات الكثيرة التي حصل ويحصل عليها المواطنون في البلدين، وليس ثمة حل إلا إصرار رجال الثقافة، هنا وهناك، على إيجاد جدار رفض لهذه السلوكيات المتدنية.

إن كثيرين من المواطنين متضامنون مع هذا الرفض لتلك السلوكيات الخاطئة. وينبغي عدم التعلل بالعوائق الدستورية وغيرها لترك الأحوال على ما هي عليه.

ثم تأتي الخطوة الجذرية الأهم؛ وهي الإقدام على الاتحاد ضمن بوتقة مجلس التعاون لدول الخليج العربية. فالاتحاد قدر الشعوب المنضوية تحت لواء المجلس. هذا ما أكدته بحق الملك عبدالله بن عبدالعزيز، ملك المملكة العربية السعودية، في القمة الخليجية الأخيرة في الرياض.

إن عدداً كبيراً من المواطنين يرون أن الاتحاد والتماسك أهم من النداءات الشعبوية التي لا تسمن ولا تغني من جوع

وغداً، لا سمح الله، عندما تدمر ديارنا وتقتحم حصوننا، ما الفائدة التي ستعود علينا من جراء تلك الاحتجاجات الشعبوية؟

ومن لا يريد تحمل المسؤولية فليفسح الطريق لمن هم على استعداد لتحملها

في العمليات التاريخية الكبرى لا يُعتمد على النداءات الشعبوية، فعندما قام بسمارك بتوحيد ألمانيا، هل استمع إلى ما قالته برلمانات الولايات الألمانية؟ وعندما وحد ماو تسي تونغ الصين هل أخذ في الحسبان رأي البرلمان الصيني، إن وجد؟.. وعندما توحدت الدول الأوروبية في عصرنا هل تم الاستماع إلى رأي برلماناتها؟.. وعلى ذلك قِسْ.

مهرجان سعاد الصباح للطفل الخليجي المبدع¹

عبد الرسول سلمان²

لا يختلف الطفل عن الفنان في تحركه بين عالمي الواقع والخيال وإطلاق خياله حسب مفهومه عن تكويناته المرسومة التي تجلب إليه تداعيات سارة من الألوان والأشكال والأحجام والفراغات يحصل عن طريقها على المتعة الخاصة والإحساس بالجمال فيما حوله

إن معظم المشاركين في هذه المسابقة لديهم اهتمامات بالبيئة المحيطة بهم، فرسوماتهم ليست نسخاً من الواقع، بل أكثرها رموز للأشياء الواقعية محملة بخبراتهم الذاتية الإبداعية الخلاقة التي تختلف من مشارك لآخر، فهم يعبرون عن ذواتهم بشكل يتضمن وعياً وشعوراً أكثر بالذات، فالطفل يرسم أفكاره عن الأشياء المتخيلة من الذاكرة في صورة أشكال لها خصائصها الرمزية المجردة التي تتمثل في عمليات التذكر والاستدعاء تسمح لنا برؤية جديدة في الممارسات الإبداعية لديهم.

إن كل مشارك يظهر في رسوماته تمسكه بالعلاقات والمظاهر المميزة للأشياء التي يتذكر أو يهتم بها مع إضافة التفاصيل إلى العنصر المرسوم، وفي أغلب رسوماتهم يكون هذا الاتجاه الموضوعي ليس تمثيلاً للواقع المرئي

1- نشر المقال كمقدمة في كتيب مهرجان سعاد الصباح للطفل الخليجي المبدع الذي انطلق عام 2013، وشارك في نسخته الأولى تسعون طفلاً موهباً تم اختيارهم بواسطة جمعيات الفنون التشكيلية من دول مجلس التعاون الخليجي

2- عبد الرسول سلمان، فنان تشكيلي كويتي شهير، رئيس الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية ورئيس اتحاد التشكيليين العرب

إنما يحاول المشارك أن يضيف من مخيلته مفردات وعناصر جديدة ترتبط بعمليات التركيب والدمج في علاقات ونظم جديدة تلعب الذاكرة دوراً أساسياً في حجم المعلومات البصرية التي يمتلكها عن الأشكال والوحدات والألوان والعلاقات، لذلك نلاحظ في عدد من رسوماتهم تعبيراً عن الإنسان أو الحيوان أو الطيور أو تعبيراً عن الأشياء المصنوعة من مبان وسيارات وحدائق وغيرها، والتي شاهدها وأبصرها في العالم المحيط به، فقد عبّر عنها بموجزات شكلية بسيطة يسهل فهمها لأنها غير غامضة، وتتميز بخصائص مثل المبالغة والحذف والتكبير والتصغير والإطالة والإضافة، كل ذلك من خياله ومن ارتباطاته العاطفية لهذه الرموز التعبيرية المليئة بالإحساس والمشاعر.

كما نلاحظ في عدد آخر من الرسومات أن كل مشارك يغالي في الجزء الذي يهتم به عاطفياً، ويهمل أجزاء أخرى قد تكون أكثر أهمية لتأكيد علاقات محدودة الحجم عاطفياً

ننتهز هذه الفرصة للتعبير عن شكرنا الخالص لمعالي الشیخة الدكتورة سعاد الصباح لدورها الفعال في احتضان المبدعين ودعمهم من الكبار والصغار في جميع المجالات، وذلك لإيمانها بدور الثقافة والفنون في رقي الأمم وتقدمها

كما نتقدم بالشكر والتقدير لجميع المؤسسات التي ساهمت بدول مجلس التعاون في إنجاح هذه التظاهرة التي نهدف فيها إلى تنمية الخيال والقدرة على الإبداع والملاحظة والدقة في تمثيل الواقع المرئي

لغة شعرية وسطية تُقدِّم المضمون على الشكل¹

علي القيسي²

تعتبر الشاعرة الكويتية سعاد الصباح من الشاعرات العربيات المتميزات اللاتي برزت أسماؤهن، واشتهرن في الربع الأخير من القرن العشرين، وهي الشاعرة الخليجية الكويتية التي تنحدر من أسرة أميرية هي آل الصباح، والتي تحكم دولة الكويت منذ أكثر من 300 عام ويعتبر شعر سعاد الصباح من اللون الحداثي والسهل الممتنع، على الرغم من كتابتها للقصيدة العمودية الكلاسيكية، وفي الفترة الأخيرة غدت تنشر شعرها بالطريقة الحداثية؛ وهي قصيدة النثر الشائعة هذه الأيام، وهذا اللون من الشعر أقرب إلى الناس عامة؛ لسهولة معانيه، وبساطة ألفاظه، وانسجামه مع أذواق الناس كافة، وهذا لا يعني أنه ضعيف وركيك، وبإمكان أي مجتهد ولوج أبوابه.

فالقصيدة لدى سعاد الصباح لا تأتي بسهولة ويسر، وبدقائق كما يظن البعض، بل إنها معاناة ومخاض عسيران، وهذا النوع من الشعر النثري

1- صحيفة السبيل الأردنية - 28 فبراير 2013.

2- ولد سنة 1953 في الكرك بالأردن، وأنهى الثانوية العامة سنة 1972. عمل في مديرية الأمن العام حتى تقاعد منها برتبة "رائد" سنة 2001، وشغل عضوية هيئة التحرير في مجلة "الكاتب الأردني" التي يُصدرها اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين (2008 - 2010)، وهو عضو في اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين، وتولى إدارة الإعلام والشؤون الداخلية في الاتحاد، كما أنه عضو في رابطة الأدب الإسلامي العالمية / مكتب الأردن. له باع طويل في الكتابة الصحفية السياسية والثقافية والاجتماعية؛ وهو من كتاب صحيفة الرأي منذ ثمانينيات القرن الماضي، وله مقالة أسبوعية في صحيفة الشاهد، إضافة إلى صحف يومية وشهرية أخرى. من أعماله الأدبية: "نبضات قلب" شعر. "مقالات عربية"، مقالات أدبية. "ظلال وأطياف" نقد

التجريبي أصبح قصيدة العصر، ومبتغى الكثير من الشعراء.

وحيث تولد هذه القصيدة التي تكتبها سعاد الصباح تتكئ على إرهاصات ومقدمات نفسية لا يشعر بها إلا من كتب القصيدة، وعاش المعاناة، ولا ننسى أيضاً أن هذه القصيدة ليست نثراً بالمعنى المعروف، وإنما تخضع لأدواتها الفنية، والالتزام بالوزن والقافية والموسيقى والصور الشعرية. واختزال الدفق الوجداني الشعري لدى الشاعر، وتكثيفه بكلمات نابضة وحيّة تعكس مدى ما تترجمه هذه المشاعر على الورق الأصم، في لغة جميلة وفخمة تعكس ثقافة الشاعرة، وتبحُّرها في علوم وأسرار اللغة العربية، وتطويع هذه اللغة من خلال قصائدها المتنوعة، فالشاعرة تميل في لغتها الشعرية إلى الوسطية في المذاهب الشعرية المعروفة، وربما تراوح ما بين الرومانسية والواقعية؛ فهي لا تميل إلى الرومانسية كثيراً ولا إلى الواقعية، ففي قصائدها المتنوعة تأخذ من هذا وذاك في نصها الشعري، وتتنقل بين روح القصيدة وجسدها باستمرار، فهي تارةً تركز على المعنى، وتارةً أخرى تركز على اللفظ.

وأحياناً كثيرة تجد في قصائدها غياباً لعنصر الروح في مواقف العاطفة والمشاعر وفي محطات الوداع والفرق والشوق والرحيل والترحال، وهي تخاطب زوجها الراحل من خلال تلك الرسائل الشعرية التي كانت بينهما ثم أعادت قراءتها بعد الرحيل، إذ تقول:

بعد دقيقة من القراءة

احترقت أصابعي

بعد دقيقتين

احترق المصباح الذي كنت أقرأ على ضوءه

بعد ثلاث دقائق

احترق غطاء سريري

وبهذه الكلمات نكتشف أن الشاعرة اهتمت بالمضمون على حساب الشكل، فهي لم تقل مثلاً احترقت روحي أو ذابت أو غير ذلك تعبيراً عن الحزن وألم الفراق، ولعل المتابع للقصيدة الشعرية لسعاد الصباح على مدى مسيرتها الشعرية يلحظ تكرار: القبيلة، والصحراء، والمطر الأسود، والسفر، والمطارات والمقاهي والمدن الأوروبية، وهذا يدل على أن الشاعرة قد مكنتها ظروفها المعيشية والأرستقراطية من توظيف هذه المفردات في سطورها، وصفحات دواوينها الشعرية

وكذلك نجد في قصائد الشاعرة حضوراً متميزاً للمكان وأهميته؛ وذلك نتيجة تنقل الشاعرة وزياراتها الكثيرة إلى عواصم ومدن الشرق والغرب للاستجمام والراحة والمعرفة أيضاً، إذ تقول:

أكسر جدران ذاكرتي..

وأدخل الزمن اللبناني..

فلبنان أصبح عادة جميلة من عاداتي..

تأخذ شكل الإدمان.

وتتغزل في المكان مهوى قلبها وعشق روحها حيث تقول عن أوروبا:

لا تسأل ماذا أفعل في أوروبا

ماذا تفعل بي أوروبا

فأنا امرأة تقطن في أحضان الثلج

وتكتب شعراً فوق الثلج يخزنني المطر الأوروبي

وفي قصيدتها "تحت المطر الرمادي"، تبرز صورة الشاعرة المتحدة والقوية في أحيان كثيرة، والخارجة عن عادات وتقاليد القبيلة، ومن خلال علمها وأدبها واقتصادها، وعلى الرغم من كل ذلك تحتاج في لحظة ما إلى الرجل القوي في لحظة ضعف المرأة، مهما امتلكت من أسباب القوة والاستقلالية لا بد ممن يشاركها همومها ويحمل الأعباء عنها، إذ تقول

يا أيها الصديق الذي
أحتاج إلى ذراعيه في وقت ضعفي
وإلى ثباته في وقت انهيار
كل ما حولي عروض مسرحية
والأبطال الذين طالما صفقت لهم
لم يكونوا أكثر من ظاهرة صوتية
ونمور من ورق

وفي قصيدة «الرجل الصامت»، يستفز الشاعرة صمت ذاك الرجل، ويجعلها تشعر بالغیظ والتمرد والقهر، حيث تقول متسائلة

أيها المستحمّ بأمطار صمتك
متى ينزل الغيث
ليبلل أنوثتي؟
متى تزهر ابتسامتي؟

متى أتصالح مع لغتي؟

متى يحبل فمي!

ويلد حواراً جميلاً منك!

في شعرها المفردات التي تصنع قصائدها مثل القهوة، الموسيقى، العطر،
السجائر، المسارح، والكتب، حيث تقول

أيها العطر الرجولي

الذي لا أعرف كيف أتقيه

أيها الشبح الذي أراه.. ولا أراه..

وأسمعه ولا أسمعه

نسيت أن أسألك كيف تحب قهوتك

أجهل ما نوع السجائر التي تدخنها

وما نوع الكتب التي تقرأها

وما هي الموسيقى التي تحبها

والمسارح التي ترتادها

يقول عنها الشاعر الدكتور علي سلمان: «.. تشكل التجربة الشعرية
للشاعرة سعاد الصباح ظاهرة لها خصوصيتها، وتميزها ليس في شعر المرأة
العربية المعاصرة، أو الشعر في منطقة الجزيرة العربية فحسب، بل في
التجربة الشعرية العربية المعاصرة»

ويقول الكاتب رجاء النقاش: «فالمرأة المتمردة الغاضبة في شعر سعاد
الصباح، هي مفتاح للتطور الكبير الذي تحلم به الشاعرة لمجتمعها»

فالشاعرة عاشت البيئة البدوية وعاداتها وتقاليدها القاسية، فكانت
تشعر بأن المرأة في هذه البيئة مهمشة من هذا المنطلق، أرادت أن تعيد
الثقة بنفسها وبنات جنسها حيث تقول:

أنا امرأة من فضاء بعيد

ونجم بعيد

فلا بالوعود ألين

ولا بالوعيد

وتقول أيضاً:

بدوية أنا

اختزلت في ذاكرتي

عصوراً من القهر

وتختبئ تحت جلدي

ملايين الشمس

وهذه القصائد اختيرت من ديوانها «والورود تعرف الغضب».

عطاء دائم¹

عادل المشعل²

«عظ الناس بفعلك ولا تعظمهم بقولك»... هذا ما فعلته الشاعرة الدكتورة الشيخة سعاد الصباح، بفضل مبادرتها الطيبة بإعادة بناء وترميم صالة مسرح رابطة الأدباء في العديلية، وهو فعل تستحق عليه الشكر والتقدير لما فيه من مصلحة للأدب في الكويت

وهذا الفعل ليس بجديد على هذه الإنسانية الرائعة في كل شيء، خصوصاً مساهماتها الكثيرة في الخير، وإنجازاتها في مجالات الثقافة، والفنون التشكيلية والأدب في الكويت، وحتى خارج الكويت.

ولقد شرفت جمعية المكتبات الكويتية باختيارها الرئيس الفخري لها، كما أن لها جائزة مهمة باسمها في جمعية الفنون التشكيلية، فالشيخة الدكتورة سعاد الصباح لها بصمات واضحة منذ زمن وليس الآن، وبالتالي أتت هذه المبادرة في الوقت المناسب، الذي رأت فيه انهيار هذا الصرح الذي يعد أكبر تجمع للأدباء في الكويت، وهو مكان لا يليق بواجهة الكويت المشرفة، حيث إنه يستقبل الكثير من الفعاليات والأنشطة الثقافية المهمة، في عالم الثقافة والشعر والأدب.

1- جريدة الراي الكويتية 4 مايو 2015.

2- كاتب وفنان تشكيلي، عضو نادي الكويت للسينما، حاصل على العديد من الجوائز والتكريمات داخل الكويت وخارجها، وعضو مجلس إدارة رابطة الاجتماعيين الكويتية، ونظم العديد من المعارض الدولية

ومن هذا المنطلق أشكر الشاعرة الدكتورة سعاد الصباح على مبادرتها الطيبة، التي تؤكد حرصها على الثقافة في الكويت، كما أتقدم بالشكر لمجلس إدارة رابطة الأدباء على مجهوداتهم النيرة في إقامة الفعاليات والأنشطة.

من الشاعرة إلى المؤرخة¹

سعد الدين إبراهيم²

عرف آلاف المصريين الشيخة سعاد الصباح كشاعرة، طالما أمتعهم بشعرها، في معرض القاهرة الدولي للكتاب، خلال سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي

ولكنها توقفت عن هذا التقليد الجميل، منذ غزو صدام حسين لوطنها، الكويت (1990)، ثم وفاة زوجها وابن عمها الشيخ عبدالله المبارك الصباح، في العام التالي³.

وكنّت وعشرات، مثلي، من القوميين الوجدانيين العرب، قد عرفنا د.سعاد الصباح في أواخر سبعينيات القرن الماضي، لا فقط كشاعرة رومانسية من الطراز الأول، ولكن أيضاً كأستاذة اقتصاد مُتميزة، وكناشطة حقوقية شجاعة.

وكان أحد أسباب إعجابنا بتلك الشابة الكويتية الحسنة، أنها لم تكن في حاجة للاجتهاد الدراسي أو الانضباط الأكاديمي. فهي إحدى بنات الأسرة

1- المصري اليوم 8 مايو 2015.

2- (3 ديسمبر 1938 -)، أستاذ علم الاجتماع السياسي في الجامعة الأمريكية بالقاهرة ومدير مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية. ولد في دلتا مصر. يعتبر من أقوى الدعاة إلى الديمقراطية في العالم العربي، وهو عضو مجلس أمناء عدة مؤسسات حقوق الإنسان مثل المؤسسة العربية للديمقراطية، والمشروع للديمقراطية في الشرق الأوسط. يعتبر من مؤسسي الحركة المصرية الحديثة للمجتمع المدني

3- أقامت د.سعاد الصباح عدة أمسيات شعرية بعد هذا التاريخ الذي ذكره الكاتب سواء في القاهرة أو في عواصم عربية أخرى، وشاركت في ملتقيات، وأصدرت عدة دواوين. (المعد)

الحاكمة، وزوجها عبدالله المبارك الصباح، هو أحد أبرز أفراد تلك الأسرة، وأكثرهم احتراماً ونفوذاً، لأدواره العديدة في بناء دولة الكويت الفتية قبيل الاستقلال، وخلال العقد الأول بعيد الاستقلال¹، وإلى أن اختار هو طوعية أن يعتزل السياسة، وأن يُشجع زوجته الشابة سعاد على أن تكون قدوة، في التحصيل والإنجاز، لا فقط لفتيات الكويت والخليج، ولكن أيضاً للمرأة العربية في أرجاء الوطن الكبير.

نعم، كان الشيخ عبدالله وطنياً كويتياً إلى النُخاع، وقومياً عربياً ناصرياً بكل عقله ووجدانه، فكان أحد شباب أمراء الخليج، الذين تطوعوا لمُساندة المصريين وجمال عبدالناصر في كل معاركه لتحرير أمته، ولإنهاء هيمنة الغرب على مُقدرات الوطن العربي؛ من تأميم قناة السويس (1956)، إلى حرب الاستنزاف (1967)، إلى حرب أكتوبر (1973). وتبرع الشيخ عبدالله المبارك بملايين الدنانير للمجهود الحربي وإعادة بناء القوات المسلحة المصرية. وكان الرجل لا يأنف أو يتردد في تشجيع أو مُتابعة زوجته للدراسة والتحصيل في أي مكان في القاهرة، حيث التحقت بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، وحصلت منها على شهادتها الجامعية الأولى بتفوق، في الاقتصاد، ثم في لندن، حيث حصلت على الدكتوراه في نفس التخصص، من إحدى جامعاتها العريقة. وأصبحت الشيخة منذ ذلك الوقت تُعرف باسم د.سعاد الصباح. وكانت تُفضل لقبها الأكاديمي الجديد على لقبها الأميري التقليدي (الشيخة)!

وانخرطت د.سعاد الصباح في العمل العربي العام كواحدة من أنشط نُشطاءه. وكانت أحد مؤسسي المنظمة العربية لحقوق الإنسان، في أواخر

1- استقال الشيخ عبد الله المبارك من جميع مناصبه قبيل الاستقلال في مطلع 1961.

ثمانينيات القرن الماضي. وكانت أكثر المتبرعات لتلك المنظمة، وهي التي اشترت لها مقريها في القاهرة ولندن. كما كانت أحد أهم الداعمين لمركز دراسات الوحدة العربية، في بيروت. وكانت حاضرة دائماً بشخصها، وشعرها، ومالها لدعم كل قضية عربية سياسية أو إنسانية، وطالما تزاملت ورافقت مئات المثقفين والنشطاء العرب في التصدي للدفاع عن قضايا الحرية، والعدالة، وحقوق الإنسان، لكل شعوب الأمة، من الخليج إلى المحيط.

ولذلك كانت صدماتها الفادحتان، حينما غزا صدام حسين وطنها الكويت، وتخاذل بعض أولئك المثقفين والنشطاء في التضامن مع شعبها، أو في إدانة ذلك العدوان الجائر من طاغية العراق على أهلها.

وربما كانت الصدمتان، ثم رحيل رفيق حياتها، الشيخ عبدالله المبارك، وراء عُزلة أو اعتزال سُعاد الصباح من الحياة العربية العامة. ورغم محاولات عديد من أصدقائها والمُعجبين بها، ومنهم هذا الكاتب، إخراجها من تلك العُزلة، إلا أنها كانت مُحاولات بلا جدوى. وكانت هي بدورها تشكر، وتُجيب برقَّتْها المعهودة: إن شاء الله حينما تندمل الجراح ويحين الأوان.

لذلك كانت فرحتي لا حدود لها في زيارتي الأخيرة للكويت (11-17 أبريل 2015)، أن أطالع في صُحفها خبراً مصوراً عن رعاية الشیخة د. سُعاد الصباح لمُسابقة للأطفال المُبدعين، ومنحهم جوائز تشجيعية. فقد كان ذلك نشاطاً أثيراً إلى قلبها وإلى عقلها منذ عرفناها قبل ثلاثين عاماً. بل كان ذلك وراء تأسيسها لدار نشر تحمل اسمها وتهتم باكتشاف ورعاية الأطفال والشباب المُبدعين، وتشجيعهم مادياً ومعنوياً بنشر أعمالهم. فاتصلت بها، وقمت بزيارتها في مقر إقامتها بالقصر الأبيض، الذي طالما ترددنا عليه في سنوات

سابقة. وكانت زيارة مليئة بالمفاجآت السارة. فقد حشدت لي كل الأبناء والبنات والأحفاد والحفيدات، الذين لن أذكر عددهم، تجنباً للحسد! والأهم من العدد، هو المواقع المهمة التي يشغلونها، سواء في الدولة أو القطاع الخاص أو المجتمع المدني الكويتي

ولم يتردد بعض الأبناء والأحفاد، في الحوار معي حول الشؤون العربية العامة من الربيع العربي، لما يحدث في ليبيا وسوريا واليمن. ومرة أخرى كان حرصهم ومُتابعَتهم لما يحدث في مصر، هو الأساس. وكرروا ما كنت قد سمعته عدة مرات من مثقفين وإعلاميين وأكاديميين، من الامتنان لمصر لموقفها الأخوي الداعم دائماً للكويت وبقية بلدان الخليج.

وكانت أكبر المفاجآت هي إهدائي بواسطة الشبيخة سعاد مُجلدين أنيقين من تأليفها، أولهما (360 صفحة) عن الشيخ مُبارك الصباح، مؤسس المشيخة، ثم إمارة الكويت، والتي أصبحت منذ عام 1960 دولة الكويت المُستقلة. لذلك لُقب الرجل، عن حق، باسم مُبارك الكبير. أما المُجلد الثاني (650 صفحة) فهو عن أحد أبناء مُبارك الكبير، وهو عبدالله المُبارك الصباح، الذي لقبته الكاتبة باسم صقر الخليج.

والصقر، لمن لا يعرف ذلك، هو أهم طيور الصحراء، لذكائه وحِدّة إِبصاره، وجسارته، ووفائه.

ورغم أن عبدالله لم يكن أكبر أبناء مُبارك الكبير، إلا أن أي حاكم في الكويت تولى الحكم بعد مبارك الكبير كان مُعجباً بذكاء هذا الفتى وشجاعته وحكمته وحُسن تدبيره. ولذلك أسندوا إليه مُبكراً، عديداً من مواقع المسؤولية في المراحل المُتتالية لبناء الإمارة الفتية، وأهمها توحيد العشائر والقبائل حول أسرة الصباح. وكذا حماية طريق القوافل الصحراوية،

والأساطيل البحرية للمجتمع الكويتي الذي كانت تلعب فيه التجارة دوراً حيوياً مهماً، قبل اكتشاف وإنتاج النفط

لقد وثّقت الشيخة سعاد للتاريخ السياسي للكويت من خلال سيرة مُبارك الكبير، وسيرة ابنه عبدالله المُبارك. وفعلت ذلك بإتقان، وبأسلوب سلس وسرد مُشوّق.

ولا يقل أهمية عن التاريخ السياسي للكويت، تاريخها الاجتماعي. والذي ينطوي على طريقة حياة أبناء الكويت، وعاداتهم، ومشكلاتهم، ودور التكوينات الاجتماعية المختلفة، من القبائل والعشائر، والتجّار والغواصين والصيادين، وأصحاب الحرف الأخرى، والمرأة الكويتية، التي لعبت دوراً حيوياً هائلاً، في صنع النسيج الاجتماعي والإنساني العميق للكويتيين. وهو النسيج الذي تعرض لمحن واختبارات عديدة ومريرة، وصمد فيها، خلال القرون الثلاثة الأخيرة، التي هي جل تاريخ الكويت.

لقد أثبتت الشيخة سعاد الصباح أنها كما كانت مُبدعة كشاعرة، وكما كانت قديرة كناشطة مدنية، فقد أثبتت أيضاً أنها مؤرخة مجتهدة بكتابتها عن وطنها الصامد وعن زوجها الراحل.

فشكراً لها على الوفاء وعلى استمرار العطاء. ومرحباً بعودتها للحياة العامة بنفس التألق، وبمزيد من النضج والحكمة، وبتطلع أصدقائها ومحبيها في مصر الكنانة إلى استقبالها والاحتفاء بها في وطنها الثاني. فلكل عربي ووطنان، وطن مولده، ومصر كوطن ثان

وعلى الله قصد السبيل..

فتافيت امرأة¹

سعد الحميدين²

استطاعت أن تفرض نتاجها الشعري المتنوع على الساحة الثقافية العربية، وأن تكون من ضمن الشاعرات اللاتي يشار إليهن في كل دراسة عن شعر المرأة العربية، فهي تعدّ في مصاف البعض منهن، وتارة تكون في المقدمة على البعض، إن لم تكن الإشارات إلى شعرها أكثر من سواها تبعاً للبيئة التي خرجت منها، وعبرت عن احتياجات المرأة فيها، لكون بيئتها تعتبر المرأة في العرف تابعة للرجل، حيث تهيمن الذكورية الأدبية كما الاجتماعية على الجو العام فيها، وقد استطاعت سعاد بثقافتها وحسها الشعري النابع من موهبة تشكلت في بداية مسيرتها أن ترعاها وتصلقها حتى تمكنت من أن تعكسها في مرآتها الخاصة، ومن ثم طبعتها صورة مجسمة في دواوين صدرت تباعاً وقوبلت بالدراسات النقدية مع / ضد، وهي في شعرها ملتزمة بإنسانيتها وخلجات نفسها، ولا تستطيع أن تجسد مشاعرها بطريقة أخرى.

بيد أنها لا تعارض أو تعترض على أي طريقة يثبت بها صاحبها أنه

1- جريدة الرياض السعودية - 27 يونيو 2015.

2- شاعر وصحفي سعودي، ولد عام 1947 في مدينة الطائف ونشأ بها. حصل على دبلوم معهد المعلمين. عمل محرراً ثقافياً في جريدة الجزيرة الأسبوعية ومحرراً أدبياً في جريدة الرياض، وكذلك مسؤول تحرير لمجلة اليمامة. كتب الشعر والنقد والمقالة في عدد من الصحف والمجلات المحلية والعربية. له دواوين شعرية عديدة. حدد بعض النقاد ديوانه الأول "رسوم على الحائط" الذي صدر في عام 1976، أول ديوان من الشعر الحر صدر وطبع في المملكة العربية السعودية

شاعر، وقد تفننت في الكثير من قصائدها بعرض قضايا المرأة عامة وليس الخليجية فقط كما يزعم البعض، إذ تناولت كل ما يندرج في هموم المرأة من التعليم والعمل والمشاركة في تطوير المجتمع حسب إمكانياتها المتاحة وما استطاعت أن تحققه بجهدتها من إضافات في ممارساتها العملية التي تنطوي في أكثرها على خدمة الإنسان في المعمورة، وبخاصة بنات جنسها كما أبناء جنسها، فهي تعبر في تعبيراتها عن (أناها) الممثلة (لأناءات) الآخرين. فديوانها (فتافيت امرأة) حوى في قصائده المطولة والقصيرة العديد من القضايا الخاصة والعامة، فهي بجرأتها لم تتبجح وتقفز على الحواجز بل تقول بعواطف جياشة معبرة عما تحتاجه المرأة في محيطها، وكما تريد لها من ثقة بالنفس والعمل في خدمة المجتمع كعضو فعال يحمل الكثير من هموم الحياة الخاصة والعامة مما يوجب مشاركتها علناً بالأفعال والأقوال، لأنها تملك الأداة التي تستطيع بواسطتها أن تعبر عما تريد، وكان الشعر هو الباب الكبير الذي أمامها، فما كان منها إلا أن تتقدم إليه وتدخل متكئة على الصدق مع النفس في إبراز الأفكار والمشاعر التي تعتمل في نفسها وتريد تحقيقها، وكان مثالها أن تقدم القصيدة الجيدة التي كما قال نزار قباني: «إنها لا تخرج للشاعر من كيس ولا تطلع له من أوراق اليانصيب، وإلا كانت دواليب الحظ هي التي تصنع الشعراء، وتقرر مصائرهم.

إن الموهبة تأتي أولاً، والشغل يأتي ثانياً، والثقافة تأتي ثالثاً، والمعاناة اليومية تأتي رابعاً، والكاريزما الشخصية تأتي خامساً.. فلا يمكن لشاعر بليد أو منطفئ أو غليظ أو ثقيل روح أن يصبح شاعراً كبيراً ولو ربح أوراق اليانصيب في العالم”

تشير الشاعرة ببساطة:

إنني بنت الكويت

ومع اللؤلؤ في البحر ترعرعت

وللمت محاراً ونجوماً

أه كم كان معي البحر حنوناً وكريماً.

فهي مسكونة بحب البلد والأرض والناس الذين عاشتهم ونبتت بينهم، وتحب الإنسان في كل مكان مادامت المحبة متبادلة بين الناس كالماء والهواء مشاعة للجميع، وعندما تقول: «إن حلمي منذ طفولتي هو أن أكون جدولاً صغيراً يفيض في فصل الربيع، ويسقي الأعشاب والأزهار والنباتات الصغيرة التي تجتمع على ضفافه.. هذه هوايتي الأولى التي رافقتني منذ الولادة.. هواية الجدول الذي يريد أن يتدفق ويفيض، ومادام موجوداً في أعماقي.. فلماذا لا أُرش الدنيا بماء محبتي وأزرع أشجار الشعر في كل مكان، فكتابة الشعر ليست عملاً عبثياً، ولكنها التزام نحو الإنسانية وحركة باتجاه الخير والعدل والحرية.. حرية الإنسان التي لا يماري فيها أحد»، ولهذا كان شعرها مقبولاً بسهولة عند المتلقي لأنه يجيء في قالب شفاف لا زركشة فيه بقدر ما فيه من كلمات تُكَلِّمُك عن معانيها مباشرة وكأنك تتسابق معها لتقول العبارة قبلاً، ولكنها سَبَقَتْك إليها مما يدفعك إلى الجري واللهاث محاولة منك أن تقول قبلها ولكن هيهات، فهذا يخيّل إليك لقرب الشاعرة من حالتك وتطلعاتك وأمانيك، فهي مشاركة وجدانية تأتت في صور شعرية ناطقة

فمن برقياتها العاجلة حين الغزو الصّدّامي البغيض، وهي خارج الوطن

قسراً

نحن باقون هنا

هذه الأرض من الماء إلى الماء لنا

ومن القلب إلى القلب لنا

ومن الآه إلى الآه لنا

كل دُبوس إذا أدمى بلادي

هو في قلبي أنا

لا تماري في حب الوطن، وحب من يحب الوطن في المعمورة، فالوطن أغلى شيء في حياة الإنسان وأحب شيء للإنسان، فقيمة الوطن لا تقدّر بأي الأثمان حيث يموت شهيداً دونه الإنسان، وهو يطلب من الإنسان أن يحبه كما أحبه، فعليه أن يحترمه ويرعاه ويدود عنه ضد كل الزعازع والإحن، وأن يعمل ويساهم في بنائه وتطوره وتطوير إنسانه ليكون مشاركاً في النماء متمتعاً بأرضه وسمائه، ومنطلقاً في أجوائه متغنياً بإنجازاته وما يحويه من معالم خاصة به دون سواه وأن تكون المشاركة بين ناسه ذكوراً وإناثاً وشبيهاً وشباناً فعالة قائمة على المحبة.. من (فتافيت امرأة) وكثّخفيز على العمل من أجل النماء والتّطور ومواكبة العصر دون إخلال بالثوابت. يكون هو وتكون هي من العاملين دوماً في رعاية دائمة لمنجزات الوطن والحفاظ عليها، والعمل على التّشجيع نحو السمو والفخر به :

يقولون إن الكتابة إثم عظيم

فلا تكتبي

وإن مداد القصائد سم
فإياك أن تشربي
وها أنذا قد شربت كثيراً
فلم أتسمم بحبر الدواة على مكثبي
وها أنذا قد كتبت كثيراً
يقولون إن الكلام امتياز الرجال فلا تنطقي
وإن التغزل فن الرجال.. فلا تعشقي
وإن الكتابة بحر عميق المياه.. فلا تغرقني
يقولون إني كسرت بشعري جدار الفضيلة
وإن الرجال هم الشعراء
وأضحك من كل هذا الهراء
وأسخر ممن يريدون في عصر حرب الكواكب
وأد النساء
وفي قصيدة (كويتية):
يا صديقي..
في الكويتيات شيء من طباع البحر
فأدرس قبل أن تدخل في البحر طباعي
يا صديقي..
لا يغرنك هدوئي

فلقد يولد الإعصار من تحت قناعي
إنني مثل البحيرات صفاء
وأنا النار بعصفي..
واندلاعي.

بهذا الحبر الملون الذي صنعته الشاعرة، واستطاعت أن تكتب الكثير
منه على لوحها الذي صنعته من جذوع النخل، وجعلت منه ديواناً
يدخل المكتبات مع الدواوين المذهبة، والورقية المسطرة، والأوراق العادية
والمزركشة يزاحمها ويقول كثيراً مما لم تقله تلك الأنواع، فهي ابنة بيتها
خرجت من قمقمها بدخان مَثَّلَ مارداً من الكلمات الشاعرية النابضة
بالحيوية والحياة المتحركة

الشاعرة د. سعاد الصباح صدرت لها دواوين عديدة، حيث جعلت من
الشعر نافذتها الواسعة التي تطل منها على آمالها الخاصة والعامة، وقد
أثبتت بشاعريتها أحقيتها أن تكون في مقدمة الشاعرات في العالم العربي
بشهادات النقاد والدارسين للشعر العربي.

الوفاء والمبادئ¹

محمود حربي²

بمناسبة مرور 55 عاماً على إنشاء كلية الاقتصاد والعلوم السياسية – جامعة القاهرة، أقامت الكلية احتفالاً كبيراً في قاعة الاحتفالات الكبرى بالجامعة لكوكبة الدفعات الأولى من الخريجين المصريين والعرب، وهم من الشخصيات المرموقة في المجالات السياسية والدبلوماسية والاقتصادية، وحضرت من الكويت الشبيخة الدكتوراة سعاد الصباح، والدبلوماسي ورجل الأعمال صبيح السلطان.

وتحدثت الشبيخة الدكتوراة سعاد الصباح أمام هذا التجمع الكبير، الذي يدل على وفاء راقٍ فقالت: «من يرد ويخطط لمصر بالشر والسوء فستبتلعه الأرض». كما قالت: «مصر أكبر من كل الذين يحاربونها».

في تلك المناسبة لا بد من تسليط الضوء على المواقف المشرفة لهذه المرأة العربية التي وضعت لنفسها مكانة مرموقة في الوفاء للمبادئ والإبحار في الشعر العربي برصانة وعذوبة، فسعاد الصباح من أوائل المؤسسين للمنظمة العربية لحقوق الإنسان، الذين ذهبوا إلى قبرص لإعلان قيام المنظمة بعد أن ضاقت بهم الأراضي العربية، مع أشقائها من الكويت: جاسم القطامي، وعبدالله النيباري، ود.حسن الإبراهيم، ود.عبدالله النفيسي، ود.محمد

1- جريدة القيس الكويتية 26 أبريل 2016.

2 - كاتب مصري تنقل في ميادين العمل الإعلامي، حيث عاش في الكويت، وعمل في الصحافة الكويتية أغلب عمره، وتميز في قراءة المشهد السياسي من خلال متابعته لأعمال مجلس الأمة، كما كانت له مشاركات ثقافية

الرميحي، ومن مصر محمد فائق، وفتحي رضوان، ومن العراق أديب الجادر، ومن فلسطين أحمد صدقي الدجاني وغيرهم

وتشير تقارير المنظمة إلى الدور الكبير الذي لعبته الشبيخة الدكتور سعاد الصباح مع المغفور له العم جاسم القطامي في دعم أنشطة المنظمة باستمرار، ما مكّنها من المحافظة على استقلاليتها حتى اليوم، وكانت المساهم الأكبر في إنشاء مقر المنظمة بالقاهرة

ووفاء منها للكلية التي تعلمت فيها فقد أنشأت مكتبة الشبيخ عبدالله مبارك الصباح بالكلية، وعملت على تجهيزها بعدد كبير من الكتب والمراجع لخدمة الطلاب والباحثين

وفي مجال الثقافة ساهمت دار سعاد الصباح للنشر في طباعة عدد كبير من الكتب، وأعادت طباعة مجلة الرسالة المصرية (أكثر من 1000 عدد) بعد أن توقفت عام 1953، كما أطلقت جوائز الشبيخ عبدالله المبارك وسعاد الصباح لتشجيع إبداع الشباب العربي في كل مكان، كما اهتمت بنشر ثقافة الطفل من خلال رسالة ثقافية انطلقت باسم الكويت إلى عالمها العربي

أما الحديث عن مواقفها العروبية والوطنية من خلال الإبداع الشعري؛ فلا يمكن أن نوفيّه حقّه في هذه العجالة

تحية تقدير لشاعرة العروبة بنت الكويت العربية على الوفاء لمصر وللعروبة والمبادئ

من حملة مشاعل التنوير¹

محمود حربي

شهدت الساحة الثقافية في الكويت حدثاً متميزاً في مناسبة الاحتفال بالأعياد الوطنية، وهو إهداء الشبيخة الدكتور سعاد الصباح لمجموعة من إصداراتها ومقتنياتها الخاصة وكتب مكتبتها للملتقى الإعلامي العربي في بيت العثمان، لإنشاء مكتبتها الخاصة، هذا الملتقى الذي يمارس نشاطاً إعلامياً متميزاً باسم الكويت، ويشرف عليه الزميل الإعلامي النشيط ماضي الخميس.

القيمة الكبرى لمبادرة سعاد الصباح هي إعادة الاعتبار للكتاب والمكتبة.. في وقت سطت فيه أدوات التواصل الاجتماعي على قارئ الكتاب. وتأتي هذه المبادرة الطيبة لإعطاء القدوة والمثل على مشاركة النخبة والشخصيات العامة والمؤسسات الأهلية في عمليات التنوير والتنمية الثقافية والانتصار للمستقبل القائم على المعلومات والمعرفة.

مبادرة الشاعرة الدكتورة سعاد الصباح تستحق الاحتفاء بما يليق بها، والاقتداء بها في مختلف المواقع، حتى لا يظل الكتاب حبيس جدران منزل صاحبه أو ورثته من بعده، هذا إذا لم تبع الكتب بالكيلو من قبل من لا يعرف قيمتها. وعطاءات الشاعرة المتعددة تجعلها أحد حملة مشاعل التنوير في بلادنا

1- جريدة القبس الكويتية - 7 مارس 2017.

العربية، فدار سعاد الصباح، التي أنشأتها عام 1988¹ بهدف رعاية الإبداع العربي في كل مكان، مازالت تقوم بهذا الدور، بداية بنشر أمهات الكتب أو إعادة النشر، مثلما حدث مع مجلة الرسالة التي توقفت عام 1953 للكاتب الكبير أحمد حسن الزيات، وبلغت أعدادها ما يربو على ألف عدد، كما تولى الدار اهتماماً خاصاً بإبداعات الشباب من خلال مسابقة الشيخ عبدالله المبارك الصباح، وكذلك الاهتمام بتكريم الرواد في المجالات المختلفة، مثل الاحتفاء بشخصيات رائدة، مثل الدكتور ثروت عكاشة صاحب الفضل في إنقاذ آثار النوبة، والأستاذ عبدالعزيز حسين رائد التنوير ومؤسس المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، والفلكي الكبير صالح محمد العجيري كما ساهمت الشاعرة الكبيرة في إعادة بناء وتشيد مسرح رابطة الأدباء، باعتباره أحد مراكز النشاط الثقافي الرئيسية في البلاد، كجزء من رسالة الكويت في دعم التنمية الثقافية العربية.

وخلال الغزو الغاشم عام 90 - 91 قامت بإنشاء إذاعة خاصة في لندن للدفاع عن قضايا الكويت العادلة، وفضح ممارسات القوات الغازية، وكان للإذاعة تأثير كبير في أوروبا.

ولسعاد الصباح دور آخر لا يقل أهمية في دعم حركة حقوق الإنسان العربية، منذ أن ذهبت مع الآباء المؤسسين إلى قبرص عام 1983 لإنشاء المنظمة العربية لحقوق الإنسان، ومنذ ذلك التاريخ تشكل سعاد الصباح والراحل جاسم القطامي، مع شخصيات أخرى، الداعم الأكبر لاستمرار المنظمة في أداء رسالتها باستقلالية كبيرة بعيداً عن الضغوط الخارجية.

1 - والصحيح أنه تم إنشاء الدار في العام 1984.

ملتقى سعاد الصباح الدولي للفن التشكيلي¹

عبد الرسول سلمان

الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية تفخر بحضور نخبة من مبدعي التشكيل الخليجين والعرب ممن تمثل تجاربهم البصرية تنوعاً ثرياً ومتفرداً ونادراً

إن المحاولات التي قام بها الرواد منذ تأسيس الحركة التشكيلية خليجياً وعربياً في منتصف القرن الماضي لم تكن بمعزل عن تصاعد الوعي السياسي والاجتماعي، فلا غرابة إذا ارتبط النتاج التشكيلي بكل أشكاله في التركيب الغني ونظرته تجاه الموضوع بروحية ليس من السهل إهمال علاقتها بتراثه القديم

إن هذا الموقف العصري من التراث شكّل من خلال هذا الارتباط تياراً واسعاً قاداته التجربة الفنية الخليجية والعربية إلى نزعة تجريبية تبلورت بعمق في هذا القرن

تشكّل الأعمال المعروضة جانباً من الأساليب الفنية التي تزدهر ضمن حركة الفن التشكيلي العربي المعاصر، وهي مع تنوع مستوياتها التقني وموقفها الفكري تعكس خبرات الفنان إزاء مسألة الفن ليس كمظهر شكلي، وإنما كتجربة روحية معيشة

إن رعايتنا لإقامة ملتقى د. سعاد الصباح بدوراته المتعددة، وهي فكرة

1- مقدمة لكتاب صدر خصيصاً لملتقى سعاد الصباح الدولي للفن التشكيلي 10 ديسمبر 2017 - 11 أبريل 2018.

رائدة قدمتها الجمعية منذ عام 2008م، وتبنتها الشيخة الدكتورة سعاد الصباح، تعتبر تواصلاً بين فئاني دول مجلس التعاون والفنانين العرب، ولاقت دافعاً مشتركاً وتفاعلاً، وجاءت استجابة للتحويلات التي تفرضها المرحلة وتعاطياً مع منظومات المتغيرات التي تتصل بحيوية الفنون الحديثة

ولا شك أن هذا الملتقى قررنا فيه أن ندعو الفنانين المشاركين للعمل بورشة فنية مباشرة لرسم ونبذ جميعاً التجربة بعيدة النقل والتسجيل لتأتي كمنجز جديد نتجاوز به الحركة نفسها، مما يعد خطوة واسعة للإبداع الخليجي والعربي

إن التوجيهات الكريمة للشيخة الدكتورة الشاعرة سعاد الصباح تؤكد دائماً تقديم جميع أشكال الدعم للحركة التشكيلية في الكويت وتشجيع المبدعين العرب على المزيد من العطاء من أجل إثناء الفن التشكيلي والتأكيد على النهضة الثقافية التي تشهدها بلادنا في ظل القيادة الحكيمة لسمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح حفظه الله ورعاه تحية للمبدعين الذين شاركونا بورشة التصوير أفراحنا الفنية.. وتحية لكل من ساهم في إنجاح هذا الملتقى

سيده بألقاب كثيرة¹

سمير عطا الله²

صحف الكويت هي الوحيدة التي لا تتحير في البحث عن «مانشيت» الصفحة الأولى كل يوم. والعنوان دائماً محلي في مجتمع حيوي مفتوح، يعمل ويناقش، ويناقش ويعمل، وكل رأي له جريدته، والديوانية للجميع و«الديوانية» ظاهرة كويتية لا وجود لها في أي مكان آخر، فعندما يبني الكويتي منزله يبني الديوانية أولاً، ثم يلحق البيت بها، وليس العكس. لها آدابها، ولها أعرافها، ولها مواعيدها، ولكل ديوانية طريقة.

والنقاش هنا دليل لحمة وتوافق وليس دليل تشقق وأزمات مفتوحة بلا نهاية كما في لبنان، حيث نحتفل «بعيد» الاستقلال ونحن لا ندري أي قوة خارجية تمنعنا حتى اليوم تشكيل حكومة، لأننا لم نقرر بعد ما إذا كانت «الكتلة» البرلمانية هي ما تشكل قبل الانتخابات أم بعدها.

لا تزال تمطر في الكويت، لكن من دون بروق وعود وزخات تحبس الناس. ولذلك؛ كان الإقبال على معرض الكتاب حسناً.

وكما في كل عام، هناك مؤلف تاريخي جديد لعاشقة الكويت ومؤرّختها،

1- الشرق الأوسط اللندنية - 21 نوفمبر 2018.

2- كاتب لبناني، عمل في كل من صحيفة النهار ومجلتي الأسبوع العربي والصيد اللبنانية وصحيفة الأنباء الكويتية. عرف بأنه يمزج السياسة بالأدب والثقافة بالحدث. يكتب زاوية يومية في «الشرق الأوسط» منذ 1987، ومقالاً في صفحة الرأي كل خميس، ومقالاً كل أربعاء في جريدة النهار اللبنانية، وله أكثر من عشرة مؤلفات في التاريخ والرواية والسفر. عمل مراسلاً لجريدة النهار في أوروبا والأمم المتحدة، وعمل في الكويت مديراً لتحرير الأنباء، وترأس تحرير «الصيد» في لندن و«الأسبوع العربي» في بيروت

سعاد محمد الصباح. وهناك باقة شعر جديدة.

وفي السابق كانت تضيف إلى الشعر والتأريخ نتاجاً يتمشى مع تخصصها في علوم البترول. وكنت تشاهدها في المؤتمرات النفطية تُتابع المحاضرات والحوارات وكأنها مندوبة وكالة أنباء، وليس صاحبة «القصر الأبيض».

كان يفترض أن أذهب إلى «القصر الأبيض» برفقة نجلها، الوزير محمد عبدالله. لكن مواعيده قضت أن ألتقيه معها في المنزل بينما أرسلت إليّ سيارتها تقلني. جلست إلى جانب السائق، فطالعتني على لائحة الراديو آخر اختيار: الموسيقى الكلاسيكية للبولوني فريدريك شوبان. وسألت السائق: هل هذا ما كانت تسمعه الدكتورة اليوم؟ فقال ببساطة الهنود: هذا ما تسمع إليه الشيخة كل يوم.

في هذا القصر القديم الذي تحولت أشجاره إلى غابة مع السنين، أتعلّم في كل زيارة درساً في التواضع، ودرساً في التجدد، ودرساً في حفظ الأوطان.

قال ملك عربي مرة وهو يستعرض أعمال سعاد الصباح وكتاباتاتها: سيدة بألف رجل.

أما التواضع فأتعلّمه من محمد ومبارك، اللذين مذ كانا صغيرين، يخاطبان ضيوف عبدالله وسعاد الصباح بكنية «عمّي».

سيدة بألف رجل، وعشرة مبدعين.

ولا تعرف بأي ميزة تخاطبها، فتواضعها يخفي كل تميّز، وحجابها يُظهر أكثر فأكثر ذلك التعدد الفكري والثقافي والشغف الوطني، ولم يغير شيئاً من شغفها القومي؛ لا الانتكاسات ولا الخيبات ولا شطط أصحاب القضايا المقدسة. بالنسبة إليها القضية لا تخطئ وإن أخطأ حراسها.

أمضت سعاد الصباح العامين الماضيين إلى جانب سرير شقيقها الذي أمضها مرضه، ثم هدّها غيابه. وكانت تجد تعزيتها في المزيد من أوراق التاريخ الكويتي، خصوصاً المجهول منه.

ولا تزال تمطر في الكويت خضرة وخيراً ونقاشاً واستجابات برلمانية، مع ارتفاع في نسبة المطر وانخفاض في حدة الاستجواب.

آخر السيوف

علي المعمار¹

”آخر السيوف“ ليست مجرد لوحة أو عمل فني متقن، بل هي تجربة مضمّنة وعميقة، استلهمت فيها الكثير من الأبعاد الروحية ومشاعر الحزن النبيل ومفهوم الإخلاص وفلسفة الذكرى والتفصيلات الآسرة التي تجسدت في القصيدة التي تحمل الاسم نفسه

بدأت قصتي معها حالما وقعت عيناى على كتاب الشیخة الدكتور سعاد الصباح (تاریخ عبدالله مبارك الصباح)، والذي يتحدث عن مسيرة زوجها الراحل الشيخ عبدالله المبارك رحمه الله، وضمنته تلك القصيدة المعبأة بالمشاعر الإنسانية والوطنية الصادقة (آخر السيوف) ليبدأ مشواري في البحث والتقصي وتجميع التفاصيل الدقيقة، وصولاً إلى الثيمة الأولى للعمل .

هذا البحث الذي استغرق شهوراً عدّة قضيتها في القراءة والتجريب ووضع التخطيطات الأولى واختبارات الألوان، قبل أن أشرع بالتنفيذ الفعلي بطريقة دقيقة وحذرة للغاية، أملت على طبيعة الشخصيتين اللتين يتناولهما العمل، ومكانتهما المؤثرة على صعيدي الأدب والسياسة في تاريخ الكويت الحديث.

1- فنان تشكيلي عراقي مغترب، تميز في رسم الخيل، وأقام عدداً من المعارض الدولية في أنحاء العالم، ونفذ لوحة بعنوان (آخر السيوف) أرفق معها هذا المقال، وذلك في ختام ملتقى د.سعاد الصباح للخط العربي في

وفي المحصلة آمل أن أكون قد وفقت في استلهام معاني القصيدة التي كتبتها الشبيخة الدكتورة سعاد الصباح في رثاء زوجها الشيخ عبدالله المبارك وتأثيراتها النفسية العميقة التي شعرت بها، يدفعني بذلك تقديري العالي لهما ومحاولة الإسهام، ولو بشكل متواضع، في تدوين صفحة من صحائف التاريخ المجيد وتجسيدها بطريقة فنية خلّاقة، لتكون شاهداً للأجيال وشاخصاً وجدانياً يذكّرنا بمن اختطوا نهج المروءة، وأرسوا دعائم الوطنية والعروبة والإخلاص للمبادئ الإنسانية

وتبقى الريشة قاصرة عن تجسيد المعنى حين (تشرب خيول الراحل الكبير دموعها وصهيلها)، فمثل تلك المعاني تبقى شاخصة في وجدان الشاعرة وأحلامها حصراً. أقصد تلك الأحلام التي حماها الراحل بنخوة فارس، كما تقول في قصيدتها الخالدة

في حضرة السعاد الصباح¹

ذعار الرشيد²

الدكتورة سعاد الصباح، هكذا نكتب تعريفاً لها.. وأرى أن الصحيح أن نكتب الدكتورة السعاد الصباح، وبإدخال ال التعريف على اسم معرف كاسمها لا يخل بالمعنى قدر ما أرى فيه تمييزاً لاسم استحق أن يضاعف تعريفه لكونها انتقلت من حالة الاسم المتداول إلى اسم دال على الشعر على الأقل بالنسبة لنا ككويتيين

ربما لم أكن لأخرج بهذه الديباجة الأقرب إلى المدح الكتابي المستحق للممدوح لولا أنني تشرفت بمقابلتها عند إهدائها نسخة من آخر كتب لي، ومنحتني من كرم وقتها الشيء الكثير.

عندما تقابل قائمة شعرية كالدكتورة السعاد الصباح تتوقع أن تسمع شعراً أو سرداً تاريخياً من تلك القائمة أو على الأقل حديثاً عن الشعر، هكذا كنت أظن، ولكنني قابلت سيدة كويتية حتى النخاع في حديثها عن مختلف الأمور، من بينها الشعر، والكثير الكثير عن الكويت البلد والكيان والشعب بنبرة حانية من سيدة غارقة حتى سماء الشعر السابعة في حب بلدها.

1- صحيفة الأنباء الكويتية - 25 فبراير 2019.

2- إعلامي كويتي توفي عن عمر حوالي 47 عاماً، عمل في الكثير من المجلات العربية والكويتية، وله الكثير من المقالات والمؤلفات التي تتحدث عن الوحدة الخليجية وعن الشأن السياسي العربي والكويتي. عمل في صحيفة الأنباء الكويتية، وفي صحيفة الوطن القطرية، ومحرراً في مجلة الغدير، وكان يكتب مقالاً يومياً في جريدة الأنباء

كانت الدكتورة السعاد تتحدث عن البلد كحديث أمهاتنا بصدق غير متناه، وصوت متشوق لما هو أجمل لغد وطن أجمل وأرحب.

حديثها اختصر تاريخ الكتابة عن حب الكويت، كانت تتحدث عنها كأنها تلقي قصيدة، ولا غرابة، فحديث الشاعر.. شعر، وإن لم يخضع لقوانينه أو عروضه وقوافيه.

بحديثها تسمع قصيدتها «نحن باقون هنا» وإن لم تلقها، بل وتسمع كل ما جادت بها قريحتها حباً في الكويت.

في حضرة السعاد.. حضر الوطن، لذا ربما لم أتناول لقائي بها سابقاً إلا بعد أن غرقت أسمعنا هذه الأيام بغثّ وسمين مما حمل اسم الأغاني الوطنية، لأن السعاد الصباح كتبت الأعمق والأقرب والأصدق فيها هذا المجال.

الحُبّ والوطن في شعر سعاد الصباح¹

د. معراج أحمد الندوي²

طلعت من أفق الكويت شاعرة ثائرة لها رؤية جديدة وفكرة رائعة تجاه الحياة والحرية والحب والوطن. وهي سعاد الصباح صاحبة الشعر والرسالة مبدؤها الوطن وهدفها الحرية والمساواة والعدل. غلبت الوطنية والوجدانية على مجمل شعرها. أكدت الشاعرة أن الثقافة والشعر رسالة إنسانية

يحتل النتاج الشعري لسعاد الصباح مساحة بارزة وواضحة المعالم في الشعر العربي الخليجي. يتميز نتاج شعرها بأنه صوت للحب والوطن ودعوة إلى رسالة إنسانية. استطاعت الشاعرة أن تخلد اسمها في مقدمة الشاعرات الكويتيات ممثلة بحق جيل السبعينيات.

إن الحب يمثل موضوعاً رئيسياً في شعر سعاد الصباح، كما يسود هذا الموضوع الشعر الإنساني منذ أقدم العصور. عبّرت الشاعرة عن عواطفها ومشاعرها في الحب بالصورة الرومانسية، فهو حب عذري ومتشوف إلى عالم صوفي ثم يتجاوز إلى ما وراءه حيث يكون نال قسطاً من الدربة على ذوق العشاق العفيف.

تكتب الشاعرة في قصيدة لها «الخطاب» رسالة إلى حبيبها، وتعبّر فيها

1- صحيفة المثقف 31 مارس 2019.

2- أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة عالية، كولكاتا - الهند.

عن حبها الصادق العفيف، فهذه الأشواق المذابة على الأوراق معطرة
برضاب من كأس الحب، مقبلة عيني الحبيب، مغردة بحلو الأمانى.
وتعرب الشاعرة عن وفائها وإخلاصها لمولائها الحبيب، وتدعوه لتطمئن
قلبها وترتاح نفسها. فتقول:

أوراقه من شوق روعي لباب	مولاي إن جاءك ذا الخطاب
مداه من أدمع وانتحاب	حروفه من ذوب قلبي المذاب
مقبلاً عينيك بعد الغياب	وعطره من كأس حبي رضاب
فلا تكن من لهفتي في ارتياب	مغرداً بالأمنيات العذاب

لم تعد الشاعرة تلك العاشقة الحاملة كما رأيناها في قصيدتها «أمنية»،
ولا تلك العاشقة المولهة المتوقدة الأحاسيس كما أطلت في قصيدتها «فتافيت
امرأة»، بل إنها غدت عاشقة متمرسة لا تتردد في إعلان مشاعرها. يغدو
الحب هو السلطان الحاكم الآسر فيما يطل الحبيب بصورة صديق رفيق،
إنه يتجسد ويتشخص ويأخذ هيئة رجال هذا الزمن. وهي في مواجهته
تأخذ شكل وموقف نساء هذا الزمن، وتضيف إليه حقها كمبدعة ومثقفة.
تقول الشاعرة:

كن صديقي .. كن صديقي
إنني أحتاج أحياناً لأن أمشي على العُشْبِ مَعَكَ ..
وأنا أحتاج أحياناً لأن أقرأ ديواناً من الشُّعْرِ مَعَكَ ..
وأنا - كامراًة - يُسْعِدُنِي أَنْ أَسْمَعَكَ ..
فلماذا - أيها الشرقي - تهتمُّ بشكلي ؟
ولماذا تُبْصِرُ الكُحْلَ بعيني ..

ولا تبصر عَقلي؟

تؤكد الشاعرة أن زوجها هو الذي غيّر حياتها، وأعطاهما كل ما كانت تفقده في داخل قلبها.

وهي تقول:

أعرف بين الرجال العالم رجلاً

يشطر تاريخي نصفين

أعرف رجلاً يستعمرني

ويحررني...

ويلممني...

ويعثرني...

ويخبئني بين يديه القادرتين.

ثم تعترف الشاعرة بأن زوجها هو الذي أيقظ في نفسها وأعماقها الأنوثة، وصنع عندها حب الآخر والاعتزاز بأنوثتها. فقد زرع فيها الحياة وغرس في قلبها سبباً لتحيا، وأعاد العطاء والحب والجمال لها، فعادت الصحراء مثمرة بعد أن كانت قحطاً لا حياة فيها ولا حراك.

وهي تقول:

أعرف رجلاً

أيقظ في أعماقي الأنثى

حين لجأت إليه

وشجّر في قلبي الصحراء

وتعترف الشاعرة بأنها تعلمت من زوجها الراحل الكثير مما لم تتعلم امرأة من زوجها. وهي تسدي له الشكر لأنه درّبها كيف تثقف ذوقها وعقلها وكلامها وشكلها. فقد علمها كل شيء في نفسها ولياقتها ولباقتها وفي أناقتها.

وهي تتحدث عن مكان العشاء على أنها أميرة، وتعترف بأنها زوجة أمير من نوع خاص بذوقه ولباسه وأناقته ونفسيته، يظهر ذلك في أنها تعلمت منه كيف تكون أميرة بين الرجال وبين النساء.
تقول:

لك الشكر يا سيدي
منك تعلمت كيف أثقف ذوقي
ومنك تعلمت كيف أثقف عقلي
وكيف يكون كلامي على مستواك
وشكلي على مستواك
وكيف إذا ما ذهبنا معاً للعشاء
أكون حبيبي على مستواك

إن الحنين إلى الوطن وحبه العميق نفيسة من نفائس الإيمان عندها، قضت هذه الشاعرة معظم حياتها لوطنها الحبيب ولأمتها ولصلاح شعبها. تتجلى أهمية الوطنية الصافية التي عبرت عنها الشاعرة من أعماق قلبها. إن شعورها الوطني الواسع يحضها على الانطلاق لتحقيق هذه الحرية في كثير من أرجاء الوطن العربي الذي مازالت المرأة فيه ترزح تحت عبء الرجال القوامين.

ولعل أفقها الأول كان امرأة الخليج، فامرأة الخليج ترفض واقعها وماضيها
الأسطوري وتقاليدها البالية وتطمح إلى مستقبل عادل.
تقول:

أنا الخليجية

الهاربة من كتاب ألف ليلة

ووصايا القبيلة وسلطة الموتى

وتقول كذلك:

سوف نبقي واقفين

مثل كل الشجر العالي سنبقى واقفين

سوف نبقي غاضبين

مثلما الأمواج في البحر الكويتي

سنبقى غاضبين

أبدًا لن تسرقوا منا النهارا

أيها الآتون في الفجر على دبابه

من رأى دبابه تجري حوارا

ساهمت الشاعرة سعاد الصباح مساهمة فعالة في خدمة الحركة الثقافية
والفكرية من خلال الدعم والمساندة من أجل واقع ثقافي، فهي تؤكد أن
الثقافة والشعر رسالة إنسانية.

يمتاز شعرها بالركة والعذوبة والوجدان، والمزج بين الشعر والفكر الناطق
الذي تصب فيها هموماً معاصرة من خلال انفعالها وأحاسيسها ومشاعرها.

وهي أمام حنين الحب وعواطف الوجدان ترق وتلين، وأمام القضايا
الوطنية والإنسانية تثور وتمرد.
صاغت قصائدها أحلاماً للحرية والمحبة والكرامة.
عبّرت سعاد الصباح عن حلمها لوطنها الكويت، وغرست في النفوس أن
يكون الحب والحرية للجميع.

سعاد الصباح وإسهامها الريادي¹

د. أسماء كوار²

كثيراً ما نسأل عن واقع "التّمية الثقافية"، على مستوى الخارطة أو الجغرافية العربية، كما نحاول التطرق إلى جوانب ذات صلة بكلّ إشكالاتها وإرباكاتها وبمختلف مستوياتها. لكننا في الغالب الأعم، نحكي عن مبادرات مؤسسات وهيئات في هذا المجال، ونستحضر إنجازاتها إن وجدت، ونغفل الحديث عن مبادرات أفراد وشخصيات ثقافية، ساهمت في هذا المجال بكلّ ما تملك من إمكانيات وطموحات، سخرتها خدمةً للثقافة والفنّ، وللحياة الأدبية والفنية والثقافية بشكل عام. إذ نادراً هنا ما نُذكّر أو نشيد بتجارب فردية، لشخصيات ثقافية، أو شخصيات من المجتمع المدني، سخرت كلّ جهودها واجتهاداتها للإسهام في التّمية الثقافية، ولا نستحضرها حتى من باب الإشادة أو الإشارة لها كنوع من الاعتراف بالجميل على الأقل يمكننا هنا، الإشارة إلى نموذج فعّال والإشادة به وبإسهاماته، لا حصراً طبعاً، لكن على سبيل المثال، لأنّه النموذج الأبرز والأكثر حضوراً في المشهد الثقافيّ العربيّ الذي ساهم حقاً في "التّمية الثقافية العربيّة"، وفي خدمتها وإنعاشها والدفع بها نحو الأفضل والملموس. النموذج يتجسّد في الكاتبة والشاعرة والناشطة السياسية والحقوقية والثقافية الدكتورة سعاد الصباح

1- تاريخ 3 يونيو 2019.

2- كاتبة وناقدة وإعلامية فرنسية من أصل جزائري، تعمل مديرة لمجموعة «حبر الشرق» ومسؤولة عن تطوير المشاريع الأدبية مع العالم العربي في دار النشر الفرنسية «بونيه & كو» التي تهتم بالترجمة من العربية إلى الفرنسية

(22 مايو 1942). هنا وبكلّ قناعة وإشادة، نذكرها في هذا السياق كنموذج ناجح له حضوره اللافت في حقل التنمية الثقافية، العربية وليس فقط الكويتية

لسنوات، ظلت الكاتبة والناشطة تقدم إسهاماتها في مجال التنمية الثقافية العربية وترقيتها. لسنوات وهي تزرع في حقل الثقافة العربية، بذور المبادرات المُشرّفة والمُشرّقة، والتي سخرت لها وقتها وألقها، وبذلت في هذا السبيل الكثير من الجهد والمال والأحلام معاً.

لم تكن سعاد الصباح شاعرة وكاتبة فقط، تحترف الشّعر والحروف والقوافي. لقد كانت أوسع من هذا وأرحب، لأنّ أنوار الفنّ والأدب، وأنوار الثقافة بمفهومها الشاسع، امتدت لتؤسس فضاءات أخرى تشرق فيها المواهب الأدبية العربية. كانت السّماء التي احتوت عدّة أجيال متعاقبة من الكُتاب والأدباء الشباب، من المحيط إلى الخليج. احتضنتهم سعاد الصباح، من خلال دار النشر الخاصة بها "دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع"، ومن خلال الجوائز الأدبية التي خصصتها وأفردها للشّعر والقصة والرواية والعلم. فقد أسست الدكتوراة الصّباح، مسابقات عدّة لتشجيع الشباب العربي على الإبداع الأدبي والعلمي، ولإنعاش الحركة الثقافية والإبداعية. فبادرت في العام 1988 بتأسيس «جائزة سعاد الصباح للإبداع الفكريّ والأدبيّ»، وجائزة باسم زوجها "عبد الله المبارك الصباح" متخصصة بالإبداع العلمي، وجائزة خاصة بشباب الأرض المحتلة. كما بادرت أيضاً بتخصيص احتفالية تكريمية تهتم بتكريم الأدباء والمبدعين العرب الأحياء تقديراً لأعمالهم. كلّ هذا ساهم أيضاً في الحراك الذي تحتاجه التنمية الثقافية، إذ يمكن اعتبار آلية الجوائز والطبع واحدة من بين الاستراتيجيات الموفقة في خدمة

وتحريك دواليب التنمية الثقافية ومجالاتها

طبعاً لم تكن سعاد الصباح بهذه السياسة الثقافية أو هذا الخيار النضالي الثقافي، العباءة التي تريد الاستحواذ على جيل الأدباء الشباب، ولا المعطف الذي ينضوي تحته هذا الجيل أو ذاك، مستسلماً لكرم الإغداق عليه من خلال فرص الطبع أو عطايا الجوائز. إنّما كانت الفضاء الرحب الذي امتدّ نوره إلى أجيال كثيرة، آخذة بأحلامهم إلى مسالك النور والتحقيق. الفضاء الذي مهدّ الطريق، لهم ولخطواتهم نحو مستقبل التألق والحضور. كانت تُشعل مع كلّ مبادرة، شمعة أمل، تُباركهم، وتبارك فيهم ولهم شغف الكتابة والأدب ومستقبل الأدب المشرق. هذا ما كانت تسعى إليه صاحبة "فتافيت امرأة"

الآن واليوم، لا أحد ينكر فضل سعاد الصباح على أجيال متعاقبة من الأدباء العرب الشباب.. الفضل النبيل الذي يظلّ وساماً أبدياً، تحمله مختلف الأجيال الأدبية، لـ "سعاد الصباح وإسهاماتها الجليّة في الثقافة والأدب".

آمنت "الصباح" منذ البداية بأنّ الاستثمار في الفكر والفنّ الأدب والثقافة، هو بشكل ما استثمار في الإنسان وأحلامه وفي مشاريعه الأدبيّة والفنيّة. وهذا ما جعلها تستثمر في حقل الثقافة والأدب. وبهذا أسست لمشروعات أدبية وفكرية وعلمية متنوعة، أسهمت في خلق حراك ثقافي واقتصادي أنعش الثقافة ودواليبها من خلال آليات الطبع والجوائز التي أنشأتها تشجيعاً للأدباء الشباب، وهذا بدوره أسس لآلية التنمية الثقافيّة. وهي آلية جعلت سعاد الصباح واحدة من أكثر الشخصيات العربية حضوراً وإسهاماً ومساهمة في مجال مُهمّ وحساس، هو مجال "التنمية الثقافية"

سعاد الصباح، إحدى أبرز الشخصيات النسائية في العالم العربي، هي القادمة من حقول الاقتصاد والسياسة: (متحصلة على شهادة الدكتوراه في علم الاقتصاد والعلوم السياسية من جامعة ساري جلفورد في لندن عام 1981). هي أيضاً الشاعرة والكاتبة الشغوفة بعالم الأدب، لم تكتفِ بالكتابة كهوية وانتماء وشغف، بل ذهبت بأحلامها أبعد مما تخطه لحظات الشعر والكتابة، فأسست «دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع» العام 1984، وهذا لأنّ الحلم كان أوسع، ولأنّ الطموح كان أكبر، ولأنّ إحساس الثقافة كممارسة وكمساهمة وإضافة وتنمية، كان أعمق وأرحب لدى هذه الناشطة التي تنبض حياةً ومسؤوليةً. وقد قامت بطبع الكثير من الأعمال الأدبية لكتاب وأدباء من مختلف البلدان العربية والعالمية. (لا يتسع هذا الحيز الصغير لذكر الأسماء). ومنها الأعمال الفائزة بالمسابقات الأدبية التي أطلقتها الدكتوراة في منتصف الثمانينيات، وتهدف كلها إلى تشجيع الكتاب المبدعين من الشباب الذين يعانون التهميش الفكري والثقافي، من جراء عدم وجود راعٍ وموجّه لطاقتهم ومواهبهم.

كما قامت بإعادة طبع مجلدات «مجلة الرسالة الأدبية» المكونة من 1020 نسخة، وكانت صدرت في الفترة من 1933 إلى غاية 1952. والتي كان يرأس تحريرها الأديب أحمد حسن الزيات. وهي بطبع وإصدار هذه المجلدات، ساهمت في حفظ ذاكرة «مجلة الرسالة الأدبية». إنّها أرشفة أنيقة وإضافية للمجلة، ومن أجل انتشارها أيضاً أكثر وحفظها في الذاكرة الثقافية العربية

سعاد الصباح التي كرمت الثقافة من خلال إسهاماتها الكثيرة في تنميتها، نالت بدورها الكثير من الجوائز والأوسمة والدروع والتكريمات

نظير إسهاماتها المتعددة في تنمية الثقافة، إذ كرمتها الكثير من الهيئات والمؤسسات الثقافية العربية والدولية، وهذا تقديراً وعرفاناً لها على كل ما قدمته وبذلته من عطاءات وإسهامات واجتهادات في حقل الثقافة وتنميتها والرفع من شأنها والرقى بها. يكفي أن نذكر مثلاً تكرمها من طرف المنتدى الثقافي المصري وهذا بإصدار مجلدين بعنوان (المنارة) حملا عشرات البحوث والشهادات عن إبداعها الشعري وجهودها في مجال الثقافة وحقوق الإنسان. كما كرمتها جامعة الكويت ممثلة بقسم اللغة العربية ومجموعة من المؤسسات والهيئات الكويتية والعربية في احتفالية «يوم الأديب الكويتي» 2004. كما اختيرت كضييفة شرف لمؤتمر المرأة العالمي الذي عقد في بكين العام 1995. كما مُنحت الميدالية التكريمية الفضية من معهد العالم العربي / باريس. وجائزة الدولة التقديرية للآداب والفنون / الكويت. وسام الثقافة التونسية / تونس. وسام الجمهورية الصنف الأكبر / تونس. درع التفوق / مصر، وسام الاستحقاق المذهب / لبنان. وغيرها من التكريمات والميداليات والأوسمة العربية والدولية.

تبقى الدكتورة سعاد الصباح نموذجاً فاعلاً ومؤثراً في الحياة الثقافية الكويتية والعربية، نموذجاً مُشرفاً لم يدخر جهداً لخدمة التنمية الثقافية والمساهمة فيها. إنها الوجه الناصع للمرأة الخليجية والعربية، التي ساهمت ومازالت تساهم بكل قوتها وآمالها وأحلامها ومالها في التنمية الثقافية وترقيتها، في بلدها الكويت وفي كل الجغرافيات العربية

سعاد الصباح وتاريخ الكويت¹

فاروق جويده²

الصديقة الشاعرة د.سعاد الصباح أهدتني آخر أعمالها وهو كتاب يتحدث عن تاريخ الكويت يحمل عنوان "الكويت في عهد عبدالله بن صباح الصباح الحاكم الخامس"..

إن د.سعاد الصباح تحمل عشقاً قديماً لوطنها الكويت، وقد صاغته شعراً وتاريخاً ومواقف، وفي السنوات الأخيرة قدمت للمكتبة العربية أكثر من دراسة عن تاريخ الكويت.

إن دولة الكويت تبدو صغيرة في حسابات الجغرافيا، ولكنها كانت صاحبة دور ثقافي وسياسي في فترات مختلفة..

تقول د.سعاد الصباح في مقدمة كتابها: إن الشعوب تستمد من تاريخها عناصر قوتها وتماسكها الاجتماعي وإرادتها المشتركة في مواجهة الصعاب والشدائد، ولذلك اهتممتُ بالكتابة عن الشخصيات التي أثرت في تاريخ الكويت فأصدرت كتابين أحدهما عن الشيخ عبدالله مبارك الصباح، والثاني

1- جريدة الأهرام المصرية 9 يوليو 2019.

2- شاعر مصري، ولد في 10 فبراير 1946، تخرج في كلية الآداب قسم الصحافة عام 1968، وبدأ حياته العملية محرراً بالقسم الاقتصادي في جريدة الأهرام، ثم سكرتيراً للتحريير فيها، ثم رئيساً للقسم الثقافي. نظم كثيراً من ألوان الشعر. وقدم للمكتبة العربية 20 كتاباً من بينها 13 مجموعة شعرية حملت تجربة لها خصوصيتها، وقدم للمسرح الشعري 3 مسرحيات حققت نجاحاً كبيراً في عدد من المهرجانات المسرحية هي: الوزير العاشق، ودماء على ستار الكعبة، والخديوي. تُرجمت بعض قصائده ومسرحياته إلى عدة لغات عالمية منها الإنجليزية والفرنسية والصينية واليوغوسلافية، وتناول أعماله الإبداعية عددٌ من الرسائل الجامعية في الجامعات المصرية والعربية

عن والده الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت السابع، ثم هذا الكتاب عن الشيخ عبدالله بن صباح الصباح الحاكم الخامس للكويت.. وتوضح صفحات هذا الكتاب العلاقة الوثيقة التي جمعت بين أهل الكويت حكاماً ومحكومين وأن حكم الكويت اتسم بروح التشاور والتسامح وهو ما أعطى لتاريخها نكهة خاصة تميزت بها عن الآخرين.

ونقول: وإنني أدعو الله أن يمكنني من استكمال الكتابة عن الرعيل الأول من حكام الكويت..

وتقول سعاد الصباح: إن الكتاب استمرار للوعد الذي قطعته على نفسي تنفيذاً لوصية سمو الشيخ عبدالله مبارك الصباح رحمه الله الذي أوصاني بالبحث في تاريخ آل صباح وتوثيق دورهم في بناء الكويت وتطورها واستقرارها، والكتاب يسلط الضوء على فترة لم يتم بحثها سابقاً، وتعد مرحلة مفصلية في تاريخ الكويت، فترة استطاع فيها حاكم الكويت آنذاك تجاوز الصعاب والتعامل مع الظروف المحيطة بحكمة لنستلهم كيف استمد الشعب الكويتي من تاريخه عناصر قوته وتماسكه الاجتماعي وإرادته المشتركة في مواجهة الشدائد، ويأتي الكتاب استكمالاً لما أصدرته سابقاً من توثيق تمثّل في كتابين أحدهما عن نائب حاكم الكويت الأسبق الشيخ عبدالله بن مبارك الصباح.. والثاني عن والده الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت السابع..

ومن هنا كان حرص د.سعاد الصباح على أن ترصد تاريخ الكويت وأهم الأحداث فيه والعلاقة بين أبناء الوطن الواحد، وكيف جسدت تاريخاً من التلاحم بين الشعب وحكامه

سعاد الصباح والأحباء الأحباء¹

د. خالد أحمد الصالح²

قبل أكثر من عشر سنوات، وبالتحديد في 3 أبريل 2011، كتبتُ مقالاً تحت عنوان (القريب منك بعيد)، أُنذِر فيه من تأثير إعلام التواصل الاجتماعي على العلاقات الأسرية والإنسانية، ومقدار ابتعاد أفراد الأسر والأصدقاء عن بعضهم وهم جلوس في مكان واحد بدأنا بأجهزة التواصل مثل الآي فون والبلاك بيري، وأصبحنا في عصر تقنيات التواصل الاجتماعي كالواتس أب والفيس بوك والتويتر والأنستغرام والتليغرام، يعني العملية توسّعت، وأصبحت العلاقات الاجتماعية لها أدواتها الخاصة التي لا يحدّها مكان، وأحياناً لا يلزمها تقارب ولا تجانس اليوم، أعترف أن تحذيري فقد حاجته، ولم يُعد في محله، أصبحت أدوات التواصل الاجتماعي حاجة وثقافة وأسلوب حياة، إذاً علينا أن نتعامل مع أدوات التواصل الاجتماعي بالاحترام الذي تستحقه، فهي أقوى من كل أجهزة المخابرات، وأقوى من جيوش العالم، وما علينا إلا أن نُسارع في فهمها فهماً صحيحاً حتى نكون جزءاً منها بدل أن نكون خارجها أمة المستقبل المتقدمة، هي الأمة التي يُحسن شعبها التواصل ونشر

1- نشر في جريدة الراي الكويتية في 3 نوفمبر 2021.

2- طبيب كويتي، وأول متخصص بالعلاج الإشعاعي في الخليج، ولد في 27 أكتوبر 1953، أديب له أربع مجاميع قصصية، وله عمود أسبوعي في جريدة الوطن اليومية، وعمود في مجلة حياتنا الشهرية، وله 40 بحثاً علمياً في مجال العلاج الإشعاعي والأورام. رئيس تحرير مجلة الأورام الخليجية (بالإنجليزية: The Gulf Journal of Oncology GJO)، وهي أول مجلة خليجية محكمة دولياً. نشاطه الأدبي يدور حول كتابة القصة القصيرة

ثقافته حول العالم، لا بد أن نُسرّع الخطى في إدخال فن وأدب التواصل الاجتماعي في برمجتنا العقلية، نعم أتمنى اليوم قبل الغد أن نفكر جدياً في تقنين التواصل الاجتماعي وجعله نمطاً من أنماط الإبداع

قبل أيام قامت رابطة الأدباء الكويتية¹ بالتعاون مع الحملة الوطنية لمكافحة السرطان بتكريم الشباب المبدع في فن القصة القصيرة، تحت رعاية كريمة من الدكتورة الأديبة سعاد الصباح، تكريم يُشكرون عليه، وفي الوقت نفسه نتمنى لو أنهم طوّروا التنافس الأدبي لإدخال نمط جديد ومتطور للأدب باستخدام أدوات التواصل الاجتماعي، ولا سيما إذا تذكرنا أن ذلك التنافس الأدبي كان بين طلبة الثانوية، أي في مركز الحماس والإيمان على وسائل التواصل

هناك آلاف من التعليقات والآراء الإبداعية يقوم الشباب المبدع بنشرها يومياً على وسائل التواصل، أغلبها لا نعرف مصدرها الحقيقي، فيضيع على صاحبها حقُّ الإبداع، لا بد لقواعد أدب التواصل أن تبتدع أسلوباً لتسجيل الإبداعات، وكذلك أسلوباً لنشر الإبداع على المستوى المحلي كخطوة أولى، وأخيراً لا بد أن يتم تكريم المبدعين، أليس التواصل الاجتماعي هو أحد أساليب الإبداع الأدبي والفني الذي سيكون أكثر الأساليب قراءةً في المستقبل؟

أتمنى أن تأخذ رابطة الأدباء الكويتية مبادرة تقنين أدب التواصل، والبدائية ورشة عمل للعصف الفكري حول الموضوع، وكلّي ثقة أن أدباء الكويت سيكونون قادة في هذا المجال، ولا سيما أن الشابة التي مثلت الدكتورة سعاد كانت حفيدتها (فضيلة) التي عبّرت بلغة سليمة عن دعم

1- احتفالية رابطة الأدباء الكويتيين بمسابقة القصة حول السرطان برعاية د.سعاد الصباح - 2021.

الأدب والأدباء مخاطبةً الجميع بقولها: (الأحباء.. الأحباء) وكأنها تحثهم على الإبداع والتطوير

لن ننتظر يوماً يتكلم العالم فيه بثقافة صينية أو أميركية، بينما نحن مازلنا نستخدم لغة التواصل للتسلية، وليس لخلق ثقافة أدبية نتميز بها، إنها خطوة أخرى في مجال الإبداع الأدبي، نتمنى أن يكون لها صدى

نون النسوة في مواجهة واو الجماعة¹

د. سمير حاج²

الشعر اندهأش في جماليته وعبق معانيه، الخالد فيه هو المسكون بالهم الإنساني، المُشاكس للواقع، الراض سَطَوَة شهريار وتابوهات، والمشحون بـ«لا». لا الناهية عن تفتيت المرأة و«فيتو على نون النسوة» كما تصدحُ قصائدُ سعاد الصباح صاحبة «امرأة بلا سواحل» و«القصيدة أثنى والأثنى قصيدة» و«فتافيت امرأة» التي رسمت صورة المرأة الشرقية بهيئةً في خريطة الشعر العربي الحديث، وحملت صوتها الجريء الواعي، وجعلته يصدح في آذان شيوخ القبيلة غير آبهٍ بالآتي. «وإن صلبوني.. فشكراً لهم/ لقد جعلوني فداء المسيح»

أشعارها قزحية الموضوعات مثل سيمفونية متنوعة عن قضايا المرأة وهُموم الإنسان العربي عامة. شكّلت قصيدتها مثلثاً أضلاعه الوطن، الحب، الحرية. رفعت أشعارها صوت النساء الغاضب، فاخترت «نون النسوة» المتحركة، الفعالة والفاعلة في وظيفتها النحوية، عَوَضَ «تاء التأنيث» الساكنة والمقصاة عن أي وظيفة نحوية، لمُحاورة الرجل الشرقي المتخلف وشيوخ البادية في نظرتهم الدونية للشاعرات، في زمن البدء.. حين كانت القصيدة أيقونة جمع مذكر سالم «إن الأدبيات نوعٌ غريبٌ/ مِنَ العشبِ.. ترفُّضُ البادية». ويتمظهر الرجل الشرقي في شعرها بتوصيفات قامعة

1- نشر في صحيفة القدس العربي - 20 يناير 2022.

2- باحث وأكاديمي فلسطيني.

مثل، شهريار، هولاكو، زير نساء، متخلف، استعمار قديم، ذئب مشتعل العينين، وحش، قرصان، سمك متوحش.

هذه الشاعرة التي ضمخت القصيدة برحيق فكر الأنثى الواعية والذكية، نشدت من الرجل الشرقي المضمّر والغائب فيه، الكلام الجميل والعاطفة والصدقة والاهتمام بالأشياء الصغيرة، كما في (كُنْ صديقي) التي غنّتها المطربة ماجدة الرومي، «إن كل امرأة تحتاج أحياناً إلى كف صديق وكلام طيب تسمعه/ وإلى خيمةٍ دفءٍ صُنِعَتْ مِنْ كلمات/ لا إلى عاصفةٍ مِنْ قُبَلات». كما رأت أن الرجل الشرقي لم يخلع أفكار شهريار القامع والقاطف ثمار النساء «إنني أحتاج كالأرضِ إلى ماءِ الحوار/ فلماذا لا ترى في معصمي إلا السوار/ ولماذا فيك شيءٌ مِنْ بقايا شَهْرِيَار». شعرها غاضبٌ، ثائرٌ، ورافضٌ للثابت كما في قصيدة «أنثى 2000» «قد كان بوسعي/ أن أبتلع الدمع/ وأن أبتلع القمع/ وأن أتأقلم مثل جميع المسجونات». قصائدها الومضية وخزاتٌ ولسعاتٌ اجتماعية كما في (فضول) «في المقاهي الأوروبية/ أقرأ جريدتي وحدي/ وفي المقاهي العربية/ يقرأ كل الجالسين جريدتي معي». كما أنها حاذقةٌ في رسم صورة الرجل الشرقي اللاهث وراء النساء والمتلعثم في حضورهن «لماذا الرجل الشرقي ينسى/ حين يلقى امرأةً، نصف الكلام؟/ ولماذا لا يرى فيها سوى قطعة حلوى/ وزغاليل حمام/ ولماذا يقطع التفاح من أشجارها؟ ثم ينام». وتتقاطع أشعارها في الحب والجنس مع الشاعرة العراقية الراحلة لميعة عباس عمارة، في الجرأة والذكاء في إبراز روح شهريار في حبيبها الشرقي، وكشف خيانتها وتسامحها اتجاهه «رجل أنت مكتظٌ بالنساء حتى التخمة/ وحين تأتيني مساءً/ مُثخناً بالكحل والعطر والأظافر/ أمسحُ جراحك بماء الورد/ وأتوسل إليك

أن تخلعَ حَوْدَتَكَ / وترمي سيفَكَ على الأرض / وتجعلني / معركتك الأخيرة»
 قصائدها الواخزة للرجل الشرقي، حيناً تسيرُ حَبِيّاً، وأحياناً تثورُ وتسرع،
 في الأولى لا تخرج عن دائرة المُحاورة والطلب والبقاء في فلك الحبيب
 وتحت سمائه، «أنت كالاستعمار القديم / تضعُ يدَكَ على مناجمي /
 وقمحي. وفاكهي.. ومعادني / لكنني أريد أن تمنحني / وَلَوْ على سبيل
 التجربة / نَوْعاً مِنْ أنواع الحكم الذاتي». فالرجل الشرقي في عالمها الشعري
 مسكون بعقلية شهريار «مُشكلتك الكبرى / أن جميعَ معلوماتك عن
 الحب / مأخوذة من كتاب (ألف ليلة وليلة)». والشاعرة في عَيْنِ الرائية،
 تستشرفُ استحالة تهشيم أصنام القبيلة، وتغير موقف الرجل من الحب
 فتلجأُ إلى الوخز والهمز والسخرية السوداء في نيازكها الشعرية «لو كنتُ
 أعرفُ أنك تهوى الكتب / إلى هذا الحد / لاشتريتُ أثوابي من المكتبات».
 كما أنها تروض حبيبها الشرقي بالمناغاة والإطراء والمديح، أملاً في اقتناص
 بعض الحقوق، وهي العارفة بازدواجية مواقفه ورجعيته، كما في (ازدواجية)
 «كَمْ أَنْتَ بليغٌ ومتدفقٌ / عندما تتحدث / عَنْ مَازِقِ المرأة العربية /
 وضرورة فك الحصار التاريخي / عَنْ فمها.. وعقلها.. / وجسدها المظمور
 تحت الرمل / لكن ما يدهشني / أنك عندما تكتبُ / تضعُ المرأة دائماً / بَيْنَ
 قَوْسَيْنِ». هذه الثيمة تكررت كثيراً في شعرها في درجات حرارة مُختلفة،
 فهي تنعتهُ بثنائية الحضاري على الورق، والعدواني للنساء أي المتخلف عن
 ركب الحضارة.

ويزداد غضبها الشعري في تعرية عُقدة حبيبها الشرقي وخوفه من
 نجاحاتها «يا مَنْ تُعقدُ انتصاراتي / وتكرهُ أن ترى حولي / أَلَوْفَ المُعجبين /
 يا مَنْ تخافُ تفوقي / وتألقي / وتخافُ عطرَ الياسمين».

كما يتواتر غضبها الجريء وغلوانها بأسئلتها الاستنكارية المنهالة بغزارة في دحض ثقافته «أُمثَقَف؟ ويقولُ في وأد النساءِ../ فأَيُّ ثقافةٍ هذي.. وأيُّ مُثَقِّفين؟/ أُمثَقَف؟/ ويريدُ أن يُبقي حبيبتهُ بسرداب السنين؟».

وتسير قصيدتها بانسيابٍ وشموخٍ وتحداً مثل مُهرةٍ حرون، مُستشرفةً الغد الأجل للمرأة الشرقية «ما تعودتُ بأن أنظرَ يوماً للوراء/ فأنا أعرفُ دربي جيداً / والصعاليك على كثرتهم / لَن يَطالوا أبداً كعبَ حذائي/ لن ينالوا شعرةً واحدةً من كبريائي».

هذه السفينة الشعرية المحمّلة بالشعر المنثور وشعر التفعيلة والموزون لا تهاب العاصفة، كما أنها تحمل رؤية كونية في نزعتها الإنسانية الشمولية وانتمائها للحب «انتمائي هو للحب / وما لي لسوى الحب انتماء».

قصيدتها عصرية مُواكبة للحدّثة، مجبولة بالوجع ومعاناة المرأة والإنسان، تتشجُّ بالأسود من وجع الفراق وتعاسة الواقع وتهميش وتفتيت المرأة في المجتمع الذكوري «إنني كنتُ في بحر بلادي لؤلؤة / ثم ألقاني الهوى بين يديك/ فأنا الآن فتافيتُ امرأةً»، لكنها تستشرفُ الصحوّة والنهوض. سعادُ الصباح كما تزدهي بأشعارها، نخلة شامخة، في روضة الشعر العربي الحديث، بلسمت الشعر بعرار نجدٍ، ولونت القصيدة بقوس قزح المزدهي بالمرأة الشاعرة الجريئة في تعرية شهريار المعاصر

جسر ثقافي ونضال عالمي¹

ماتيو ستريكو²

كاتبة، شاعرة، ناشرة، سيدة أعمال، باحثة، مناضلة، فاعلة خير.. ما أقل النعوت لوصف المسار الاستثنائي لسعاد الصباح، المولودة في 22 مايو 1942 في محافظة الزبير بالعراق، وأحد أفراد العائلة الحاكمة الكويتية. لم تتأخر في إثبات مكانتها كامرأة متعددة المواهب وبإشراق قل نظيره. لقد ساهمت بقوة بفضل إنتاجها الكبير في تطوير الثقافة في الكويت، وفي العالم العربي وحتى خارجه

وإذا كان من ميدان لمع فيه بشكل خاص بريق هذه الأديبة فبوصفها شاعرة. لقد نشرت حوالي عشرين ديواناً، كانت الثلاثة الأولى بين 1961 و1964

كانت إذاك أول امرأة تنشر الشعر في منطقة الخليج تحت اسمها الحقيقي. لذلك يمكن اعتبارها حقاً رائدة في المجتمع الذكوري والأبوي الخليجي، مجتمع يحظى فيه الشعر بتأثير كبير.

«يعتبر الشعر نوعاً أدبياً واسع الشعبية في الخليج، لدرجة أنه يمكن أن يخصص له برنامج تلفزيوني طوال الموسم ينتهي بتعيين شاعر فائز» يقول ماكسيم ستينويت (Stenuit)، الذي ترجم ولم ينشر بعد ديوان الشاعرة

1- 11 نوفمبر 2022.

2- كاتب فرنسي.

السيرذاتي «خذي إلى حدود الشمس» (1997) وديوانها «وللعصافير أظافر تكتب الشعر» (2018)، هذا الأخير يميل إلى تلخيص مجمل أعمال سعاد الصباح

تعود مكانة الشعر المرموقة في العالم العربي إلى أزمنة قديمة جداً. في العهد الإسلامي الكلاسيكي، كان الشعراء ينالون مكافآتهم ذهباً. وإلى اليوم، لا يزال هؤلاء الفنانون يعتبرون شخصيات عامة معروفة كما تحظى أمسياتهم الشعرية بحضور مميّز.

من الإنسانية الحميمة إلى لقاء الآخر

شاعرة نسوية ورومنسية، ما يميّز سعاد الصباح خصوصاً هو بساطة وعالمية أشعارها. بحسب مجيد بكوش مترجم ديوانها «امرأة بلا سواحل» (1994) إلى اللغة الفرنسية: «دائماً ما يقال بأنه ومن أجل بلوغ العالمية ينبغي الانطلاق من قريتك. هذا ما فعلته سعاد الصباح باستثناء أنها وعوض الانطلاق من قريتها انطلقت من عائلتها. في سبيل مدّ الجسور، ولاسيما بين الشرق والغرب، اعتقدت أنه من الضروري أولاً أن تكون قادرة على معرفة نفسها بشكل عميق»

ولقد أبانت الشاعرة عن قدراتها بشكل غير مألوف من خلال أعمالها النثرية. دونت فيها ذكرياتها ونسجت بدقة اللحظات التي لا تنسى التي عاشتها مع أبنائها الخمسة وزوجها الشيخ عبدالله المبارك. انطلاقاً من هذه الإنسانية الحميمة تكونت شخصية راحته تدريجياً تبحث عن لقاء الآخر بثراء عظيم وكثافة إنسانية عميقة

يرمز العنوان «امرأة بلا سواحل» إلى المغامرة الشعرية لسعاد الصباح والتي قادتها إلى التشعب، كأنها كائن مائي لم يستطع تحديد مكانه لأنه

لديه رغبة في أن يكون في كل الأمكنة، في الشرق كما في الغرب، كائن لا مستقر له فبقي وسط الأمواج. لا يتعلق الأمر بضياح لأننا لا نشعر بأي ألم؛ إنها حالة روحية هادئة ومسؤولة.

«الحوار الذي تجريه مع الرجل حوار مجابهة»

تنطلق سعاد الصباح من المجال الحميمي لعائلتها لتكشف عن ذاتها وتضع القلم في الجرح، مستثمرة موضوعاً رئيسياً في شعرها: النسوية. تستنكر من خلاله وضعية المرأة في الخليج وتعرب عن رغبتها في التحرر والمساواة. لقد وجد صوتها الحاد آذاناً صاغية بين نسويات كل الأرض. إنَّ الحوار الذي تجريه مع الرجل حوار مجابهة، بل قد يبدو عنيفاً. في الحقيقة، هو ليس عنيفاً في جوهره، ذلك أن سعاد الصباح وحتى ولو عبّرت عن رغبتها الكاملة في التحرر إلا أنها تقبل أيضاً بالانتماء إلى عالم يكون فيها الرجال المحيطون بها إخوة وأزواجاً لفهم أفضل لرسالتها، دعونا نقرأ بعضاً ممّا كتبه:

«فرق كبير بيننا.. يا سيدي / فأنا الحضارة.. والطغاة ذكور»

هذان البيتان المتصدران يعبران بدقة عن نوايا الشاعرة.

من هنا تدخل في حوار متواصل مع بعلمها إلى آخر سطر من ديوان «امرأة بلا سواحل».

تعبر في هذه المعارضة عن رفضها أن تعامل وفقاً لثقافة أبوية وأن تنتمي إلى عالم يحجر عليها ويخضعها.

تبدو بعض الفقرات معبرة بشكل لافت ولاسيما في القصيدة الأولى من الديوان والمعنونة «تمنيات استثنائية لرجل استثنائي»

1

أنا أرفض الحبَّ المعبَّأ في بطاقات البريد..
إني أحُبُّكَ في بداياتِ السَّنة..
وأنا أحِبُّكَ في نهاياتِ السَّنة..
فالْحُبُّ أكبرُ من جميع الأزمنة
والْحُبُّ أرحبُ من جميع الأمكنة
ولذا أفَضُّ أن نقول لبعضنا
((حُبُّ سعيد))..

حُبُّ يثورُ على الطقوس المسرحية في الكلام
حُبُّ يثورُ على الأصول..
على الجذور..
على النظام..
حُبُّ يحاولُ أن يُعَيِّرَ كُلَّ شيءٍ
في قواميس الغرام...!!

2

ماذا أريدُ إذا أتى العامُ الجديدُ..
كم أنت طفلُ في سؤالِكَ..
كيف تجهلُ، يا حبيبي، ما أريدُ؟
إني أريدُكَ أنتَ وحدَكَ..

أيُّها المربوطُ في حَبْلِ الوريدِ
كُلُّ الهدايا لا تثيرُ أنوثتي
لا العطرُ يدهِشُنِي..
ولا الأزهارُ تدهِشُنِي..
ولا الأثوابُ تُدهِشُنِي..
ولا القَمَرُ البعيدُ..
ماذا سأفعلُ بالعُقودِ.. وبالأساوِرِ؟
ماذا سأفعلُ بالجواهرِ؟
يا أيُّها الرُّجُلُ المسافرُ في دمي
يا أيُّها الرُّجُلُ المسافرُ
ماذا سأفعلُ في كنوزِ الأرضِ..
يا كنزي الوحيدُ؟

تعبّر السيدة الصباح هنا عن كل النسويات المنسوبة إليها، وتصف الطقوس العائلية وطقوس الحب والعلاقة مع الأولاد، أي تتمرد بوصفها امرأة على هذه المكانة التي منحها إياها المجتمع. إنها في آن أغنية تمرد وإشادة بالحب العذري المتحرر من جانبه المادي الذي يمثل خضوع المرأة تتوالى القصائد وكأنّها حكاية تتطور جنباً إلى جنب مع علاقتها بزوجها. هكذا تقول في قصيدة «القمر.. والوحش»:

تختلطُ في أعماقي
مشاعرُ الغضبِ..

بمشاعرِ الأمومةِ..
وإحساسِ الأمانِ
بإحساسِ العاصفةِ القادمةِ..
وأعيشُ أيامي معكَ
وأنا مُعلَّقةٌ..
بين أشجارِ النارِ على شفتيكِ..
وبين الهاويةِ...

يهاجمني صوتك في وحدتي
كذئبٍ مُشتعلِ العينينِ..
يتركُ جرحاً في الرقبةِ
وجرحاً في الذاكرةِ
وطعنةً في خالصرتي..
وطعنة في شراشفي..
ويعجنني كلَّ ليلةٍ..
بالقرقةِ.. والزعرانِ..
والبهاراتِ الحارقةِ..

أتمزقُ ألفَ قطعةٍ..

بين حضارتك على الورق
وعدوانيتك على النساء..
بين حرائق كلماتك..
وصقيع قبلاتك..
بين مواقفك الأبوية..
ومواقفك النرجسية..
بين ليبراليته التي لا حدود لها..
ورجعيتك التي لا حدود لها..

في داخلي..
مسيرات نسائية طويلة
تبدأ من طنجة..
وتنتهي في حضر موت
وشعارات مكتوبة بأحمر الشفاه..
وأعلام مصنوعة
من خيوط جوارب قديمة..
واحتجاجات ضد نظام الحزب الواحد..
والرجل الواحد..
والفرش المتعدد الجنسيات...

يلقى مجيد بكوش قائلاً: «نلاحظ، مرة أخرى، بأنها لا تزال معلقة بين
رغبة التحرر وشعورها القوي بالحب تجاه زوجها»

مُحاربة لا تتوانى في تصويب لكلمات لفظية

يشدد ماكسيم ستينويت على الجانب الثوري في شعر الدكتورة سعاد
الصباح، المتعلق برفضها امتهان المرأة، والتي قد تصدم القراء الذكور
ولاسيما في سياقها الاجتماعي الثقافي. «تغوص في أساس العلاقات بين الرجل
والمرأة، تتحدث عن روابط الحب، عن الجنس وعن الحق المنبثق عنه.
هنا تحديداً تظهر أكثر سحجاً ومباشرة. إنها محاربة لا تتوانى في تصويب
لكلمات لفظية»

هكذا نقرأ في قصيدتها «ليلة القبض على فاطمة» من ديوانها «خذني إلى
حدود الشمس»

1

هذي بلادٌ.. تَحْتِنُ القصيدةَ الأُنثى..
وتشَنُقُ الشمسَ لدى طُلُوعِهَا
حفظاً لأمنِ العائلةِ
وتذبُّحُ المرأةَ إن تكَلَّمَتْ
أو فكَرَّتْ
أو كَتَبَتْ
أو عَشَقَتْ
غَسلاً لعارِ العائلةِ..

2

هذي بلادُ لا تريدُ امرأةً رافضةً..
ولا تريدُ امرأةً غاضبةً
ولا تريدُ امرأةً خارجةً
على طقوسِ العائلةِ
هذي بلادُ لا تريدُ امرأةً..
تمشي أمامَ.. القافلةِ..

3

هذي بلادُ أكلتُ نساءها..
واضطجعتُ سعيدةً..
تحت سياطِ الشمسِ والهجيرِ
هذي بلادُ الواقِ والواقِ.. التي تصادرُ التفكيرَ
وتذبحُ المرأةَ في فراشِ العُرسِ.. كالبعيرِ..
وتمنعُ الأسماكُ أن تسبحَ
والطيورَ أن تطيرَ..
هذي بلادُ تكرهُ الوردَةَ إن تفتّحتْ
وتكرهُ العبيرَ
ولا ترى في الحلمِ إلا الجنسَ.. والسريّ..
من المثير للإعجاب أن تقرأ هذه الأبيات شديدة اللهجة بقلم امرأة

ترعرعت في وسط عامٍ أقصيت منه المرأة ولا يحق لها الكلام إلا بموافقة من زوجها. بصفتها أميرة كويتية، استطاعت أن تتمتع بشيء من الحرية التي لم تتردد في إظهارها للعلن. من المؤكد أنَّ زوجها، الشيخ عبدالله المبارك، قد لعب دوراً حاسماً في حرية التعبير هذه حين ساند زوجته في معركتها ومنحها المساحة اللازمة لذلك. ولا شك في أنَّ هذا يفسر ولو جزئياً سبب الحب الكبير الذي أكتته له الشاعرة

يقول عنها مجيد بكوش بأنها: «مسلمة، عربية، كويتية، متمسكة بثقافتها، بدينها وبالقوانين التي تحكم مجتمعها. لكن ومع ذلك لا تتردد في الإفصاح عما في قلبها. أظن أنَّ هذا هو السبب الذي جعل أهلها يرون فيها تجسيدا للمرأة التي يراد تحريرها»

موضوعات عالمية ونضال شعري عابر للحدود

إذا كان نضالها في موضوع المرأة هو عادة الموضوع الأساس الذي يلفت انتباهنا ونحن نقرأ شعرها فإنَّ سعاد الصباح قد سخَّرت مداد قلمها للكتابة عن موضوعات عالمية أخرى. إنها تثير مواضيع ناعمة وخفيفة، وأخرى أكثر خطورة. تتحدث عن الطبيعة، عن تشبثها بالأرض وعن ولدها مبارك الذي توفي صغيراً. تفصح أيضاً عن شعورها خلال إجازاتها المعتادة في ميغيف (Megève) بجبال الألب السويسرية برفقة زوجها الراحل. كما تحكي عن الحرب الأهلية التي اجتاحت لبنان حيث عاشت في فترة معينة. وعن الحرب والمعاناة المستمرة في فلسطين والتي تمثل جملة من المظالم. وبطبيعة الحال اجتياح الكويت في 1990 والذي أدى إلى تغير جذري في نضالها السياسي

زيادة على ثيمات أعمالها التي بإمكانها دغدغة مشاعر أيِّ كان في كل بقاع

الأرض، بلغ شعرها العالمية بفضل ترجمته إلى العديد من اللغات بداية من سبعينيات القرن العشرين. ويكفي إلقاء نظرة على أسماء مترجميها حتى ندرك مقدار أهمية شعر سعاد الصباح. ومن بين هؤلاء نجد البروتاني أوجين غيلفيتش، وهو أحد كبار الشعراء الفرنسيين للقرن العشرين وقد فاز بشكل خاص بالجائزة الكبرى للشعر للأكاديمية الفرنسية سنة 1976 وجائزة الغونكور للشعر سنة 1988. اشتغل الشاعر على أعمال الكويتية برفقة زوجته، لوسي ألبيرتيني، وناشره المعرب. يرى ماكسيم ستينويت «بأنه أمر مثير للاهتمام لأن غيلفيتش كان شيوعياً. وهذا لا يعني فقط أنه تم باكراً اكتشاف البعد السياسي لكتابات سعاد الصباح بل أيضاً كانت هناك رغبة في مدّ جسور بين مختلف صيغ الصراع الشعري»

بساطة ماثرة لافتة للنظر وغنائية

تتجلى أيضاً عالميتها الشعرية من خلال أسلوبها في الكتابة. إنها تنضح بالبساطة ولفت النظر، بل تكاد تكون صعبة المنال وفي نفس الوقت تتسم بالبلاغة غير المألوفة. يقول مجيد بكوش متعجباً: «إننا ننساءل حتى كيف تمكنت من تدوين هذه البساطة على الورق»

تكتب سعاد الصباح شعراً حراً مدعوماً بإيقاع مؤكد. هي لا تعبر عن نفسها بلغة نخوية. يرى ماكسيم ستينويت «بأن هذا الأمر قد يبدو سلاحاً ذا حدين في العالم العربي لكون الكثير من القراء المحافظين جداً يفضلون البقاء في إطار الشعر الكلاسيكي». بيد أن الفضل يعود أخيراً لهذه البساطة الشعبية في تحويل شعرها إلى كلمات وأغان أداها كبار الفنانين العرب، بدءاً بالمغنية اللبنانية القديرة ماجدة الرومي والتي تكنّ تقديراً عميقاً للشاعرة وغنّت بشكل خاص قصيدتها «كن صديقي».

عرابة الثقافة على الصعيد الدولي

غير مكتفية بالصدى الكبير الذي ناله عملها الأدبي، كانت سعاد الصباح، مثل عرابة محبة للخير، تأمل في نجاح كتاب خليجين آخرين. ويظهر هذا الدعم خصوصاً من خلال دار نشرها التي ومنذ تأسيسها العام 1984 تهدف إلى تعزيز الإبداع الأدبي والشعري وكذلك الابتكار العلمي، وذلك بإتاحة الفرصة للمواهب الجديدة وضحايا التضييق الفكري والثقافي من خلال الجوائز الأدبية أو بنشر أعمالهم.

في سنة 1988 أطلقت جائزة سعاد الصباح للإبداع الأدبي وجائزة أخرى تحمل اسم زوجها عبدالله الصباح، مخصصة للإبداع العلمي، دون أن ننسى جائزة خاصة موجهة لشباب الأراضي المحتلة.

ثمة عدد معتبر من الفنانين هم مدينون لها لكونها هي من عرف الجمهور بهم. كما أنها نشرت الكثير من الأعداد القديمة لمجلة «الرسالة» وهي مجلة أدبية وزعت بين سنتي 1933 و1952 تحت إشراف أحمد حسن الزيات.

وتقديراً لتشريفها الكبير للثقافة، تم تكريم سعاد الصباح بدورها من طرف العديد من المؤسسات والمنظمات الثقافية والدولية. هكذا أشاد بها «النادي الثقافي المصري» بطباعة كتاب من مجلدين يضم مجموع الدراسات والتحليلات التي تناولت أعمالها.

كما أنها ممثلة عن قسم اللغة العربية لجامعة الكويت ولبعض المؤسسات والمنظمات الكويتية خلال «يوم الكاتب الكويتي».. نالت «جائزة الدولة التقديرية للآداب والفنون» للكويت، «وسام الثقافة التونسية»، «الميدالية التكريمية الفضية من معهد العالم العربي» في باريس..

امرأة مهتمة بالاقتصاد وبالعالم الرجال

إنَّ سعاد الصباح، المعترف بأعمالها والتزامها في أوروبا، مرتبطة بالقارة العجوز لكونها قضت جزءاً من حياتها هناك. بعد أن نالت شهادة البكالوريوس في الاقتصاد من جامعة القاهرة بمصر سنة 1975، وانتقلت مع عائلتها إلى المملكة المتحدة حيث نالت شهادة الماجستير ثم الدكتوراه في نفس الاختصاص من جامعة ساري (Surrey) سنة 1981 عن أطروحتها «التخطيط والتنمية في الاقتصاد الكويتي ودور المرأة». هكذا غدت أول امرأة كويتية تتحصل على شهادة الدكتوراه في الاقتصاد.

ثم لم تتأخر كثيراً ونشرت كتباً تعالج إشكاليات سوسيو-اقتصادية على غرار: «أزمة الموارد في الوطن العربي» (1989)؛ «أوراق في السياسة النفطية» (2006). كما أشرفت على الكثير من البحوث الاقتصادية وكتبت كتباً مثل: «دور المرأة المسلمة في التطوير الاقتصادي للدول العربية في الخليج» (1982)؛ «النساء العاملات في الخليج» (1985).

لقد سمح لها انجذابها إلى الأمور الاقتصادية بأن تكون أقوى سيدة أعمال في الكويت. كانت وبفضل مكانتها ترغب في المشاركة في أعمال الرعاية لإنجاح الشركات الاقتصادية في العالم العربي وخارجه. لقد ساندت واقترحت بدائل اقتصادية لتمكين بلدها من المضي قدماً نحو تنمية متماسكة ومحررة.

إنسانة محاربة

لقد أرادت سعاد الصباح بفضل سمعتها أن تنقل انشغالات مجتمعتها إلى الهيئات الدولية، أن تهبّ لمساعدة المحتاجين وتدافع عن حقوق الإنسان، أن تحسّن أوضاع الأطفال وتعزز تعليم المرأة.

كانت عضواً مؤسساً للمنظمة العربية لحقوق الإنسان سنة 1983، وهي أيضاً عضو في اللجنة التنفيذية للمنظمة العالمية للنساء المسلمات لجنوب شرق آسيا، كما تشغل منصباً في مجلس الإدارة واللجنة التنفيذية لمنتدى الذكاء العربي ورابطة الصداقة الكويتية الأمريكية.

باعتبارها رمزاً قوياً، قام بطرس غالي، الأمين العام السادس لهيئة الأمم المتحدة، باختيارها لتمثل الأمم المتحدة في المؤتمر العالمي الرابع حول المرأة المنعقد في بكين سنة 1995، ضمن وفد من خمس نساء هن السيدات الأول للولايات المتحدة الأمريكية، فرنسا، نيجيريا، ورئيسة أيسلندا.

أما في الكويت فقد شنت سعاد الصباح حملة لصالح الحقوق السياسية للنساء واللائي نلن الحق في الانتخاب والمشاركة في الحياة السياسية سنة 2005 سعاد الصباح، التي عملت بجهد في سبيل إبراز الأعمال البطولية لمؤسسي وقادة بلدها من خلال سير ذاتية على غرار «مبارك الصباح: مؤسس دولة الكويت الحديثة»، كان لها مشاركة بفضل نضالها في حركة ديمقراطية الكويت.

رمز النجاح والطموح والعزيمة

إذا كان لهذه المرأة الاستثنائية تأثير جلي في لبنان ومصر، فإن تأثيرها كان أكبر في دولتها حيث كان زوجها لكثير من الوقت نائباً للحاكم. ولأنها تجسد نموذجاً يحتذى به، حظيت سعاد الصباح باحترام بالغ في بلدها. قربها من مجتمع الرجال ومكنها من التأثير فيهم، ونيل إعجابهم والمساهمة في تغيير بعض القرارات الحاسمة في تاريخ الكويت.

إنّ سعاد الصباح جريئة ومبدعة، تجسد نجاح المرأة، وطموحها وعنادها،

وتصميمها وحساسيتها. يقول عنها مجيد بكوش: «أكثر ما أثارني فيها هو انتقائيتها، طاقتها الجامحة ورغبتها في أن تكون دائماً الحضور وفي كل مكان في سبيل مساعدة الآخرين وتغيير الأشياء»

كانت رائدة أيام شبابها في عالم الكتابة والنشر، وها هي إلى اليوم تحافظ على روحها المبتكرة بولوج العالم الرقمي. حتى وهي في الثمانين من عمرها، تنشر يومياً على حسابها في تويتر ويتابعها أكثر من 67000 شخص.

تجسيد الشخصية الفكرية العربية

على المستوى الإقليمي ومن خلال مشاركتها على جميع المستويات، تجسّد سعاد الصباح المثل الأعلى للأدبية الملتزمة، بل تعتبر مرجعية جد أساسية بالنسبة لشعبها، شعب يعيش منذ ثمانينيات القرن العشرين أزمة حادة متعلقة بالالتزام الفكري داخل العالم العربي.

أعمالها، مواقفها النضالية، نفسها الشعري.. كل شيء في منجز سعاد الصباح يضعها في مصاف الأصوات العربية الكبرى في عصرنا هذا. ولأنها متيقنة بأنها ساهمت ولو بالقليل في الإرث العالمي، تحمل هذه المرأة النموذجية متعددة المواهب في قلبها أملاً في أن تواصل الأجيال اللاحقة العمل الذي بدأته هي.

أميرة وشاعرة..¹

نيكولا ميشال²

منذ مطلع الستينيات وسعاد الصباح تقرض الشعر بانتظام. لم تختبر بين الحميمي والسياسي، امتدحت الكويت وحب زوجها، صرخت في وجه الحرب ونافحت ببسالة عن مكانة المرأة. لقد نشرت أكثر من عشرين مجموعة شعرية.

حين يشاء الله أن تولد في كنف عائلة حاكمة فإن خيار الشعر هو آخر شيء قد تفكر فيه. أكثر من ذلك، أن تقرر مراقبة الكلمات قد يعتبر أمراً يشوبه الشك فلا يخفى على أحد بأنه غالباً ما تترصد شرارات التمرد من وراء سلاسة الكلمات، موسيقى القوافي ونسق الإيقاعات. ولدت في 22 مايو 1942 بمحافظة الزبير بالعراق، سعاد محمد صباح المحمد الصباح هي الابنة الوحيدة للشيخ محمد الصباح وشيخة بنت أحمد الثاقب، وكلاهما سليل عائلة خليجية معروفة.

سُمي الشيخ محمد الصباح بهذا الاسم تكريماً لجده الشيخ محمد الصباح (1838 - 1896)، سادس حكام الكويت.

1- 11 نوفمبر 2022.

2- أستاذ جامعي وروائي فرنسي من مواليد أبريل 1949 في إيكس - أون - بروفنس بفرنسا. رئيس تحرير قسم «الثقافة» بمجلة جون أفريك. إصداراته الأخيرة:

- Le chant noir des baleines (Talents hauts)
- Entre mes branches (La Joie de lire)

قد كان بوسعها..

ولأنها من عائلة حاكمة، كان بوسع سعاد الصباح أن تكتفي بعيشة الأميرات وسط الرخام والذهب، تطل على العالم من علياء السلطان والمال. «قد كان بوسعها» بحق، وهي لازمة واحدة من أشهر قصائدها وأوسعها انتشاراً: أنثى 2000. في هذا النص الذي هو أقرب إلى بوح بقناعاتها، كتبت تقول

«قد كان بوسعي أن أتجمل..

أن أتكحل

أن أتدلّل..

أن أتحمّص تحت الشّمس

وأرقص فوق الموج ككلّ الحوريّات

قد كان بوسعي أن أتشكّل بالفيروز، وبالياقوت،

وأن أتشنى كالملكات».

بيد أنها أبت، وقررت وهي ابنة الثالثة عشرة، متلحفة بأثواب الأميرات، أن تسلك سبيل الكلمات الوعر.

نص أول بعمر ثماني سنوات

بدأ تدريجياً اهتمامها بالسحر الخاص للكلمات وهي في المدرسة، كتلميذة أولاً في ابتدائية حليلة السعدية بالبصرة ثم في الكويت حيث واصلت دراستها الإعدادية في «مدرسة الخنساء» وبعدها في الطور الثانوي بـ«مدرسة المرقاب». أن تكتب قصيدتك الأولى في بداية عهدك بالمراهقة

لا يضمن للجميع السير في درب الشعر؛ كثيرون تخلوا عن ذلك بمجرد خمود لوعة الهيرمونات! تقول الشاعرة: «كتبت قصائدي الأولى وأنا في سن الثامنة وكنت أحلم بكتابة العالم، كل ورود الحقائق وكل نجوم السماء. لكنني كنت في مقبل الشباب حين كتبت قصائدي الأولى الموجهة للجمهور. كنت آنذاك واعية بالمسؤولية الفكرية والالتزام الذي تتطلبه من جانب الكاتب»

مسؤولية والتزام

«قد كان بوسع» سعاد الصباح أن تكتفي بتطفل عابر على دروب الكتابة الوعرة لكنها آثرت أن تجعل منها مسار حياة

«قد كان بوسعني

أن أتجنب آهة كل المحزونين

وصرخة كل المسحوقين

وثورة آلاف الأموات..

لكنني خنتُ قوانين الأنثى

واخترتُ مواجهة الكلمات..».

لا ريب في أنّ هذا القرار الشجاع والاستثنائي في آن واحد متجذر في دهشة الطفولة: بحسب مقال نشر في عرب تايمز بتاريخ 26 مارس 2017: «ترعرعت في محافظة الزبير وكان لوالدها كبير الأثر عليها وهي طفلة صغيرة، كما تأثرت بشكل لافت بزياراتها إلى منطقة الفاو بمعية جدتها من أبيها فهالها جمال بساتين ونباتات المزارع التي كانت تملكها عائلتها في ذلك الوقت»

الآن وقد بلغت سعاد الصباح سن الثمانين، هذه السن التي لم يعد من الممكن لها أن تقول فيها «قد كان بوسعي» لكن باستطاعتها أن تتلفت إلى ما مرّ عليها من سنين وتقول: «هذا ما فعلته». وهنا، حتى لأيّ متأمل خارجي، سيبدو في غاية الوضوح بأنّ الكتابة كانت في صميم اهتماماتها وبأشكال متنوعة. هكذا كتبت سعاد الصباح كتباً في الاقتصاد، كيف لا وهي الحاصلة على شهادة الماجستير من جامعة القاهرة (مصر 1973 - 1975) وشهادة الدكتوراه من جامعة ساري (Surrey) (المملكة المتحدة، 1981) في هذا الاختصاص. سيستغرق وقتاً ذكر جميع مؤلفاتها لذلك سنكتفي بالإشارة إلى أهمها: «التخطيط والتنمية في الاقتصاد الكويتي ودور المرأة» (1983، بالإنجليزية)؛ «الكويت/أضواء على الاقتصاد» (1985)؛ «المرأة الخليجية ومشاركتها في القوى العاملة» (1986)؛ «مقالات حول السياسة البترولية» (2006)؛ إلخ.

زوجي الغالي

كما كرّست سعاد الصباح نفسها لتاريخ عائلتها المقربة فكتبت السيرة التاريخية لوالد زوجها، الشيخ مبارك الصباح (1840 - 1915) وهو الحاكم السابع للكويت، وسيرة زوجها، الشيخ عبدالله المبارك الصباح (1914 - 1991). نشرت هذه الأخيرة سنة 1995 تحت عنوان «صقر الخليج: عبدالله المبارك الصباح». أما الأولى فقد نشرتها سنة 2007 تحت عنوان «الشيخ مبارك الصباح، مؤسس دولة الكويت الحديثة». ومع ذلك، فقد تألق بريق أدبنا في مجال الشعر. كتبت عرب تايمز: «لقد رسمت سعاد الصباح لنفسها مكانة جد خاصة في الأدب العربي وتميّز صوتها الشعري بفضل أسلوبها الشخصي ومنظورها المتفرد. في رصيدها [حتى سنة 2017] سبع

عشرة مجموعة شعرية ومئات القصائد»

حميمي وسياسي

تؤكد قائلة: «حياتي هي مصدر إلهامي وهي أيضاً مسرح تجربتي الشعرية. ولدتُ وسط عائلة يتمازج ويتشابك فيها الاجتماعي والحميمي والسياسي إلى درجة أن أهلي ووالدي وزوجي وأبنائي وأنا عشنا على إيقاع التجارب والمصاعب السياسية والاجتماعية والتي لا يمكن فصلها عن الحياة الوطنية بلدي. نعم، عائلتي هي النقطة المحورية لشعري لأنها المكان المعقد الذي تترابط فيه كل التجارب». وما مجموعاتنا الشعرية الكثيرة إلا تذكير بذلك: «ومضات باكرة» (1961)؛ «لحظات من عمري» (1961)؛ «من عمري» (1964)؛ «أمنية» (1971)؛ «إليك يا ولدي» (1982)؛ «فتافيت امرأة» (1986)؛ «في البدء كانت الأنثى» (1988)؛ «حوار الورد والبندق» (1989)؛ «برقيات عاجلة إلى وطني» (1990)؛ «آخر السيوف» (1991)؛ «قصائد حب» (1992)؛ «امرأة بلا سواحل» (1994)؛ «خذي إلى حدود الشمس» (1997)؛ «القصيدة أنثى والأنثى قصيدة» (1999)؛ «والورود تعرف الغضب» (2005)؛ إلخ. كلها عناوين تكشف عن الانشغالات الأساسية للفنانة: الحب بطبيعة الحال، والوطن، وبشكل مدهش ولافت للانتباه: الدفاع عن حقوق المرأة.

«قد كان بوسعي،

- مثل جميع نساء الأرض

مغازلة المرأة

قد كان بوسعي،

أن أحسبي القهوة في دفء فراشي
وأمارس ثرثرتي في الهاتف
دون شعورٍ بالأيام.. وبالساعات».

لكن لا وألف لا، فقد جابهت سعاد الصباح نسيج الزمن منذ صباها
الأول ودون توقف.

زواج مرتب وسعيد

في العام 1959 وكما كانت عادة ذلك الزمان، رتبت عائلة سعاد الصباح
زواجها من الشيخ عبد الله المبارك، عم حاكم الكويت، وهو الذي لم تتوقف
لا عن حبه ولا عن الكتابة عنه حتى بعد مرور سنوات من وفاته. قبيل
استقلال الكويت في 19 يونيو 1961، غادر الشيخ عبد الله طوعية منصبه،
واتخذ الزوجان مستقراً لهما في لبنان إلى حين. في نفس السنة، فقدت سعاد
الصباح والديها. جاء في صحيفة عرب تايمز: «غدا بذلك الشيخ عبد الله
المبارك كل ما تملك. هو الزوج والشريك والأب والمعلم والصديق، وكيف
لا، العاشق. ثم سرعان ما شجّعها على الكتابة والنشر». هكذا أخرجت إلى
الوجود أولى قصائدها في بلاد الأرز «ومضات باكرة» في 1961، «لحظات من
عمري» في نفس السنة، ثم «من عمري» بعدها بثلاث سنوات. يومذاك
كانت من دون شك واحدة من أولى الشاعرات الخليجيات التي تكتب
تحت اسمها الحقيقي. كما أنّ لبنان سيبقى لردح طويل من الزمن أرض
الفؤاد ولن تتوانى الشاعرة في التغني دائماً ببيروت. العام 1997، كتبت فيما
كتبت قصيدتها «بيروت كانت وردة وأصبحت قضية»:

«آتي إليك اليوم، يا بيروت

هاربةً من قلقي النفسي..
 من تَوَجُّعي القومي..
 من أُكْذوبةِ السَّلام..
 آتي من التَّخلفِ الكبير..
 والتَّشَرُّدِ الكبير..
 والتَّنَاقُضِ الكبير..
 آتي إليك من ثقافةِ الشراء.. والبيع..
 ومن مُثَقَّفي الظَّلام !!»

جمال عبد الناصر وصدام حسين

في سنة 1965 انتقل الزوجان للاستقرار في مصر بدعوة من زعيمها آنذاك، جمال عبد الناصر. بعد وقت قصير من وفاته بسكتة قلبية، في 28 سبتمبر 1970، شاركت سعاد الصباح في أول أمسية شعرية لها أَلَقَتْ خلالها مراثية له. بعد سنوات عديدة، ستعود وتستحضر الزعيم القومي من خلال قصيدتها من امرأة ناصرية إلى جمال عبد الناصر، 1995:

«كان هو الأَجْمَلُ في تاريخنا
 والنخلة الأطول في صحرائنا
 كان هو الحلم الذي يورق في أهدابنا».

حتى بعد موته، سمحت لنفسها وراحت تسأله: «يا ناصر العظيم، هل
 تقرأ في منفاك أخبار الوطن» ثم تسترسل في مديح عظمته
 كُنَّا شُمُوساً مَعَهُ..

تُوَزَّعُ الضَّوءُ عَلَى مَسَاحَةِ الْأَكْوَانِ
كُنَّا جِبَالاً مَعَهُ.. مِنْ حَجَرِ الصَّوَّانِ
وَكُنَّا يَحْمِينَا مِنَ الرُّكُوعِ وَالْهُوَانِ.
كُنَّا نُسَمِّي بِاسْمِهِ..

إِذَا نَسِينَا مَرَّةً أَسْمَاءَنَا..
كُنَّا نُنَادِيهِ جَمِيعاً، يَا أَبِي
إِذَا أَضَعْنَا مَرَّةً أَبَاءَنَا..

فَهُوَ الَّذِي أَطْلَقَنَا مِنْ رِقْنٍ
وَهُوَ الَّذِي حَرَّرَنَا مِنْ خَوْفِنَا
وَهُوَ الَّذِي

أَيَقَظُ فِي أَعْمَاقِنَا الْإِنْسَانَ..

كَانَ هُوَ الْأَجْمَلَ فِي تَارِيخِنَا

وَالنَّخْلَةَ الْأَطْوَلَ فِي صَحْرَائِنَا

كَانَ هُوَ الْحُلْمَ الَّذِي يُورِقُ فِي أَهْدَابِنَا

كَانَ هُوَ الشَّعْرَ الَّذِي يُوَلِّدُ مِثْلَ الْبَرْقِ فِي شِفَاهِنَا..

كَانَ بِنَا يَطِيرُ.. فَوْقَ جُغْرَافِيَّةِ الْمَكَانِ

مُسْتَهْزِئاً مِنْ هَذِهِ الْحَوَاجِزِ الْمِصْطَنَعَةِ..

مِنْ هَذِهِ الْمَالِكِ الْمُخْتَرَعَةِ

مِنْ هَذِهِ الْمَلَابِسِ الضَّيِّقَةِ، الْمُضْحِكَةِ..

المُرَقَّعة..

منْ هذه البَيَارِقِ البَاهِتَةِ الأَلْوَانِ.

كَانَ عَلَى صُورَتِنَا..

كُنَّا عَلَى صُورَتِهِ

كَانَ يَرَى التَّارِيخَ فِي نَظَرَتِنَا

كُنَّا نَرَى الْمُسْتَقْبَلَ الْجَمِيلَ فِي نَظَرَتِهِ..

جَبْهَتُنَا مَرْفُوعَةٌ

تَسْتَلِهُمُ الشُّمُوحَ مِنْ جَبْهَتِهِ

قَبْضَتُنَا قَوِيَّةٌ

تَسْتَلِهُمُ الْقُوَّةَ مِنْ قَبْضَتِهِ

أَوْلَادُنَا قَدْ رَضَعُوا الْحَلِيبَ مِنْ ثَوْرَتِهِ

كَانَ هُوَ الْقُوَّةَ فِي أَعْمَاقِنَا

وَاللَّهَبَ الْأَزْرَقَ فِي أَحْدَاقِنَا

وَالرَّيْحَ، وَالْإِعْصَارَ، وَالطُّوفَانَ

كان بوسع سعاد الصباح أن تلوذ بالصمت حيال السياسة وتكتفي بالتغني بمحاسن العالم. لكنها اقتحمت الحلبة وخاطرت بتلقي الضربات وبأن تكون على خطأ. هكذا أثنت على العراق لفترة في قصيدة بعنوان «سيف عراقي»، دون أدنى تنكّر، وهامي توضّح بكل بساطة: «الشعراء هم حراس معبد الحقيقة. يتغيّر الزمن، يتغيّر الرجال ويتنصّلون من مبادئهم وقيمهم، لكن الشعراء يظلّون مخلصين للأفكار وليس للرجال، إلا عندما

يظل هؤلاء الرجال مخلصين لتلك المبادئ التي جلبت لهم الإعجاب»

برقيات عاجلة إلى وطني

بعد احتلال الكويت في أغسطس 1990، التزمت الشاعرة بقضية بلدها وانخرطت في كتابة الكثير من الأشعار الوطنية دفاعاً عنه. هذا ما أشار إليه كل من هبة ماهر عطية هاشم ووليد العبيد في بحثهما بالإنجليزية: «فخر الفتاة العربية بهويتها الوطنية: قراءة في شعر سعاد الصباح» (جامعة تبوك، المملكة العربية السعودية، 2017)¹: «ومع ذلك، بالنسبة لها، كان الحدث الأكثر فظاعة هو غزو القوات العراقية لبلدها سنة 1990. لقد وجّه هذا العمل الوحشي ضربة قاتلة للأمة العربية قاطبة وجعل في جسدها جرحاً غائراً، فسمح للآخرين بالتدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية»

أثناء منفاهما في لندن، كان بوسع سعاد الصباح أن تبقى صامتة وتنتظر، بيد أنها شاركت في الصراع بكتابة ثماني قصائد وطنية شكّلت ديوانها «برقيات عاجلة إلى وطني»، مصرّة على ضرورة استعمال الكلمات كسلاح من أجل المقاومة. ممارسة دأبت عليها ممجدة بثبات بلدها:

كويت، الكويت

لقد قرر العالم العربي اغتيال الكلام

وقرر أيضاً..

إبادة كل الطيور الجميلة، كل الحمام

ونحن طيورٌ مشردةٌ لا نريد سوى حقها بالكلام

1- The arab girl's pride of her national identity : A reading of Suad Al-Sabah's Poetry

ونحن طيورٌ مثقفةٌ لا تطيق..

غسيل الدماغ، وكسر العظام

ونحن حروفٌ مقاتلةٌ..

سوف تهزم بالشعر كل عصور الظلام

وتقول:

فظلي كما كنت قلباً كبيراً..

ونجباً منيراً..

وكوني المنارة للضائعين

وكوني الوسادة للمتعبين

وكوني كأية أم..

تعانق أولادها أجمعين..

أحبُّكَ كالشمسِ

تعطين ضوءك للعالمين

أحبُّكَ كالأرض..

تُعطين قمحك للجائعين

وتقتسمين الهمومَ

مع الخائفين

وتقتسمين الجراح

مع الثَّائرين..

الروح القومية هذه وعلى ندرتها في الشعر إلا أن سعاد الصباح اضطلعت بها بشكل كليّ. تقول مؤكدة: «بدأ شعري يتوجه توجهاً قومياً منذ كتاباتي الأولى ولم يتوقف عن ذلك. وحين أتطرق إلى موضوعات حميمية بعيدة عن الوطن وعن حبه، فاعلموا بأنني لا أزال قومية حتى النخاع»

الحميمي دون تابوهات

إذا كان الشاعر في منأى عن الجدل والتوبيخ إذا ما هو خاض في مسألة القومية، فإن تطرقه للحميمي يستوجب منه نوعاً آخر من الشجاعة، وبالأخص في مجتمعات ليس من السهل فيها تخطي عقبات التابوهات، كما أن أيّ تجاوز فيها له عواقب وخيمة. في كلا المجالين، كان بوسع سعاد الصباح الركون للسكون، لكنها اختارت أن تضع الكلمات على أفراح وأتراح حياتها، على سعادتها البهيجة وآلامها الشديدة. من بين المباهج، نجد تلك التي يمنحها الحب، حب أوجد لرجل واحد، وهو ما عبّرت عنه في أكثر من قصيدة. هكذا كتبت في إهداء مجموعتها «وللعصافير أظافر تكتب الشعر»

«زوجي..»

وصديق الزمن الجميل عبد الله المبارك

إنه الوضوء بمياه ضوئك..

إنها أجراس شوقي التي تقرع..».

بل إنها تجرأت بشيء من الدعابة:

«لو عرف الناس كم أحبك..»

لا اقترحت الأكاديمية السويدية إعطائي

جائزة نوبل للوفاء».

كتبت في قصيدة «الشعلة»:

«لا ترمقيني بإنكارٍ وسخريةٍ

فثروة الحب أغلى ما ادخرناه

وشعلة الحب كنز في ضمائرنا

ولا يُقاس بها مالٌ ولا جاه».

لاحقاً وبعد أن حلّ الموت، واصلت التغني بالحب بصوت قويٍّ ومؤثر

فكتبت قصيدة «رحيل»

«يا حبيبي

باردٌ من دونك البيتُ كثيرا

باردٌ من دونك العمرُ كثيرا

أنا إن لم أتكوّم تحت كُرسيك..

لن يُدفنني أيُّ مكان..».

وتقول في قصيدة «حوار»:

«يا قلبي..

أيّها المتمدّد

كالمت فوق الخشب..

-طرزت نخلك بيدي..

وبكتك عذوق الرطب!».

أما عن الحبّ في الشعر فتصرّح: «الشعر حبّ لكنه غير مكرّس في كل مرة لتيمة الحب. الشعر أغنية تُعلي من شأن الشيء المشتهى وتجعله مرغوباً فيه بفضل جمال وقوة الكلمات. الشعر سلاح هائل حين يتكلم بصدق وأصالة عن الحق. لا يمكن للشعر أن يتمثّل تيمة الحبّ إلا حين ينظر إليه كحقيقة، ونفس الحال ينصرف على تيمات الحرب والكره والثورة إذا ما هو رأى فيها سبيلاً إلى الحقيقة. يمكننا كتابة الشعر دون الحديث عن الحب لكننا لا نستطيع كتابة الشعر دون قول الحقيقة»

حب وتراجيديا

مع الحبيب الشيخ عبدالله المبارك، أنجبت سعاد الصباح خمسة أبناء: الشيخ مبارك (البكر)، الشيخ محمد، الشيخ مبارك، الشبيخة أمية، والشبيخة شيماء. تحتوي هذه القائمة على اثنين باسم مبارك لكون أكبرهما توفي في عمر الثانية عشرة، سنة 1973. فقد لظالما طارد سعاد الصباح وألهمها العديد من النصوص، جمعت حوالي عشرين منها في مجموعة «إليك يا ولدي» ونشرتها في 1982. كتبت نص «صدمة» تقول فيه: «لم نعد إلا غريباً يتأسى بغريب / وأباً يسأل: ما الخطب؟ وأمّاً لا تجيب!». تقول سعاد الصباح اليوم: «موت ولدي، فقدت جزءاً مني إلى الأبد. لم ينج من هذه الخسارة، لكن جزئي الآخر المتبقي ثابر على الحداد ليتمكن من مواصلة العيش ومنح الحياة للآخرين. بطبيعة الحال شكّل الشعر، والكتابة بشكل عام، دعماً لنفسي المكسورة وللأم المفجوعة التي كنتها. العيش على الذكرى الجميلة للابن المفقود وتحويل هذه الخسارة إلى شعر هي أشياء تساعد على المضي قدماً في الحياة»

نسوية متبناة

إذا كانت الحميمية تشغل حيّزاً مهماً من شعر سعاد الصباح فإنّ هذه الأخيرة كتبت أيضاً أعمالاً ملتزمة ونقدية قلّما أثارت إعجاب السلطات. هكذا أوردت عرب تايمز قائلة: «في سنة 1985 نشرت ديوانها «فتافيت امرأة» والذي يضم 18 قصيدة. للأسف، تم منع هذا الكتاب من طرف حكومة الكويت وغيرها من حكومات دول الخليج. باشرت الشاعرة إجراءات قضائية ضد وزارة الإعلام ونالت أخيراً الإذن بالتوزيع. في نفس السنة، أطلقت دارها الخاصة للنشر، دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع» في نصها «رجعية..» كتبت:

«هذي بلادٌ لا تريد امرأة رافضةً..

ولا تريد امرأة غاضبةً

ولا تريد امرأة خارجة

على طقوس العائلة

هذي بلادٌ لا تريد امرأة..

تمشي أمام.. القافلة..».

وما أكثر قصائد سعاد الصباح التي يمكن وصفها بالنسائية! تقول: «شعري نسائي لأنني امرأة، وأيضاً لكوني أطالب من خلاله بأن تكون حقوق المرأة جزءاً لا يتجزأ من الحياة الأسرية والاجتماعية ومن العمل التنموي. أعتبر نفسي منتمية إلى قيم كانت ولا تزال من الإسلام، نسوية تكرّس قيمنا، تكرّم المرأة وتحترمها وتوليها المكانة التي تليق بها، مكانة من واجب المرأة الاضطلاع بها». في نصها «صراخ»، تقول بأعلى صوتها

«أريد أن أقول ما أقوله..

من دون أن يتبعني السيّاف

ودون أن أدفن في قبر من العادات والأعراف».

هذا الالتزام بالحرية وبالحرّيات يتجاوز وضعية المرأة لأنه:

«لا أحدٌ بوسعه أن يمنع الأعشاب

من تسلق الحيطان

لا أحد.. لا أحد.. لا أحد

يقدر أن يجسّ في قارورة

حرية الإنسان».

على غرار الحب، تعتبر الحرية أحد المواضيع الأساسية في شعر سعاد

الصباح.

تقول في إحدى أشهر قصائدها:

كلّما شاهدتُ عُصفوراً بروما

أو بباريس.. يُغنّي

دُون أن يشعر بالخوف.. بكيتُ

كلّما شاهدتُ طفلاً عربياً

يشربُ البغضاء من ثدي الإذاعات..

بكيتُ..

كلّما شاهدتُ جيشاً عربياً

يُطْلِقُ النَّارَ عَلَى الشَّعْبِ .. بَكَيْتُ
 كُلَّمَا حَدَّثَنِي الْحَاكِمُ عَنْ عَشْقِ الْجَمَاهِيرِ لَهُ
 وَعَنِ الشُّورَى .. وَعَنْ حُرِّيَةِ الرَّأْيِ .. بَكَيْتُ
 كُلَّمَا اسْتَجَوَّبَنِي بُولِيسُ قُطْرٍ عَرَبِيٍّ
 عَنْ تَفَاصِيلِ جَوَازِي ..
 عُدْتُ مِنْ حَيْثُ أَتَيْتُ ..

لغة القلب التي تخاطب القلب

«عدت من حيث أتيت» لا شك أنه مجرد تعبير شعري لأنه ليس من عادات سعاد الصباح الهروب من التحديات التي تواجهها. حتى وقد بلغت الثمانين إلا أنها لا تزال تكتب بكل ثقة: «الشعر ليس مغامرة نختر التخلي عنها حين نعتقد بأننا قد قلنا كل شيء. إنه يسكنك كربة لا تنضب وتتجلى بشكل متقطع عندما تقوم تجارب الحياة وابتلاءاتها بتحويل هذه المادة الاجتماعية والسياسية إلى مادة حيوية، وبالتالي إلى قول شعري. الشعر هو أيضاً ما يمكن قوله بعد أن قلنا كل شيء بشكل تافه، إنه لغة القلب التي تخاطب القلب. لهذا يظل كل الشعراء شعراء حتى الموت». قد كان بوسعها أن تبقى هادئة في المكان المعد لها مسبقاً لكنها اختارت أن تضع «الكلمة» على الجرح بتفاؤل أولئك المؤمنين بالمرونة البشرية والذين لا يستسلمون أبداً. «بالنسبة للشاعر، يعد الشعر مغامرة بحرية أبدية تحت العاصفة، الأهم فيها ليس أن تلقي بك الأمواج في مكان ما بل أن تواصل التجديف على أمل أن تتغلب على العاصفة»

التاريخ / الذاكرة في الدم وفي الروح¹

لورون دو سانبيريه²

سليلة آل الصباح وزوجة واحد من أبرز أفرادها، كرّست سعاد الصباح نفسها -من بين عديد أعمالها- لكتابة مذكرات أقوى شيوخ عائلتها. في مقدمتها سيرة زوجها الشيخ عبدالله المبارك «صقر الخليج»، وسيرة والده الأمير مبارك الكبير. وقد تُرجمت هاتان السيرتان إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية مما يوقّر [للعالم الغربي] رؤية فريدة عن تشكّل الكويت الحديثة.

مهمة الحقيقة

بالموازاة مع كونها مناضلة شرسة نُصرة للحرية بواسطة الفكر والكلمات، لبست الشاعرة سعاد الصباح ثوب المؤرخة يوم أراد صدام حسين، سنة 1990، إنكار وجود كويتها الحبيبة، محاولاً طمس هويتها تحت وابل القنابل والرعب في سبيل الظفر بخيراتها وإسكات صوتها. بعدها بسنة، 1991، ترملت الشاعرة من الأمير عبدالله المبارك الصباح، فانخرطت في كتابة جدّ موثقة لسيرة «صقر الخليج»، وهو رجل ذو بصيرة مشبع بالتقاليد، عروبي بقدر ما كان وطنياً، كيف لا وهو مهندس الكويت الحديثة. كتبت

1- 11 نوفمبر 2022.

2- كاتب فرنسي متحصل على شهادة في التاريخ من جامعة السوربون ثم في العلاقات الدولية من ILERI، يغطي لورون دو سانبييري الأحداث السياسية، الاجتماعية والثقافية في الشرق الأوسط وفي أفريقيا منذ 2011 للمجلة المرجعية «جون أفريك» وبصفته محرراً حراً للعديد من وسائل الإعلام منذ 2018

في مقدمة كتابها: «كان من الضروري توثيق التاريخ الحديث لبلدي، مهمة اعتبرتها واجباً أخلاقياً. كنت من المطلعين الذين عايشوا من الداخل العديد من الأحداث والتي، برأيي، يجب أن يسلط عليها الضوء». لقد سبق للأميرة أن عبرت عن حبها وغضبها وألمها في قصائد ديوانها «آخر السيوف» المهدى لروح زوجها:

الإخوة الأعداء مروا من هنا كي يملؤوا تاريخنا تزويرا
[...]

كنت الكويت أصالة وحضارة ومناقباً عربية وجذورا
ستتنبأ في ديوانها «برقيات عاجلة إلى وطني» في ديسمبر 1991، خمس
عشرة سنة قبل إعدام طاغية بغداد، بقولها
ستبعث الكويت من رمادها.. كطائر الفينيق
وتبدأ الرحلة من أولها..
ويرفع القلوع سندباد
وينبت العشب على دفاتر الأولاد
وتصرخ الأمواج في الخليج:
حي على الجهاد..
حي على الجهاد..
لا بدّ في نهاية المطاف
أن يثار المقتول من قاتله
وأن يدور الحبل حول رقبة الجلاد..

لكن وعلاوة على التطهير الشعري، انتاب المثقفة شعور بكونها حاملة لمهمة مقدسة في قول الحقيقة وحفظ الذاكرة للأجيال الحالية والقادمة: تدوين تاريخ الكويت من خلال تاريخ واحد من كبار صناعه متمثلاً في زوجها، والذي شغل منصب نائب أمير الإمارة منذ سنة 1950 وإلى غاية إعلان الاستقلال سنة 1961. لقد كانت أول شاهدة على أفعال الشيخ، كانت مستشارته الأولى وأذنًا لأسراره ومشاعره وذكرياته وذلك منذ زواجهما العام 1960؛ ولأنها بدورها فرد من أفراد العائلة الحاكمة، فقد أكدت سعاد الصباح حصولها على «مصادر أصلية يتم استغلالها لأول مرة». كنز من الذكريات وأرشيف لن تتوقف الأديبة منذ ذلك الحين عن استغلاله والاستفادة القصوى منه فمنحت للجمهور وللبحث، للكويت وللعالم، توليفات مستجدة وقيمة لدراسة هذا البلد والمنطقة مع ما زعزعها من اضطرابات دولية كبيرة.

بعد عشر سنوات من نشرها لكتابها التاريخي الأول، أصدرت عملاً ثانياً سنة 2005 كتكملة لهذا السرد المطول لتاريخ الكويت في القرن العشرين: كتاب عن والد الشيخ عبدالله المبارك، الأمير مبارك الكبير الذي وضع حجر أساس الدولة الحديثة بين سنتي 1896 و1915. بعدها كرّست ثلاثة كتب لأربعة أمراء من القرن التاسع عشر، نشرت آخرها سنة 2021 باللغة العربية. هكذا إذن كتبت سعاد الصباح الملحمة شبه الكاملة لحكام الكويت، مسجلة بذلك اسمها في التقليد العربي العظيم والذي يعتبر فناً؛ ألا وهو علم الأنساب، كما سجلت اسمها في مدرسة علم التاريخ الحديث كما عرفه سلفها ابن خلدون، قائلاً: «هو فحص الحقائق والتحقق منها، بحث دقيق عن الأسباب التي أدت لوقوعها، معرفة معمقة بطريقة حدوث

الوقائع ونشوئها». من بين هذه التراجم الستة، تُرجمت اثنتان إلى اللغة الإنجليزية ثم الفرنسية: سيرة الأمير مبارك الصباح (مؤسس دولة الكويت الحديثة) وسيرة أصغر أبنائه، عبدالله مبارك الصباح (صقر الخليج)، زوج الكاتبة الذي كان له دور قيادي في الإمارة إلى غاية انسحابه النهائي سنة 1961. كتب يمكن الحصول عليها مجاناً من موقع الأميرة وهي مصدر نادر، بالأخص باللغة الفرنسية، عن تاريخ الكويت الحديثة.

منهج علمي

تنبه الكاتبة في المقدمة إلى أن «هذا الكتاب ليس مجرد قصة حياة»، إنّه بالفعل عمل دكتورة في الاقتصاد متخرجة في جامعة Surrey وسبق لها أن أصدرت كتباً ومقالات تعالج مواضيع بدءاً باقتصاد النفط ووصولاً إلى جيوبوليتيك الخليج، وكلّها ميادين تتطلب من صاحبها تحكماً سواء في القواعد الأكاديمية أو السياقات التاريخية. قدمت الكاتبة موضوعاتها بأسلوب سهل وملخص في متناول جمهور القراء، وتعاملت معها بامتنال صارم للمنهجية التاريخية: لقد اطلعت على كل المصادر المكتوبة والمسموعة المتاحة وزودت عملها بالكثير من الهوامش التي تشير إلى مراجعها الدقيقة والقيّمة للبحث. على غرار ابن خلدون في عصره، رفضت المؤرخة الانسياق وراء سهولة السرد الزمني وتبنت تقسيماً موضوعاتياً لتسليط الضوء على الآليات المعقدة التي تعمل داخل وحول هذا البلد الصغير حجماً والكبير استراتيجياً. وحتى ولو كانت شاهد عيان ليوميات زوجها إلا أنّ سعاد الصباح لا تظهر في كتابها «صقر الخليج» سوى في الصفحات الأخيرة المخصصة لعبدالله مبارك الصباح بعد استقالته من الحياة السياسية، وهو ما يمثل شهادة نادرة عن الثلاثين سنة الأخيرة من حياته. تورات الشاعرة

النسوية خلف ثوب الإنسنة الأكاديمية فأصبحت المشاعر نادرة ندرة النسوة في صفحات سيرتي زوجها عبدالله مبارك ووالده الأمير مبارك الكبير. مردّ ذلك هو أنّ المجتمع الكويتي كان في هذا النصف الأول من القرن العشرين لا تزال تحكمه التقاليد البدويّة التي تجعل من الحياة السياسية حكراً على الرجال. وبالتالي فإنّ المسائل المتعلقة بالسلطة وبالدولة التي تناولتها في هاذين العملين ستتمحور حول شخصيات ذكورية؛ لكن -وهنا مكمّن براعة المؤرخة- حتى هذه الشخصيات الذكورية كانت تترجح تحت السطوة المبهرة للتحوّلات الاجتماعية والاقتصادية لتلك الحقبة بالإضافة إلى الألاعيب الكبرى للإمبراطوريات وأطماع الدوّل المحيطة. أمام هذه القوى المتعددة، تجلّى ذكاء كل من الأمير مبارك الكبير ومن بعده ابنه عبدالله المبارك بفضل المناصب الحساسة التي شغلها، في تحكمهما بمهارة لافتة في كلّ هذه التيارات المتضادة وذلك حفاظاً على الكويت بإعطائها توازناً إقليمياً ودولياً مع ضمان استقلالها وازدهارها. وإذا كان غزو العراق للكويت في 1990 قد أظهر ضعف هذا التوازن فإنّ التدخل الدولي الذي حرره بعد ذلك أبان أنّ مؤسسي الدولة الحديثة قد عرفوا كيف يضمنون استقلاله.

الاستقلال بأيّ ثمن

بين مطرقة الإمبراطورية العثمانية -هذا السلطان المعترف به لكنه ذو توجهات مركزية مهددة بشكل خطير لاستقلالية الإمارة- وسندان هيمنة إنجليزية يتزايد حضورها في الخليج، استعمل مبارك الكبير، هذا المفاوض الفذ، الحيل، وتعامل بغموض مع كلا الطرفين فعزل تهديد باشا البصرة وضمن حماية البحرية المسلحة البريطانية مع تفادي الحضور والتأثير

المبالغ فيه لأعوان ملكة إنجلترا. هكذا وفي سنة 1897، خلّص الكولونيل ميد (Meade)، القنصل البريطاني، إلى أنّ «الشيخ وبتطويره لعلاقات مع المملكة المتحدة فقد كان يهدف أولاً وقبل كل شيء إلى الضغط على السلطات العثمانية». انتقل هدف الأمير مبارك والمتمثل في ضمان استقلال الكويت بأيّ ثمن إلى نجله عبدالله المبارك، كما أورثه موهبته الدبلوماسية في ضمان حماية الكويت واستقلاليتها السياسية. في سنوات الخمسينيات وفي الوقت الذي أوشكت فيه معاهدة الحماية البريطانية على الانتهاء، بالضبط في سنة 1961، تروي سعاد الصباح قائلة: «اعترف عبدالله المبارك اعترافاً كاملاً بمزايا الدور الحامي الذي لعبته بريطانيا بوصفها حليفاً. لكن ما لم يتحمله هو التدخل المستمر (والمتعالي) من طرف البريطانيين في أدق تفاصيل الشؤون الداخلية للكويت. هذا ما يفسر سبب امتلاء التقارير البريطانية لتلك الفترة بانتقادات حول ملاحظاته القاسية أحياناً وتصرفاته العدوانية إلى حد ما». تتجلى أيضاً هذه الرغبة في الاستقلال في دعم تيارات سياسية لا يمكن للمرء أن يقرنها مبدئياً بنظام ملكي: هكذا رحب مبارك الكبير بحفاوة برشيد رضا، ذلك المثقف السوري المؤيد لإصلاح الوحدة الإسلامية والقومية العربية، كما كان نجله، الشيخ عبدالله المبارك، مقرباً جداً من الثائر الاشتراكي والقومي العربي جمال عبد الناصر، إلى درجة أنّه استقر في مصر بدعوة من الزعيم لبضع سنوات بعد استقالته من الحياة السياسية. «دائماً ما كانت لندن، على سبيل المثال، غير مرتاحة لصداقته مع جمال عبد الناصر ومساندته للثورة الجزائرية»، كتبت المؤرخة التي دققت في المصادر الدبلوماسية لتلك الحقبة. هكذا استعان عبدالله المبارك بالتعاون الناصري المصري عندما بدأ في تحديث وتعميم التعليم في الكويت، وبخاصة

تعليم البنات. في سنة 1958، حث الوكيل السياسي البريطاني الكويت على الانضمام إلى الفدرالية الجديدة للمملكة الهاشمية للعراق والأردن، والتي أسست كردة فعل على قيام القاهرة ودمشق على إنشاء الجمهورية العربية الموحدة، لكن مسؤولي الإمارة بينوا لهم بأنهم يفضلون الجمهوريين إذا ما كان عليهم لزاماً اختيار واحدة من هذه الاتحادات. الإشكالية المزعجة الأخرى التي تفجرت سنة 1990 ولم يتم حلها بشكل واضح إلى الآن هي قضية ترسيم الحدود مع الجار العراقي الكبير. لقد فرض هذا الشك على قادة الكويت أولوية أخرى لا يمكن فصلها عن استراتيجيتهم الدبلوماسية لنيل الاستقلال من وراء درع الحلفاء: أولوية تشكيل قوة دفاعية بمقدورها على الأقل الإقناع بأن أي غزو محتمل للكويت لن يتم بسهولة. من 1900 وإلى غاية 1960، تحوّلت القوات البدوية، التي نشأت وفقاً للصراعات والتحالفات، إلى جيش وطني حديث، ولم يتوقف سواء الأمير مبارك الكبير أو نجله عبدالله المبارك -الذي عين قائداً للجيش سنة 1954- عن اقتناء الأسلحة لتجهيزه. وفي حين لم يتردد الأمير مبارك في التحايل على بعض قواعد استيراد الأسلحة المتفق عليها مع البريطانيين (الذين غضوا الطرف بشكل متواطئ)، فإن ابنه وبعد نصف قرن راح يتعامل وبإصرار لا يكل مع الوزارات البريطانية من أجل الحصول على الدبابات والسفن الحربية والطائرات النفاثة.

ترميم الذاكرة

تري المؤرخة، وهي التي عاشرت شخصياً هذه الفترة الصعبة، بأنّ التعقيدات الكبيرة التي رافقت إمضاء عقد شراء الكويت لست طائرات سنة 1960 كانت من أسباب استقالة زوجها في السنة الموالية، في أعقاب

الاستقلال، وهو الذي كان في ذروة مسيرته المهنية. السبب الآخر الذي أوردته المؤرخة هو اختلافه مع الأمير بشأن التعامل مع ترسيم الحدود مع العراق: كان عبدالله المبارك يعتقد بوجوب الاستغناء عن الوساطة البريطانية ذات النتائج العكسية. رغبة الشيخ هذه في الاستقلال لم تكن إلا لتثير ريبة البريطانيين الذين ما انفكوا يشكون فيه وراحوا بانتظام يكيلون له التهم بالتخطيط للانقلاب على الأمير. وقد بدا لهم بأنّ قربهم من عبد الناصر مؤثر على ذلك، أمّا دليلهم الآخر فكان حرصه على إنشاء جيش حديث وذو فاعلية. ناهيك، تضيف سعاد الصباح، عن أنّ «العملاء السياسيين في الخليج كانوا يرسلون أسيادهم في لندن ويروون لهم الأشياء التي يودّون تماماً سماعها». منذ 1949، اعتبرته المستشارية البريطانية بصدد التحضير للاستيلاء على السلطة بالسلاح وستستمر هذه التحذيرات حتى بعد تقديمه لاستقالته. لقد وجدت هذه الشائعات صدى لها في وسائل الإعلام العربية وحتى بين دفات كتب جادة ساهمت في الترويج لفكرة مؤامرة أثناء تسليم الحكم سنة 1950. تقول الكاتبة في هذا الشأن: «من المؤسف أنّ ما قد يراه القارئ كمعلومة صحيحة وجدّ موثقة لم تكن في الحقيقة إلا محض تقرير عار من الصحة وخال من الأدلة»

وهي تتطرق للعقود الثلاثة التي تلت انسحابه من الحياة السياسية، تقول سعاد الصباح: «طوال كل هذه السنوات، تسببت له تلك الأكاذيب الكثيرة حول شخصه بألم وحزن كبيرين. واجهها بشجاعة لكن دائماً ما كان الألم والأسى يعتصرانه في كل مرة يسمع عن محاولة جديدة لتشويه سمعته». ونحن نقرأ صفحات زوجته وكاتبة سيرته وعلى الرغم من مرور السنين، نشعر بمدى تأثر عائلته بما حدث له، «وكان يعلق بقوله: إنه لن

يصح إلا الصحيح وإن الله لن يضيع أجره». لم يمر وقت طويل على وفاته حين راحت زوجته المحبة، المثقفة الملتزمة والأكاديمية المتمرسه، تعمل على تسليط الضوء على الحقيقة مستعملة أدلة صلبة صلابه مراجعها. هكذا رمت وكرمت ذكرى وطني كبير وخادم وفي لدولته، مع تقديم برهنة مستنيرة عن الطابع الخاص للكويت، هويتها الأصيلة وليدة الصحراء والبحر والمصقولة من الاضطرابات الإقليمية والعالمية للقرن الماضي.

أنفس حرة وحازمة، متفتحة على العالم وفخورة بهويتها، حداثيون وتقدميون لكنهم محترمون لقيمهم التليدة: يبدو بأن السمات البارزة لقادة الكويت قد انتقلت إلى الكويتيين أو ربما العكس هو الذي حدث؟ وهي تسرد ملحمة زوجها وأمراء الكويت فإن سعاد الصباح تسرد أيضاً شيئاً من حياتها هي: متحررة بحزم، عربية بقدر ما هي كويتية، متجاوزة لكل عقبات المجتمع والجنس ومتغنية بحبها للتقاليد، تقدمية بعزم لكنها متوجسة من الحداثة المادية السامة. سليله آل الصباح، زوجة رجل من آل الصباح، يسري كل تاريخ الكويت في عروق سعاد. هكذا تصف نفسها في قصيدة من ديوانها «فتافيت امرأة»:

«والكويتية..

في معركة كُبرى مع التاريخ لم تحسم
فهل أنت نصيري؟
الكويتية..

سمتُك أميراً يا أميري..
فتصرّف بمقادير العصور..

وتصَرَّفُ بِمَصِيرِي...».

أَلقت الأميرة سعاد بنفسها في ساحة المعركة، معركة الأفكار، معركة الحقيقة والتقدم، معركة استقلال الكويت والكويتيين والكويتيات؛ تفخر بأن حليفها في هذه المعركة لم يكن إلا أميرها وواحداً من دعائم الكويت الصلبة. وهي تروي حكاية بناء الكويت، أعطت سعاد الصباح المؤرخة الحق لسعاد الصباح الشاعرة:

لا أحدٌ يقدرُ أن يغيّرَ التاريخَ ..

أو يستعمرَ الأرواحَ

لا أحدٌ يقدرُ أن يطفئَ نورَ الشمسِ

أو يصادِرَ الصباحَ ..

الشاعرة والإنسان¹

يوسف القعيد²

رأيت الشاعرة سعاد الصباح لأول مرة في بغداد.. بالتحديد في مهرجان المربد الشعري خلال سنوات الحرب العراقية الإيرانية التسع.. كانت تفتتح المهرجان بشعرها القومي كل عام.. وتلهب مشاعر وأحاسيس المتلقين.. سواء الذين كان يسعدهم الحظ ويستمعون لها مباشرة.. أو الذين كانوا يتابعون شعرها بالصوت عبر الإذاعة.. والصوت والصورة من خلال التلفزيون.

وكان التلفزيون العراقي يعيد عرض قصائدها الشعرية أكثر من مرة.. بناء على طلب المشاهدين.. وأذكر أن الراحل الدكتور لويس عوض سافر معنا إلى المهرجان.. في إحدى السنوات.. وكان حريصاً على القول إن الحرب العراقية الإيرانية تمثل هجمة الدولة الدينية التي تمثلها إيران.. على تجربة الدولة المدنية الحديثة.. التي يحلم بها للوطن العربي، وفي المقدمة منه مصر.. وأن هذه الهجمة كفيلة باقتلاع جذور النهضة العربية كلها.. وأنه

1- مجلة المصور المصرية - 4 يناير 2023م

2- أديب وروائي وصحفي وقاص مصري، وُلد في محافظة البحيرة في 2 أبريل عام 1944، وتخرج في معهد المعلمين، ثم التحق بالقوات المسلحة عام 1965، حتى عام 1974. اتجه إلى الصحافة فعمل محرراً أديباً بمجلة المصور التابعة لدار الهلال، وتدرج حتى شغل منصب نائب رئيس تحرير المجلة في عام 2000، ثم استقال من منصبه بعد ذلك ليتفرغ للكتابة الأدبية. عمل مقررًا للجنة القصة بالمجلس الأعلى للثقافة بدءاً من نوفمبر 2017. واهتم بالتعبير عن المحيط القروي المصري وما يتصل به من قضايا، وعرف بنبرته السياسية الناقدة التي عرّضت بعض أعماله للمصادرة. يعتبر من رواد الرواية في مرحلة ما بعد نجيب محفوظ الذي ربطته به علاقة متينة. حصل على جائزة الدولة التقديرية في الآداب سنة 2008، وحازت روايته «الحرب في بر مصر» المرتبة الرابعة ضمن أفضل مئة رواية عربية

حضر إلى المهرجان ليعلن هذا الموقف بنفسه ويؤكدده ويكرره أكثر من مرة.. وهذا سبب حضوره.

كانت سعاد الصباح تؤمن بما تقول.. وتصدّق ما تذهب إليه.. وتعبّر عن نفسها شعراً بصدق وشجاعة. وقال لنا العراقيون وقتها إنها مولودة في البصرة.. فانتني أن أسألها حول هذه المعلومة.. هل ولدت في الكويت؟ أم أن ميلادها كان في البصرة؟ وذكر البصرة كمكان ميلاد لها.. ما دلالاته؟ ولماذا كان العراقيون حريصين على أن يذكروا لنا هذه المعلومة طوال وجودها في بغداد؟¹.

رحلات بغداد ومهرجانات المربد.. أكدت لنا جميعاً.. وليس لسعاد الصباح وحدها.. أن ثمة خطراً يهدد الدولة المدنية في الوطن العربي.. في مواجهة شعار تصدير الثورة الإيرانية إلى كل مكان في الوطن العربي والعالم الإسلامي.. كنا نلتقي في حفل افتتاح المربد.. ثم نذهب إلى مواعيد مختلفة ومتنوعة ومتشابكة.. فلا يبقى لقاء بعد الافتتاح.

سافرت معها بعد ذلك.. وفي طائرتها الخاصة إلى الخرطوم لإجراء انتخابات المنظمة العربية لحقوق الإنسان.. ومازلت أذكر أن بعض الصغار حاولوا أن يهمسوا في أذنها أنها الأحق برئاسة المنظمة من فتحي رضوان.. فهي التي اشترت مقر المنظمة في حي المهندسين بالقاهرة.. وسلمتهم أوراق ملكيته.. ومازال يرن في أذني وصف فتحي رضوان لها: «بالمُحَسَّنة العظيمة» ولم تكن مستريحة لهذا الوصف البرجوازي.. كما أنها لم تكن تستريح لمن يخاطبها ويسبق اسمها بكلمة الأميرة.

قالوا إنها نقلت الوفود إلى الخرطوم على طائرتها.. تولت نفقات الفندق..

1- د.سعاد الصباح مو مواليد مدينة الزبير 1942.

وكانت جميع الدول العربية رفضت عقد المؤتمر على أراضيها.. السودان فقط في ظل رئاسة الصادق المهدي لوزارته وافق على استضافة المؤتمر.. أذكر أن سعاد الصباح رفضت كل ما قيل لها عن حقها في رئاسة المنظمة.. وكان موقفها مبدئياً.. وهكذا أُعيد انتخاب فتحي رضوان رئيساً للمنظمة.. ولا أعرف إن كان فتحي رضوان -وكان مجاهداً كبيراً وإنساناً أكبر وأديباً مرهف الحس لم يأخذ حقه حتى الآن- قد عرف القصة في حينها أم لا.. هل عرف أن سعاد الصباح رفضت الفخ الذي حاولت نصبه لها بعض رموز النخبة العربية؟ وكانوا معروفين لنا بالاسم.

مازلت أذكر أمسياتها الشعرية في معرض القاهرة الدولي للكتاب.. والزحام غير العادي على حضورها.. كنت أشاهد الشباب يقفون فوق السلام ويطلون من الشرفات.. لدرجة أن إدارة المعرض اضطرت لأن تتركب شاشات عرض تليفزيونية.. حتى يتمكن الذين لم يدخلوا من مشاهدتها.. وهو ما لم يحدث إلا في ندوات روجيه جارودي.. ونزار قباني.. ومحمود درويش.. وعبدالرحمن الأبنودي.. لم تكن جماهيريتها تقل عن هؤلاء.. ومازلت أذكر أن إلقاءها لشعرها كان يضيف له الكثير.

يعجبني في سعاد الصباح إخلاصها لزوجها.. تكتب له الرسائل وتنشرها وكأنه مازال بيننا.. جمعت رسائلها لزوجها في كتاب أنيق وجميل.. أتمنى صدور طبعة شعبية منه تباع بأرخص ثمن ممكن أن يباع به كتاب.. حتى يصل إلى الإنسان العادي.. الفقير والمحروم وغير القادر على شراء الكتاب الغالي السعر.

ثم هل يمكن تقديم شهادتي عن سعاد الصباح دون الكلام عن مشروعها لدار النشر؟ لكن لا مفر من كلمة عن دار نشر أسستها سعاد الصباح في

أواخر ثمانينيات القرن الماضي.. وأول تسعينياته في القاهرة.. كان اسمها دار سعاد الصباح للطبع والنشر.. اشترت مقراً للدار ومكتبة لعرض كتبها.. وأنفقت من حر مالها.. وتعرضت لعملية نصب تصل إلى حدود السرقة المفضوحة للدار.. سواء للمقر أو المقتنيات أو المكتبة.

كانت الدار مشروعاً طموحاً.. في آخر اجتماع للدار قبل نقل بعض أنشطتها إلى الكويت.. جاءت سعاد الصباح ومعها مشروع أقرب لعالم الأحلام.. رغم دراستها للفكر الاقتصادي في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، ومعرفتها بلغة الأرقام.. لم يكن هدفها تطوير النشر.. ولا الجوائز.. ولكنها كانت بصدد فكرة لإنشاء دار لتقديم كل أشكال الرعاية للكاتب والمثقف في آخر أيام عمره.. لدرجة أنها وصلت لحلم أو فكرة علاج الأدباء.

الدار الحلم.. كانت من الأفكار غير المسبوقة.. سوى في الدول الاشتراكية التي كانت توجد فيها استراحات للكتّاب المُعَمَّرين في السن.. ولكنها أضافت للفكرة القديمة.. مشروعها الذي كان يقضي بإقامة الكاتب الذي لديه مشروع يريد أن ينجزه.. ونص يحلم أن يكتبه.. تقدم له كل الإمكانيات المطلوبة لتوفر له جو الإبداع.. بصرف النظر عن كونه شاباً أو متقدماً في العمر.. قالت يومها: لا يعني هذا شبهة التدخل فيما قد يكتبه أو يرسمه.. أو يبدعه المبدع.. خلال فترة إقامته في الاستراحة وتمتعه بمنحة التفرغ الكاملة.

جاءت بأكبر قدر من الأحلام والأمان.. ولكن الدار تعرضت لظروف أصبحت معروفة في أوساط المثقفين العرب، وأنا أحترم رغبة صاحبة المشروع في عدم الكلام عن الجريمة.. بل إنها رفضت التقدم بشكوى ضد

من نهب مشروع الدار.. وأكثر من محامٍ اقترح عليها أن تتقدم بشكوى للنائب العام.. أو أن ترسل شكوى باسمها لرئيس الجمهورية.. أو لحرم رئيس الجمهورية التي تعرفها شخصياً.. لكنها رفضت وكان رفضها مبدئياً ولم يكن من باب المناورة.

في الاجتماع التأسيسي الأول للدار عندما تكلمنا عما يحصل عليه المؤلفون في الغرب.. قارئاً الأرقام بما يحصل عليه المؤلف العربي من الناشر.. هذا إن حصل على شيء.. وعندما اتضحت المسافة الضخمة بين دخل الكاتب الغربي.. وما يمكن أن يحصل عليه الكاتب العربي.. قلنا إن الكاتب في الغرب يكفي أن يكتب كتابه الأول.. ويعيش على عائده مدى الحياة.. ويومها وافقت دون مناقشة على رفع المكافآت.. أصبح الروائي والشاعر والقاص والكاتب المسرحي يحصل على خمسة آلاف جنيه.

وما إن يسلم المؤلف مخطوطة عمله من أجل النشر.. بمجرد قراءة النص والموافقة على نشره يحصل على المكافأة.. وله بعد ذلك نسبة من التوزيع.. المهم أنها كانت تنظر إلى الأمور باعتبارها أبسط حقوق المثقف العربي.. الذي قد يواجه أصعب الظروف وأقساها.. كانت تقول إنها أبسط المساهمات حتى تُمكن المبدع من أن يبدع في ظروف ممكنة ومحتملة. ولولا دارها ما أكمل المترجم الدكتور فخري ليب، ترجمة رباعية الإسكندرية للورانس داريل.. وكان قد ترجم جزءاً واحداً منها وتوقف.. وعندما اتصلتُ به ليكمل الترجمة لم يصدق نفسه.. لأن المشروع تعثر أكثر من ربع قرن من الزمان.. منذ صدور الجزء الأول من الرباعية المهمة.. والتي تعد من الأعمال المؤسسة للكتابة الجديدة في عالم اليوم..

وهناك العديد من المساهمات التي ربطت مشروع النشر بمساعدة

الكتاب والأدباء الذين ربما يمرون بظروف صعبة.. ولا أحب أن أخوض في هذه الأمور.. رغم أن هذا من حقها.. على الأقل من ناحية التأريخ الأدبي لما جرى وما حدث وما مررنا به.

زاملني خلال العمل بالدار صديق العمر ورفيق الدرب الراحل جمال الغيطاني، الذي تحل ذكراه قريباً.. وكان مسؤولاً عن كتب التراث التي تنشرها الدار

هذه صفحة من ذكرياتي ومذكراتي عن تلك الأيام البعيدة..

سعاد الصباح وديوان جديد¹

د. نجم عبدالكريم²

ديوان «أنا وأنت.. والليل» جعلت الشاعرة سعاد الصباح كُـلَّ حرف فيه ينبض حُبّاً وهُياماً بعشقها الأزلي للرجل الذي شاركها الحياة، بل إنه كان هو الحياة بالنسبة لها، فهو زوجها (الشيخ عبدالله المبارك)، وهي تُناجيه في كل أبيات هذا الديوان بنبضات شعرية مفعمة بصدق مشاعرها نحو فارسها الراحل، رحمه الله.

أحبك، لا أستأذنك..

ولا أطلب من سلطةٍ تأشيرة دخولٍ إليك..

فأنت البلاد التي وُلدتُ فيها..

أريد أن أقيم فيها..

فهل تقبلني لاجئةً سياسية إلى صدرك؟

يا سيدي أصبحتُ أستحيي منك إذا قلتُ أحبك،

فهذا تعبيرٌ صغيرٌ جداً على رجلٍ احتلَّ مساحة الكون واحتلني.

عندما أحببتك تكهرب العالم..

1 - نشر في جريدة الجريدة الكويتية في 20 فبراير 2023.

2- إعلامي وكاتب كويتي، ولد في 25 أكتوبر 1938. التقى وهو طالب وخلال عمله بالعديد من رواد النهضة والحدّثة العربية مثل طه حسين، مصطفى العقاد، رسول حمزاتوف، نيلسون مانديلا وحمد الجاسر في السبعينيات، وأجرى معهم حوارات مسجلة. بدأ في ستينيات القرن الماضي بالوقوف وراء الميكروفون معداً ومقدماً ومخرجاً ومحاوراً وكاتباً للبرامج. وكان من مؤسسي فرقة المسرح العربي بقيادة زكي طليمات

فهل تعرف مصدراً للطاقة أكبر من حناني؟

التصق بي أكثر،

فالعالم غابة كراهية،

وأنا الوحيدة على هذا الكوكب التي تُحبك.

أريد العودة إلى مطار حنانك،

فالسفر خارج ذراعيك مُستحيل مُستحيل مُستحيل..

أنت يا من اكتشف أنوثتي،

وأعطاني اسماً جديداً وميلاداً جديداً..

ثم تأتي على ذكرياتها مع فارسها، فتروي التالي:

كان لصديق أيامي مجلسٌ عامرٌ

وأصحابٌ وناسٌ فقراء،

كان كلامه يوزع علينا الشمس والفيء والضياء.

هنا المحتاج يلقي هديته،

وهنا الإنسان يجد الإنسان..

اترك جريدتك واقراًني.

أنا جريدتك الأكثر انتشاراً،

وأنا المرأة الأكثر انكساراً،

والعاصفة الأشد دماراً.

يا سيدي اقرأ مستقبلك في عيني.

وكتبت في قصيدة سراب:

أنا امرأة نصفها شوق ونصفها وجد.
غُربتني بين نفسي ونفسي،
كم تمنيت أن الحب مازال هُنا.
متى تتنور بحضورك عيناى؟
أتوحد فيك، أصالح نفسي فيك..
وأبحر في أمواج يأسى إليك.
كي أمنح ذاتي عمراً جديداً منك إليك.
وختمت الديوان بقصيدة عيد ميلادها:
ها أنا أخطو نحو عامٍ لاحٍ من عمري الجديد..
وتغنى الناس حولي: (عيد ميلاد سعيد).
ليتهم يدرون أن السعد عن دربي جيد.
أيُّ سعدٍ ومليك القلب عن عيني بعيد؟!
وهو رغم البعد عني ساكنٌ قلب الوريد.
أمضيت رحلة أدبية ممتعة مع هذا الديوان، الذي يُضاف إلى معطيات
الدكتورة سعاد الصباح المبدعة في إنتاجها الشعري والأدبي والفكري والثقافي

التجربة.. والتجريب والأثر¹

علي المسعودي²

تقف سعاد الصباح على الخطوط الأولى من معركة الفكر التي يخوضها العالم..

هذا هو المكان الذي اختارته منذ الوعي الأول، ومنذ الكلمة الأولى التي كانت البدء في مشوارها الطويل والمتعدّد.

سعاد الصباح شاعرة تعزز ثقافتها بإبداع يتواكب مع معطيات العصر، فتأتي مدهشة في لغتها، استفزازية وجريئة في عرض رؤاها التنويرية، لأنها صاحبة رسالة تناضل في سبيل قضيتها بكل أسلحتها. وفي مقدمة تلك الأسلحة سلاحها الأثير (الشُّعر)، منذ أن لاحظت ما يحيط بالمرأة العربية من تعنّت تنوّعت أسبابه: اجتماعياً وثقافياً ودينيّاً

وبإطلالة سريعة على قصيدة «ثورة الدجاج المجلد» نجد سعاد الصباح ترسم واقع المرأة الغريب في مجتمعات يعترّيها ما يعترّيها من الأمية، وبينما يعمل الغرب على تسليح المرأة وتحويلها إلى مادة إعلانية تعرض في الفاترينات للعابرين، فإن في زاوية من العالم العربي وفي مجتمعات محددة تصرخ امرأة تحمل صوتها سعاد الصباح

ماذا فعلت بي..

1- أُلقيت في معرض إسطنبول الدولي للكتاب العربي - أغسطس 2024.

2- شاعر وقاص وصحافي وباحث، مدير دار سعاد الصباح للثقافة والإبداع.

قَبْلَ سِنِينَ..؟

كُنْتُ سَمَكَةً صَغِيرَةً فِي الْأَكْوَارِ يَوْمَ
وَحِينَ وَجَدْتُ نَفْسِي فِي الْمَحِيطِ الْكَبِيرِ
لَمْ أَعُدْ أَعْرِفُ أَنْ أَعِيشَ فِي أَوَانِي الزُّجَاجِ
لَمْ أَعُدْ قَادِرَةً عَلَى التَّوْفِيقِ
بَيْنَ طُقُوسِ قَبِيلَتِي
وَبَيْنَ الْخُطُوطِ الْمَجْنُونَةِ..

بَيْنَ الْعُصُورِ الْجَلِيدَةِ.. وَالْمَنَاطِقِ الْإِسْتَوَائِيَّةِ
بَيْنَ شَرَعِيَّةِ التَّارِيخِ.. وَلَا شَرَعِيَّةِ الْعَمَلِ الشُّعْرِيِّ..
بَيْنَ زَمْهَرِيرِ النُّصُوصِ الْمَكْتُوبَةِ
وَأَحْتِمَالَاتِ الْكَلِمَةِ الْخَارِجَةِ عَلَى النَّصِّ..

(والورود تعرف الغضب ص185)

تصرخ سعاد الصباح باسم النساء العربيات في ثورتها الجريئة ضد ذلك الرجل الشرقي، وهي ليست ضد شرعية الرجل المحافظة التي تلتزم بالسلوك الشرقي العربي الأصيل، لكنها ترفض السلوك الذي يسلب المرأة حياتها لا حياءها.. يأخذ منها كرامتها واختياراتها.

إنها تعلن التغيير والتمرد والوقوف بوجه كل من يحاول إدخال المرأة ثلاجة الموتى.. أو يضعها على مسلخ الحياة ويطلب منها الاستسلام لكي يقوم بتشريحها

أما في القصيدة الطويلة (ثورة الدجاج المجلد) فتكشف سعاد الصباح

العقلية المتناقضة المتجاهلة لمواهب المرأة وقدراتها ومكانتها، وينصب اهتمامها على الرجل الذي مُنح فرصة التغيير ومع ذلك لا يزال يحمل مفاهيم لا تنسجم مع حجم فرصته

هذه صورة المعاناة كما رسمتها سعاد الصباح بمهارة وبحيادية، ولكنها عرضت لنا نماذج متفرعة منبثقة عن هذه الصورة العامة، وقد صنفتها وفق ورودها في القصائد، وأطلقت عليها تسميات مُستلّة من الإبداع الشعري نفسه، فجاءت بأنماط متنوّعة

والجهة التي تقصدها سعاد الصباح تتحقق إبداعياً بشكل مغاير تماماً لما طرقه غيرها من الشاعرات أو الكاتبات في قضية الاستبداد ضد المرأة، وموقفها من حقها في الحياة وحقها في ممارسة الوجود كما يجب، فلا أحد ينازعها فيما وهبها الله من امتيازات أو اختيارات، لذلك تعبر الشاعرة عبر عطاءاتها المتعددة وبوسيلتها الأبرز: الشعر، ليس رفضها لممارسة الاستبداد والتسلط على المرأة فحسب، وإنما تطلق صرخة مدوية، كما في قصيدتها (حق الحياة) التي وردت في ديوان (أمنية)

وَيْلَ النِّسَاءِ مِنَ الرِّجَالِ إِذَا اسْتَبَدُّوا بِالنِّسَاءِ

يَبْغُوْنَهُنَّ أَدَاةَ تَسْلِيَةٍ، وَمَسْأَلَةَ اشْتِهَاءٍ..

وَمَرَاوْحاً فِي صَيْفِهِمْ.. وَمَدَافِئاً عَبْرَ الشِّتَاءِ

وَسَوَائِمًا تَلِدُ الْبَنِينَ لِيُشْبِعُوا حُبَّ الْبَقَاءِ

وَدُمَى مُحَرِّكُهَا أَنَانِيَةُ الرِّجَالِ كَمَا تَشَاءُ

في هذه الأبيات تصف الشاعرة المشهد.. وتضع على خشبة الحياة أبطال المسرحية الهزلية، ثم تفتح الستارة على فصل جديد

لا.. لَنْ نَذَلَّ، ولن نَهُون، ولن نُفَرِّطَ في الإِبَاءِ
لقدِ انْتَهَى عَصْرُ الحَرِيمِ وجاءَ عَصْرُ الكِبَرِيَاءِ..
وَجَلَا لَنَا حَقُّ الحَيَاةِ، فكلُّنا فِيهِ سَوَاءٌ..

ونلاحظ أنها اختارت هنا خطاباً مباشراً، لم تستخدم فيه الرمز أو التورية كما اعتادت في كثير من قصائدها، فهذه المعاناة ثم ردة الفعل على المعاناة تحتاج إلى كلمات صريحة صاخبة حادة ومباشرة.. دون موارد أو ستور، ولعل سر تميّز هذا الخطاب هو أن سعاد الصباح ترى مجتمعاً يتأهب لحتمية التغيير.. ولا يمكن أن يحدث ذلك بوجود مَنْ ينظر للجنس الآخر وربما للعالم الآخر كله بدونية، تسيطر على ذهنيته وتشعره بالتمييز والاختلاف عن باقي العالم.. فهو في نظر نفسه الحاكم الأوحده على كل التشريعات والقوانين التي ما وُجدت إلا لتزيد من سلطته وتؤيد جبروته في ذاكرة تختزن تراكمات من عصور الجهالة المركبة الذي عاشته هذه المنطقة في عصور التجهيل المتعمّد.

وتستمر اللغة المباشرة لكسر تلك النمطية في التصرّف.. وهي تتساءل عن قيمة الصبا والجمال والحياة في ظل القوانين التي يفرضها الحاكم بأمر جهالته

ما قِيَمَةُ الصَّبَا الغريرِ والشَّبَابِ والحَوَرِ؟

إذا قُضِيَ بلا هَوَى، ولا مُنَى، ولا ثَمَرٍ

أعيشُ في مَنْفَى مِنَ الحِرْمَانِ أسألُ القَدَرَ:

أليس لي حَقُّ الحَيَاةِ مثلَ سائرِ البَشَرِ؟

هل هذه هي الصورة الكاملة لسعاد الصباح؟

بالتأكيد لا!

هذا جزء من الصورة، هناك أجزاء أخرى كثيرة لا بد من جمعها وتولييفها لنحصل على الصورة المكتملة لهذه الأدبية التي وزعت شظاياها في كل الجهات.. فكانت النموذج الثقافي الفريد في العطاءات المتنوعة.. ولأن إطلالتنا هنا خاصة بالشعر فقط فلنتبع هذا الأثر الحميم..

خطوات العاشقة المحبة المفتونة الصاخبة المتفجرة عشقاً..

فالشاعرة المتمردة المتصدية العنيدة (التي لا بالوعود ولا بالوعيد تلين) تكشف عن شخصية شفافة متلهفة تذوب غراماً وعشاقاً وشوقاً.

لبستُ ثوبي المشغول بخيوطِ اللففة

وتكحلتُ بنور عينيك

وزرعتُ في شعري زهرةً برتقال

هكذا ترتكب شغف الانتظار للمحبوب الذي لم تفارق صورته عينيها، تعيش هاجس الاستعدادِ الوجداني روحاً ومظهراً، ترتدي ثوب الجمال المشغول بخيوط اللففة، وتزين عينيها بكحل من عينيها، وتضع زهرة على شعرها كان قد أهداها إليها.. كل هذا من أجل طلب الإقامة الدائمة، وهي إقامة لا خضوع فيها ولا خنوع، لأنها هنا جلست على العرش تتمتع بمخيلةٍ مُعطّرة، تُبعثرُ الزَّمنَ، وتكتبُ الحرية، حرية القبيلة الجديدة، لتنطلق في رحلتها المضادة المعاكسة لاتجاه تراث القبيلة

وفي حين أفصح العشاق الرجال عن حبهم، رأت سعاد الصباح كامراًة معاصرة أن تفصح عن حبها، واختارت أن يكون هذا الحب مُعلنًا وواضحاً لزوجها ورفيق عمرها الشيخ عبدالله المبارك الذي أخذ بيدها منذ

البدايات.. منذ مقاعد الدراسة الثانوية أمسكت السيف ليكون حبها دافعاً
قوياً لا واهناً ضعيفاً، تقول:

كَيْفَ اسْتَحْضَرُكَ

يَا صَدِيقَ الْأَزْمِنَةِ الْوَرْدِيَّةِ؟

وَوَجَّهِي مُغَطَّى بِالْفَحْمِ

وَشُعُورِي مُغَطَّى بِالْفَحْمِ

لَيْسَتْ فِلَسْطِينُ وَحْدَهَا هِيَ الَّتِي تَحْتَرِقُ

وَلَكِنَّ الشُّوفِينِيَّةَ

وَالسَّادِيَّةَ

وَالغَوَائِيَّةَ السِّيَاسِيَّةَ

وَعَشْرَاتِ الْأَقْنَعَةِ، وَالْمَلَابِسَ التَّنَكُّرِيَّةَ..

تَحْتَرِقُ أَيْضاً.

وَلَيْسَتْ الطُّيُورُ، وَالْأَسْمَاكُ وَحْدَهَا

هِيَ الَّتِي تَحْتَنِقُ

وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ الْعَرَبِيَّ هُوَ الَّذِي يُحْتَنِقُ

دَاخِلَ (الهولوكوست) الْكَبِيرِ..

(والورود تعرف الغضب ص ٣٤)

ثم تقول في قصيدة أخرى:

يَحْكُونُ عَنِ الْمُعْجَزَاتِ السَّبْعِ

وينسون أنك مُعجزتي
وعن عصر المأمون الذهبي
وينسون..

أن لا عصر ذهبيًا إلا عصرُك
وتعلن هذا الاستسلام الجريء والجميل:
ولا قيد أجد فيه حريتي إلا قيدك!!
ثم تنتقل إلى شكل آخر من التوضيح:
أنا امرأة من فضاء بعيد
ونجم بعيد
فلا بالوعد ألين..
ولا بالوعيد..

الحب والوجد.. وسعاد الصباح عندما تذهب إلى أبعد مدى.. إلى نقطة
اللاعودة في مسيرة العشق العربي.. الدليل الدامخ على صدق المشاعر
والذهاب من دون رجوع إلى الاندماج التام بالآخر: المعشوق
لقد قرأتُ سعاد الصباح قصص العشاق العرب.. ثم انطلقتُ إلى قصص
العشق في العالم كُله، وتأملتُها طويلاً، تماهت مع بعضها وتعاطفت مع
بعض جوانبها، ورفضت بعضها الآخر
إنها مع الحب.. ومع الصدق، ومع الجمال.. ومع الشعر.. لكنها في
الوقت ذاته تريد أن تمثل عصرها.. تبحث عن لغة تتسع لحجم الحب
الساكن في قلبها.. تقول

قرأتُ كُلَّ معاجِمِ العِشقِ
وَكُلَّ رسائلِ العاشقينِ..
قرأتُ (طَوَقَ الحَمامةِ)..
و(نَشِيدَ الإنشادِ)..
قرأتُ (أوفيد) .. و(عُيونَ إلزا)..
ولكنني لم أستوعِبْ حتَّى الآنُ
قِصَّةً تستوعِبُ مُنانا..
ولُغَةً تكفي أنْ نتمدَّدَ فيها.. نحنُ الاثنانِ
وتقول:

فيا تاركي..
مَجروحَةٌ على رُجاجِ اللُّغَةِ المستحيلَةِ..
أتوسَّلُ إليك..
أنْ ترفعَ يديكَ عن ثقافتِي..
الشاعرة المسافرة في الأزمنة والأمكنة، حاملة حبها الذي لا يشبه حباً
قبله ولا بعده.

وهي الشاعرة التي أسست لمدرسة رومانسية خاصة جداً لم تسبقها إليها
شاعرة.

وهي الشاعرة التي صنعت من الرجل قضية ثورة على تقاليد المجتمع،
ليسير معها في طريق تصنع فيه الحياة بشكل خاص، وهي في سبيل هذا
تعلن اسمه

أُسَمِّيكِ.. رغم احتجاجِ قريشٍ..

«حبيبي»

ورغم احتجاجِ كُليبٍ..

«حبيبي»

هو حبيبها بالمعنى الحضاري، وليس بالمعنى التقليدي، تقول:

أَعْرِفُ بَيْنَ رِجَالِ الْعَالَمِ رَجُلًا

يَشْطُرُّ تَارِيخِي نِصْفَيْنِ..

أَعْرِفُ رَجُلًا، يَسْتَعْمِرُنِي..

وَيُحَرِّرُنِي..

وَيُلَمِّلُنِي..

وَيَبْعَثُنِي..

وَيُجَبِّنِي بَيْنَ يَدَيْهِ الْقَادِرَيْنِ..

أَعْرِفُ بَيْنَ رِجَالِ الْعَالَمِ رَجُلًا

مَرَّ بَعْمُرِي كَالْإِسْرَاءِ

قَدْ عَلَّمَنِي لُغَةَ الْعُشْبِ

وَلُغَةَ الْحُبِّ

وَلُغَةَ الْمَاءِ..

كَسَرَ الزَّمَنَ الْيَابَسَ حَوْلِي

غَيْرَ تَرْتِيبَ الْأَشْيَاءِ

شاعرتنا التي تريد أن تغير تضاريس الحياة، والمجتمع الآخر باعتباره
كُلًّا يضم أحبَّاءها المقربين، وحببيها المنتقى، لذا فإننا نرى أنها توازي بين
حديثها عن المجتمع من خلال الرجل
تقول:

يا سيدي:
سوف أظل دائماً أقاتلُ
من أجل أن تتصير الحياةُ
وتورق الأشجارُ في الغاباتُ
ويدخل الحبُّ إلى منازل الأمواتِ
لا شيء غير الحبِّ..
يستطيع أن يُحرِّك الأمواتِ..

وهي العاشقة التي تحوّل الحب إلى حالة احتراق قصوى.. عندما تضرع
النيران في أعصابها.. وتطلق البراكين من قلبها.. وتعلن الاحتراق الجماعي..
ثم تكتب هذه الاعتذارية الجميلة
يا مُنى القلبِ، مِنْ القلبِ اعتذارا
إِنْ طغى الشوقُ بجنبِي وثارا
فهيامي بك ما كان اختيارا
أنتَ مَنْ تجعلُ ليلاقي نهارا
أنتَ مَنْ تملأُ أيامي أخضرارا
أنتَ مَنْ تُسعدُ أحلامي العذارى

أَيُّهَا الطَّيْرُ الَّذِي رَفَّ وَطَارَا
وَأَنَا أَبْنِي لَهُ فِي الْقَلْبِ دَارَا
كَيْفَ أُمْسِي حُبُّنَا نُورًا وَنَارًا؟

سحر الحب الذي يحيل الليل نهاراً، يجمع النقيضين نوراً يضيء المستقبل وناراً تزيده جمالاً، نار الحب حينما ابتعد الحبيب الذي تخاطبه «أيها الطير» ولكنه رَفَّ وطار، تحول النور إلى نار، بفضل الحب الذي له قوة سحرية تستطيع تحويل كل شيء حتى تصل بالإنسان إلى الفضاء الرحب حيث الشمس والنجوم وعالم الأحلام الذي من خلاله يحقق الإنسان كل ما يحلم به.. عندما يسير وفق الجهة التي تحددها بوصلة شاعرتنا وهي تنظم الآمال والأحلام شعراً كما في قولها:

أَنْتَ مَنْ تَسْتَعْرِضُ الْأَحْلَامَ فِي كَفِّكَ أَسْرَى
وَأَنَا الْبَدْرُ صَفَاءً.. وَضِيَاءُ الشَّمْسِ ظُهُراً

آخر السيوف

تأتي هذه القصيدة حالة خاصة جداً في المسيرة الشعرية والإنسانية للشاعرة د.سعاد محمد الصباح من حيث الطرح والنهج والعمق والألم الصارخ والفجعة الشديدة والحبكة المشغولة بقلب منقوع بحزن شديد الوطأة

قصيدة آخر السيوف الخاصة برفيق العمر زوجها الفارس التي آلت على نفسها أن تجعلها في ديوان واحد، فهو ديوان حياتها، مثلما هو فارس عمرها، حالة شعرية خاصة تليق بمكانة القصيدة التي تراثي بها رفيق العمر وكأنها تراثي وطناً وزمناً وفروسية وفرساناً.. قصيدة للفارس.. فارس

الحياة وفارس الأحلام وفارس الواقع، حيث التقى الفرسان في فارس واحد.
هكذا كان لها، فكيف بها إذا فارقتها من غير عودة؟ ألا يستحق أن تبكيه؟
رسالة لا يحملها عنها أحد، فهي التي تُسَطِّرها، وإليه تحملها، وتقف
أمامه وتقرؤها، حتى تخاطبه حضوراً لا غياباً.

هي رسالة يحملها قلبٌ يخفق كطيرٍ تترصده البنادق.
ها أنتَ تَرَجِعُ مِثْلَ سَيْفٍ مُتَعَبٍ
لِتَنَامَ فِي قَلْبِ الْكُوَيْتِ آخِيراً
يَا أَيُّهَا النَّسْرُ الْمُضَرَّجُ بِالْأَسَى
كَمْ كُنْتَ فِي الزَّمَنِ الرَّدِيِّ صَبُوراً
كَسَرْتُكَ أَنْبَاءَ الْكُوَيْتِ، وَمَنْ رَأَى
جَبَلًا بِكُلِّ شُمُوحِهِ مَقْهُوراً
مَا كَانَ يُمَكِّنُ أَنْ تَعِيشَ لِكَيْ تَرَى
بَابَ الْعَرِينِ مُخْلَعًا مَكْسُوراً
صَعَبٌ عَلَى الْأَحْرَارِ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا
قَدْرُ الْكَبِيرِ بَأَنَّ يَظْلَ كَبِيراً
يَا فَارِسَ الْفُرْسَانِ، يَا ابْنَ مُبَارَكٍ
يَا مَنْ حَمَيْتَ مَدَاخِلًا وَتَغُورَا
شَرِبْتَ خِيُولَكَ دَمْعَهَا وَصَهِيلَهَا
كَيْفَ الْخِيُولُ تَمُوتُ؟ لَا تَفْسِيراً
مَا عَادَ بَحْرُكَ أَزْرَقًا، يَا سَيِّدِي
فَكَأَنَّمَا صَارَ النَّهَارُ ضَرِيراً

الإِخْوَةُ الْأَعْدَاءُ مَرُّوا مِنْ هُنَا
 كَيْ يَمْلَأُوا تَارِيخَنَا تَزْوِيراً
 شَنَقُوا الْغَنِيِّ عَلَى مَشَانِقِ حِقْدِهِمْ
 أَمَّا الْفَقِيرُ فَلَا يَزَالُ فَقِيراً
 غَدَرُوا بِهَارُونَ الرَّشِيدِ، وَأَحْرَقُوا
 كُتُبَ التَّرَاثِ، وَأَعْدَمُوا الْمَنْصُورَا
 عَبَّثُوا بِأَجْسَادِ النِّسَاءِ، وَدَنَسُوا
 قَبْرَ الشَّهِيدِ، وَدَمَّرُوا تَدْمِيراً
 لَمْ يَتْرُكُوا فِي الْحَقْلِ غُصْنًا أَحْضَرًا
 أَوْ نَخْلَةً مَيْسَاءً أَوْ عُصْفُورَا
 قَضَمُوا الْكُوَيْتَ كَأَنَّهَا تَفَاحَةٌ
 وَرَمُوا ثِيَابَ الْقَاصِرَاتِ قُشُورَا
 مَنْ ذَا يُجَاسِبُ حَاكِماً مُتَسَلِّطًا
 ذَبَحَ الشُّعُوبَ حِمَاقَةً وَغُرُورَا؟
 يَا سَيِّدِي.. إِنَّ الشُّجُونَ كَثِيرَةٌ
 فَاذْهَبْ لِرَبِّكَ، رَاضِياً مَبْرُورَا

فلسطين.. الشعلة دائمة التوهج

حملت سعاد الصباح قضية فلسطين شعلة في القلب وشارة في الجبين
 ومطلعاً وقافية في الشعر
 يا بلادي.. إِنَّ فِي الْأَقْصَى
 أطفالاً يَمُوتُونَ

وعرضاً يُغْتَصَبُ..
اغْضَبِي أَيْتُهَا الْأَرْضُ
فَإِنَّ الْأَرْضَ لَا يَفْلَحُهَا إِلَّا الْغَضَبُ

أَمْوُذَجٌ مما سطرته عن القدس.. التي تجذّرت في وجدانها منذ الطفولة، فأصبحت هوية وانتماء، والشغل الشاغل الذي ما فتئت توليه صدر اهتماماتها، ما بين كتابة، ودعم معنوي ومادي، وبأشكال مختلفة تشرّبت هذا الحب واعتادت المعاشة اليومية منذ الطفولة، حيث كانت القضية في مقدمة اهتمامات والدها الشيخ محمد الصباح، عبر أحاديثه عن النكبة، وحيث تنامي المد الصهيوني، وتفاقم اللجوء، سكنها الهمُّ الفلسطيني، حتى أصبح هوية وجدانية ترسّخت أكثر بعد زواجها عام 1959، من نائب حاكم الكويت الشيخ عبدالله مبارك الصباح، الذي كان من أهم الداعمين العرب لقضية فلسطين

ترجمت ذلك منذ كانت في العشرينات من عمرها، حين خصصت ريعَ أول ديوان شعر صدر لها في بيروت عام 1963 لصندوق دعم الثورة الفلسطينية، وما إن انتقلت للعيش في مصر، حتى راحت تعقد اجتماعات أسبوعية في (جمعية ربات البيوت)، وتفتش عن أيّة وسيلة يمكن من خلالها دعم القضية، مادياً وسياسياً، تبرعت في ذلك الوقت بسيارتها لنصرة القضية، إضافة إلى مساهمتها في العمل مع الهلال الأحمر لإغاثة الأسر الفلسطينية المهجّرة

كانت حاضرة في كل مفصل من مفاصل تطور القضية، من أوائل من هب للدفاع عن لبنان والفلسطينيين عندما راحت إسرائيل تلاحق الفلسطينيين هناك، وهو ما تطور إلى اجتياح بربري وصل إلى العاصمة بيروت. كما

سيّلت الكثير من الحبر، وألهبت المنابر، تنديداً بقصف إسرائيل لمقر قيادة منظمة التحرير في تونس. وما إن اندلعت الانتفاضة الأولى عام 1987، حتى كانت أول من تبرع لها وأرسل المساعدات للأسر الفلسطينية في الداخل. ثم كانت قصيدتها الشهيرة (سيمفونية الأرض)، التي ازدهت فيها بانتفاضة الحجارة، وجاء فيها:

افرشوا السجاد

والورد

لأطفال الحجارة

واغمروهم بالزهر

إن إسرائيل بيتٌ من زجاج.. وانكسر.

في العام 1989، ومن خلال دار سعاد الصباح للثقافة والإبداع، خصصت الدكتورة سعاد الصباح مجموعة من الجوائز المادية السخية لدعم مؤسسات العمل الثقافي في فلسطين. وفي العام ذاته، وفي مزاد أقيم لدعم الانتفاضة على هامش مؤتمر الاتحاد النسائي في تونس، كانت صاحبة المبادرة الأولى والكبرى في سبيل مساندة القضية

وواصلت منذ ذلك الوقت، تخصيص جوائز للإبداع الفلسطيني، وجوائز مماثلة لدعم مؤسسات العمل الثقافي في فلسطين دعماً للصمود الفلسطيني وحفاظاً على الهوية الفلسطينية. كما مفاوضات السلام منذ انطلاقها في العام 1991، ولطالما حذرت في مقالاتها من ألاعيب إسرائيل ومراميها الخبيثة

ومثلما ناصرت الانتفاضة الفلسطينية الأولى، ناصرت الثانية إبداعياً نثراً

وشعراً، فسطرت المقالات في كل الصحف العربية، وكذلك دعمتها مادياً ومعنوياً، وأشعلت خطبها المنابر في مناسبات عديدة، ابتهاجاً بالإرادة الفلسطينية، وتنديداً بالخطر الصهيوني. وكعادتها، لم تتوان يوماً عن دعم القضية مادياً، ولم تعلن عن كثير من هذا الدعم، ومنه تبرعها مرات لصندوق وقفية القدس بمبالغ كبيرة لإعمار المسجد الأقصى، ودعم التعليم، وكفالة الأيتام، وكفالة دراسة عدد من الطلبة الجامعيين وغيره.

وحين هزّها اغتيال الإعلامية شيرين أبو عاقلة، أطلقت مسابقة عربية تحمل اسمها تخليداً لذكراها

هكذا كانت فلسطين، ولا تزال، شعلة في وجدان سعاد الصباح، ما فتئت تزداد توهجاً وألقاً.

وعلى الرغم من كل ما حُف بالقضية من مآسٍ وانكسارات، إلا أن إيمان سعاد الصباح بانتصارها ظل راسخاً رسوخ الجبال، وهي التي تقول: «سوف أبقى دائماً أنتظر الورد الذي يطلع من تحت الخراب»

إضاءة¹علي عبد الفتاح²

سعاد الصباح.. وردة الياسمين تجتاحها رياح الحزن العميق.. تتناثر
على بحيرات الكون اللوعة والدمعة.. يتسلل نزييف الجرح يعانق القلب
الطالع من رواي الأفق المضيء ليرحل بالشاعرة من مدن البللور والحرير
إلى مواجهة غضب الشجر.. وبرق الرعود وتفجر الروح.. كيف حدث ذلك؟
عانقت سعاد الصباح وجه الحياة، وتهادت في موكب العبير تغني لرفة
أجنحة فراشة مسها عطر الحقائق.. ونسائم الرياض.. وهوت الفراشة في
حنين الورود تغني:

لنجواك من همسات الزهر	أسمعني أقطف الكلمات
يثور ويرقص فيه الشرر	وفي خافقي موقد من هواك
بشجو يفتت قلب الحجر	تسابق أشواقه أحرفي

وتصحو سعاد الصباح من فرحة أحلامها على واقع مأساوي يفقدها
ولدها الفتى الجميل نبع الحب ورحابة السحر والغناء.

تحترق في قلبها الكلمات.. تتوهج ثورة الانفعال وتتأمل كيف يولد
الطفل وحين ينمو كالنخيل تكسر الأقدار عنقه ويهوي بلا حراك.. وتتحول
الأم إلى ركام من العذاب.. وبقايا أنفاس، وتعلن تمرد لها على حزنها لتحيا

1- نشر في جريدة الرأي العام الكويتية.

2- كاتب وإعلامي مصري عمل في الصحافة الكويتية خلال فترة الثمانينيات والتسعينيات، وأشرف على الصفحة الثقافية في جريدة الرأي العام الكويتية

بكامل إنسانيتها.

إن رحيل ولدها أحدث للشاعرة صدمة في الوعي والإحساس والفكر والتعبير.. إلى هذا الحد فقد الأبناء يذبحنا ويقتلنا..؟ إلى هذا الحد تعاني المرأة من فقد وليدها وفلذة كبدها؟ تعاني وحدها وكيف تكون المرأة الآن؟ إنها مازالت تصارع من أجل كيانها.. والرجل لا يبالي.. وتظل في وحدتها مضطهدة، مغبونة، منطفئة بلا رثاء.. فلم تستسلم المرأة وهي رمز الخصوبة والميلاد وتجدد الكون وفرحة السماء..؟

وتقرر سعاد الصباح أن تحمل رسالة التنوير بصوت المرأة.. تثور.. تتمرد.. ترفض وتغضب من أجل مدينة تخلق فيها المرأة حريتها وتصنع وتشكل تفاصيل أفكارها من جديد

وتبدأ ثورة الشاعرة على الاستغلال الجشع لعناصر الحضارة المادية والمعنوية، فإذا انشقت الأرض بالخير وفاضت علينا بالعطاء فقد تغرقنا في المتع الحسية وتحولنا إلى أدوات ومجرد أشياء وقشور على سطح الحضارة لا نحاول النفاذ للأعماق، فتقول

إنني بنت الكويت

كلما مر ببالي عرب اليوم بكيت

كلما فكرت في حال قريش

بعد أن مات رسول الله

خانتني دموعي فبكيت

وتألفت وردة الياسمين تشهر أشواكها في قلب الظلام والخديعة والمنافقين والسفهاء والطغاة، وتعري وجوههم الزائفة ثم تغني للمرأة وكبريائها

وشموخها في الحب النقي والعلاقات الجميلة الشفافة
 أما الصدمة الثانية التي أطاحت باتزان الشاعرة حين شاهدت وطنها
 يستباح عام 1990، فامتد غضبها لتصبح الكويت امرأة تناضل من أجلها
 كويت كويت

موانئ أبحر منها الزمان

وواحة حب وبر أمان

وشعب عظيم

وما زالت وردة الياسمين تضربها رياح الحزن العنيد، ولكنها أبداً لا تتناثر
 أو تنهار، إنها في وجه الشمس تغني من جديد!

احتفالية يوم الأديب الكويتي¹

1- كلمات أُلقيت بمناسبة تكريم د. سعاد الصباح من قبل قسم اللغة العربية في كلية الآداب في يوم الأديب الكويتي في مسرح جامعة الكويت بمنطقة الخالدية - 2005.

كلمة د. يحيى علي أحمد¹

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين..

الأستاذ الدكتور نادر الجلال - مدير الجامعة، ممثل راعي الحفل

معالي الوزراء

زملائي، زميلاتي أعضاء هيئة التدريس

ضيوفنا الكرام

المحتفى بها د. سعاد الصباح..

إنني إذ أطالع هذه الوجوه الطيبة التي تشاركنا احتفاليتنا هذه الليلة فإنني أشعر بسعادة غامرة لأن حضوركم يُعدُّ بحد ذاته مساهمة إيجابية لإنجاح هذه الاحتفالية المهمة.

شكراً لحضوركم، وشكراً لقسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب الذي استنَّ هذه السنَّة الطيبة، فدأب على إقامة يوم الأديب الكويتي سنوياً، ويكون قسم اللغة العربية بذلك قد ساهم في تحقيق جزء من رسالة كلية الآداب في سعيها لنشر الفكر العربي وتراثه القيم، وإبراز إسهامات الأدباء واللغويين العرب في مجال الإبداع، ودراسة مقومات الثقافة والأدب في الكويت.

1- عميد كلية الآداب سابقاً - جامعة الكويت.

أيها الحضور الكريم..

إن هذه الاحتفالية التي ينظمها قسم اللغة العربية تندرج ضمن أنشطة الموسم الثقافي لكلية الآداب التي تعد من أنشط الكليات بالجامعة في إقامة الندوات والمحاضرات في الموسم الثقافي.

ولكن هذه الاحتفالية تعتبر متميزة لأنها تعكس معاني الوفاء والتقدير لمسيرة عطاء د. سعاد الصباح ليس فقط لأنها شاعرة مبدعة ومتميزة في شعرها، ولكن أيضاً لمسيرة الخير والعطاء التي انتهجتها ولمساهمتها في تشجيع الثقافة والإبداع الأدبي والفكري على مستوى الوطن العربي.

وأقول لزميلاتي وزملائي في قسم اللغة العربية إنني أقدر عملكم بالغ التقدير وشكراً لاختياركم الموفق، فما أحسن أن نجتمع على المودة والخير.. وما أحسن أن نقدر الإبداع والعطاء الإنساني المتمثلين في شخص سعاد الصباح.

وشكراً لفريق العمل، وعلى رأسه أ. د. نورية الرومي، وفريق العمل المساهم والمشارك معها، وشكراً للمسؤولين الإداريين في كلية الآداب وفي الجامعة الذين مدّوا يد العون.

وأخيراً.. شكراً لكم أنتم أيها الحضور الكريم، فحضوركم تشجيع للفكرة ومشاركة في التكريم ومساهمة في تقدير الشاعرة الإنسانية سعاد الصباح.. شكراً وعلى الخير نلتقي دائماً.

كلمة د. نورية الرومي¹

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ د. نادر الجلال - مدير جامعة الكويت.

راعي الحفل نيابةً عن معالي وزير التربية ووزير التعليم العالي الرئيس
الأعلى للجامعة د. رشيد الحمد.

أصحاب المعالي الوزراء

المحتفى بها.. الشاعرة د. سعاد الصباح

السادة أعضاء السلك الدبلوماسي

د. يحيى علي أحمد عميد كلية الآداب.

د. عبدالله الغزالي رئيس قسم اللغة العربية وآدابها..

ضيوف الاحتفالية على امتداد الوطن العربي

زميلاتي، زملائي، أعضاء هيئة التدريس والأسرة الجامعية

الحضور الكريم..

أسعدتم مساءً..

يحتفل قسم اللغة العربية سنوياً عبر لجنته الثقافية بيوم الأديب

1- د. نورية صالح الرومي: باحثة وناقدة وكاتبة أكاديمية كويتية. وهي أستاذ بقسم اللغة العربية في كلية الآداب - تخصص النقد الحديث. وتقوم بتدريس مادة الأدب العربي الحديث في الخليج والجزيرة العربية. وقد شغلت عدة وظائف إدارية في جامعة الكويت منها: عميد مساعد للقبول والشؤون الطلابية وكلية البنات الجامعية من عام 1986م إلى يناير 1994م. ونائب رئيس جمعية أعضاء هيئة التدريس بالجامعة من عام 1985م حتى عام 1992م. ورئيس جمعية أعضاء هيئة التدريس من عام 1992م. ومستشار مجلة (عالم الفكر) ووزارة الإعلام من عام 1987 إلى عام 1993م

الكويتي تحت شعار يدلّ على دور المكرّم ومساهماته في إثراء الحركة الأدبية والثقافية في الكويت، وقد خُصّصت احتفالية هذا العام لتكريم الشاعرة د.سعاد الصباح تحت شعار (سعاد الصباح.. الإبداع في مواكب الثقافة العربية).

وشاركنا من داخل الكويت في هذه الاحتفالية مؤسسات ومجالس وهيئات وجمعيات وروابط واتحادات ولجان.. مع مشاركة جهات وهيئات ومنظمات عربية من جمهورية مصر العربية، والجمهورية اللبنانية، وجمهورية اليمن الشعبية، والجمهورية الجزائرية، والمملكة المغربية، وصندوق تعليم الفلسطينيين ببيروت.

ذلك لأن الشاعرة سعاد الصباح امرأة استثنائية على أصعدة مختلفة، فهي متنوعة المجالات، كثيرة الأنشطة على المستوى المحلي والعربي والعالمي، مما جعل لها حضوراً عربياً وعالمياً لافتاً في مشاركتها الفاعلة في الدفاع عن مبادئها الوطنية والقومية.

فقد حملت -عن مبدأ ثابت- الدفاع عن حق الإنسان العربي والإنسان في شتى بقاع العالم في المحافل والمنتديات الأدبية والفكرية العربية ذات الطابع الدولي، وهي بذلك لبنة من لبنات بناء صرح التنمية الثقافية والإنسانية، وهي أيضاً علامة بارزة من علامات الحركة الشعرية في الكويت والوطن العربي.. عبر دواوينها الشعرية العديدة التي مثّلت بها مراحل تطور شعرها الفني، والتي جسدت من خلاله قضايا إنسانية ووطنية وقومية. فشعرها قصيدة واحدة، ومجالاتها متآزرة في ملحمة شعرية موضوعها الإنسان، في مجمله، سواء كان ذكراً أو أنثى، ولهذا فقد احتلت الشاعرة مواقع كثيرة في المجالس والمراكز والمؤسسات العلمية والثقافية

على مستويات عديدة وامتدادات تاريخية طويلة متفاوتة في أزمانها، ومختلفة في مواقعها، فحملت ولا تزال تحمل همَّ الإنسان ومعاناته في الداخل والخارج في عضوياتها في المجالس والهيئات، فكان الإنسان وحقوقه محور مؤلفاتها ونتاجها الشعري الذي جاء يمثل انعكاسات لمراحل تاريخية مرّت بها الشاعرة في حياتها رصدت من خلالها حقبة تاريخية عربية وعالمية، جسّدتها الدواوين الشعرية بتطور فني لها، من عام 1961 في ديوانها (ومضات باكرة) باكورة إنتاجها الشعري الأول إلى آخر دواوينها (القصيد أنثى.. والأنثى قصيدة) عام 1999، وقد تنوعت قصائد الدواوين بين القصيدة العمودية موحدة الوزن والقافية، إلى قصيدة التفعيلة والشعر المنثور والشعر السرد.

وبهذه القصائد استطاعت أن تعمق الإحساس بهمّ المثقف العربي بصور شتى، فاتجهت اتجاهاً واقعياً في مضمون الشعر في هذا الواقع، وإن صاغته بأسلوب رومانسي بعواطفها المركزة وخيالها الحاد الذي قد يبعتها في عالمها المثالي عن ملامسة هذا الواقع الذي قد يكون مريراً لديها.. ففي حلمها الرومانسي للواقع العربي والإنساني تتخطى قصائدها الأمكنة المادية وتتجاوز الأزمنة الواقعية في فضاء النص الذي قد يتلقفه المتلقي بدلالات تبعاً لثقافته النقدية ورؤيته الإبداعية، ليسبح بعد ذلك في فضاء التحليل به لسبر أعماقه واكتشاف درره وكنوزه المخبأة فيه، في إيقاع تتوحد فيه رؤى الشاعرة الفلسفية والسياسية والاجتماعية مع رؤى المتلقي ليعزف الإيقاعان معاً سيمفونية النص والتلقي، وليتحول الإبداع الشعري مع الإبداع النقدي إلى (نصّ على نصّ).

والمرأة قضية سعاد الصباح الأولى.. حملتها في دواوينها المختلفة حملاً

تنويرياً، ويمكن أن نستخلص من قصائدها سجلاً حافلاً لتاريخ المرأة العربية وآلامها الدفينة، وصراعها مع التقاليد ومع الآخر الرجل السيد. فهو كفاحها من أجل إثبات الذات أولاً، وحقوقها المسلوبة أولاً وأخيراً..

وإيقاعها الشعري كان إيقاعاً أنثوياً، وخطابها بهذا الشعر جاء بالتأنيث مراراً وتكراراً إلى أن وصل إلى الخطاب السردى في أسلوبه والحكاى في حواراته المتواصلة، وثورته في حالة الحب، وانفجاراته في براكين العشق.

سعاد الصباح امرأة استثنائية، وخطابها الشعري مستمد من معجم عصري بنيت تراكمية تراكمية في تكرار أحياناً يعمق إحساسها الحاد بالحيرة والصراع، وأحياناً أخرى بتساؤلات تتردد بصور كثيرة لافتة لتضاعف خطابها الشعري، وقد تصرخ الشاعرة بنداءات تستحضر الماضي لتقابلها بالواقع الحالي في تقابلات ومفارقات مدهشة تجعل من الطبيعة متلونة لتلون التقابلات والمفارقات في شعرها، وقد عكس ذلك كله صورها الشعرية تارة، وفي تارات كثيرة تقابل سعاد الصباح بين الأنا الذات والآخر في قصائدها، فمثلت بهما لوحات شعرية نستشف منها تقاطعات وتوازيات.

لهذه الأسباب كلها، ولغيرها -حضورنا الكريم- كُرِّمت الشاعرة سعاد الصباح تحت شعار (الإبداع في مواكب الثقافة العربية).

وفي الختام أتقدم بالأصالة عن نفسي ونيابة عن زملائي وزميلاتي في قسم اللغة العربية واللجنة الثقافية وكلية الآداب وجامعة الكويت ودولة الكويت حكومة وشعباً إلى راعي هذا الحفل معالي وزير التربية ووزير التعليم العالي الرئيس الأعلى للجامعة د.رشيد الحمد، لرعايته هذا الحفل وإلى الأستاذ الدكتور نادر الجلال مدير جامعة الكويت لنيابته عن معالي الوزير في الرعاية.

كلمة فواز المرعبي¹

أصحاب المعالي والسعادة

سيدتي المكرمة شاعرة العرب د. سعاد الصباح

أيها الحفل الكريم..

من لبنان الذي أحبّته، ومن بيروت التي بادلتها مشاعر الحب والوفاء،
أحمل إليكم اعتزازنا في جمعية متخرجي الجامعة الأمريكية في بيروت،
وقد أتيحت لنا فرصة المشاركة في تكريم علّم من أعلامنا العربية الخفافة،
الشاعرة الدكتورة سعاد الصباح.

فسعاد الصباح كرمتنا في بيروت مراراً، وأعطت من قلبها إلى هذه المدينة
قصائد حفرت في الوجدان والضمير كلمات من نور وأمل وجمال ما بعده
جمال، التقيناها بأمسيات شعرية وسمعناها تصدح عالياً تحوّل الهم
نضالاً، وتستنهض العيون بين المتوسط وبحر العرب.

تشدّد بالتاريخ وكل المجد، وتطلق عروبة مضيئة ووعداً بنهضة ومستقبل
في كل هذا الوطن الكبير.

1- أكاديمي لبناني ورئيس جمعية خريجي الجامعة الأمريكية في بيروت.

كلمة محمد فائق¹

أصحاب المعالي

أصحاب السعادة

الأخت العزيزة د. سعاد الصباح

الأخوات والإخوة الأعزاء

اسمحوا لي أولاً أن أعبر عن بالغ التقدير والشكر العميق لجامعة الكويت - كلية الآداب - قسم اللغة العربية على وجه الخصوص على دعوتها للمشاركة في هذه الاحتفالية السنوية بيوم الأديب الكويتي، والتي تقام هذا العام لتكريم الدكتورة سعاد الصباح التي استطاعت بعلمها وتعدّد مواهبها ونزعتها الإنسانية الصادقة أن تكون مصدر إشعاع على طريق الحرية والتقدم ليس في بلدها الكويت فقط، وإنما في وطننا العربي كله. ويسعدني أن أهنيئ الأخت العزيزة سعاد الصباح بهذا التكريم الذي هي أهلّ له، فهي الأديبة الشاعرة التي ملأت حياتنا شعراً وأدباً في عذوبة ورقة وإحساس مرهف والتزام لا يحيد بوطنها وأمتها وإيمانها العميق بحق الإنسان في أن يحيا حياة كريمة، وناضلت من أجل ذلك نضالاً واعياً عبرت عنه مواقفها الشجاعة، وقد يقف المرء مشدوهاً كيف استطاعت هذه السيدة الخجولة شديدة التواضع أن تفتح كل تلك الحواجز والموانع،

1- وزير إرشاد قومي (إعلام) مصري سابق، من مواليد عام 1929. درس في كلية التجارة، ثم حصل على عدة دورات في بريطانيا عن الدفاع الجوي عام 1951. وشغل منصب أمين عام المنظمة العربية لحقوق الإنسان 1986-2008 وعضو مجلس أمناء المنظمة من 2008.

فتقتحم دنيا الشعر ودنيا الأدب وتتمرد على كل القيود الجامدة المتصلبة،
قيود التخلف في وطننا العربي التي تعاني منها المرأة ويعاني منها المجتمع.
وتشدنا سعاد الصباح إلى طريق الحرية والتقدم وطريق النور والأمل،
إنها بصيرتها المتقدمة وشجاعتها الفذة وإيمانها القوي وعذوبة شخصيتها.

كلمة د. عبد العزيز حجازي¹

أصحاب المعالي والسعادة

الأخت العزيزة د. سعاد الصباح

زملائي في الجامعة

لقد كان لي الشرف أن أساهم في وضع برامج جامعة الكويت منذ سنوات طويلة..

الإخوة والأخوات

تحية تقدير وإعزاز لقسم اللغة العربية بكلية الآداب في جامعة الكويت، التي تفضلت بدعوتي لحضور يوم الأديب الكويتي، والمساهمة في تكريم الأستاذة الدكتورة سعاد الصباح، الشاعرة والأديبة الكويتية العربية.

ولست أدري كيف أوقيها حقها، وهي التي تخصصت في العلوم السياسية والاقتصادية، وقد حصلت على الدكتوراه تنويجاً لدراساتها وبحوثها العلمية في ميدان الاقتصاد والسياسة، ولكنها انتصرت على نفسها، وانبعث من وجدانها أدب وشعر تعبيراً عن مكنونات هذه النفس المطمئنة، والتي تفيض بالحب والخير والسلام، فانطلقت تترجم أحاسيسها ونبضات قلبها، وما اختزنته من فكرٍ وعلمٍ في أشعارٍ تنطلق بها في المنتديات العربية

1- اقتصادي مصري ورئيس وزراء أسبق في عهد الرئيس محمد أنور السادات. دكتوراه بالفلسفة في التجارة - جامعة برمنجهام - إنجلترا عام 1951. له عدة مؤلفات علمية، وحصل على وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى من وزارة الصناعة (مصر)، ووسام الاستحقاق من الدرجة الأولى من وزارة الصحة، ووشاح النيل، ووشاح الملك عبدالعزيز من المملكة العربية السعودية، ونيشان إيران، وجائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية من المجلس الأعلى للثقافة، عام 1982.

واللقاءات الثقافية في الداخل والخارج لتثبت أن المرأة العربية تقف في مصاف ما يقدمه الآخرون للعالم من أدبيات.

ودعوني أتساءل: هل أضمت الدكتورة سعاد الصباح إلى علماء الاقتصاد والسياسة، أم أضمتها ضمن مجموعة الأدباء والشعراء المبدعين، أم أنها ومن دون شك قد جمعت بين العلم والأدب؟

هذا ولم يقتصر إبداع د. سعاد الصباح على ما تقدمه للمجتمع العربي من أشعار تعكس عقلاً مستنيراً، وروحاً فياضة.

كلمة د. علي أحمد عتيقة¹

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات السيدات والسادة من الشيوخ الكرام والوزراء والسفراء والأساتذة والأصدقاء، إذ إن لي عدداً لا بأس به من الأصدقاء الأعزاء بين هذا الحضور. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

يطيب لي ويشرفني أن أشارك معكم في هذا الحفل البهيج ممثلاً لرئيس منتدى الفكر العربي وراعيه صاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال، وكذلك بالأصالة عن نفسي لتكريم إنسانة فاضلة تجمع في شخصها صفات نبيلة حميدة جعلت منها القدوة الحسنة بين الناس، فالشيخة د. سعاد الصباح تجمع الشعر والأدب مع الاقتصاد والفكر النير البناء في إطار من الانتماء لأهلها وبلدها ولأمتها العربية والإسلامية وللإنسانية قاطبة، فهي شخصية كويتية عربية عالمية تتمتع بسمعة طيبة عطرة أينما حلت في ربوع الوطن العربي وخارجه.

لقد تشرفتُ بمعرفة الشيخة د. سعاد الصباح منذ أكثر من 30 عاماً حين انتقلتُ مع أسرتي إلى الكويت لأتولى منصب أمين عام منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول، في أيلول سبتمبر 1973، وتابعتُ منذ ذلك الحين

1- اقتصادي ليبي، 1931 - 1 يونيو 2014، وكان وزيراً للتخطيط والتنمية، ووزيراً للاقتصاد في ليبيا. انتخب أميناً عاماً لمنظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول (أوبك). حصل دراساته العليا في الاقتصاد من جامعة وسكنسن الأمريكية عام 1959. وشغل منصب نائب رئيس منتدى الفكر العربي وهذه الكلمة ألقاها عتيقة نيابة عن الأمير الحسن بن طلال وذلك في تكريم د. سعاد الصباح بيوم الأديب الكويتي 2005.

نشاطها الفكري المتميز من خلال عطائها لوقتها ومالها دعماً للفكر والأدب مساندةً لكل عمل يهدف إلى التنمية ونشر ثقافة التقدم واحترام حقوق الإنسان في الوطن العربي، فالدكتورة سعاد الصباح كانت دائماً في مقدمة المتطوعين والمتبرعين بالجهد والمال للمشاركة في كل ما يساعد على النهوض بالمواطن العربي ويرفع من شأن الحضارة العربية الإسلامية، وليس أدل على ذلك من مشاركة د. سعاد في نشاط منتدى الفكر العربي ودعمها المتواصل لأهدافه وأعماله، فهي العضو البارز في مجلس الأمناء لأكثر من عقدين من الزمن، وقد استمر دعمها للمنتدى حتى في أوقات التوتر وسوء الفهم، لأنها تتمتع برؤية بعيدة المدى وبالتزام أدبي أخلاقي يجعلها تشعر بواجب المشاركة والعطاء، فهي أكبر وأسمى من كل ما من شأنه أن يعكر الأجواء بين المفكرين والأدباء في المحافل العربية الأهلية وغيرها.. وفي هذا السياق، لن أنسى للدكتورة سعاد الصباح فضل وقوفها إلى جانب منتدى الفكر حينما عرضتُ على مجلس الأمناء في اجتماعهم في الكويت نهاية 2001 العجز في المبلغ المطلوب لبناء مقر لائق للمنتدى، وكنت حينها أميناً عاماً للمنتدى، كما كنا قد جمعنا من مصادر أردنية أكثر من نصف المبلغ المطلوب، وأبلغتُ المجلس أن المشروع لا يزال يحتاج إلى تمويل قبل الشروع في التنفيذ.

ناقش المجلس كيفية جمع التبرعات، وكانت د. سعاد الصباح تستمع ولم تتدخل في الكلام.. وترك الموضوع دون حسم.. لكن حين اتصلت بها بعد أسبوع ردّت عليّ بأنها ستساهم في تغطية العجز، الأمر الذي جعلنا نباشر في تنفيذ المبنى الذي تبرع بأرضه صاحب السمو الملكي الأمير الحسن في حرم الجمعية العلمية الملكية بمنطقة الجبيهة في عمان..

وبهذا تم تشييد بناء صغير جميل بتكلفة أقل من نصف مليون دولار، أي أقل من 170 ألف دينار كويتي، واستقر أول منتدى للفكر في مقر آمن دائم بفضل جهود الخيرين من أمثال المحتفى بها اليوم.

الفهرس

7	شِعْرٌ معطرٌ من البادية إخلاص صعب
13	حدث ذلك ذات مساء كريمة شاهين
17	حول أشعار سعاد الصباح د. علي الباز
25	أمسية شعرية ناعمة في جمعية الصحفيين المحرر الثقافي
27	من الشعر الإنساني إلى التخطيط التنموي د. بلال خير بك
33	شاعرة تعزف فوق مساحات الأم!! عبد القادر كراجة
35	عندما تكون الشيخة شعراً! جمعة اللامي
39	ارتجفت سعاد الصباح تهيباً! فأنحيت ليلي الحر
43	بطاقة معايدة إلى سيدة متفائلة! رياض نجيب الريس
47	مجموعة "فتافيت امرأة" محمد الفايز
51	الدكتورة سعاد الصباح.. الأهازيج والحزن!! فؤاد الهاشم
53	بصراحة مطلقة.. سعيد حبيب

57	صالح الحاجة	دموع سعاد
59	آمال مختار	صوت بدوي يصرخ للمرأة وللعروبة
63	محمد البرجس	أصالة امرأة عربية
65	ليلى محمد صالح	فارسة في ميدان القتال.. ونجمة في قصائد الوجدان
73	خلدون زينو	في البدء كانت الأنثى
77	حنان توفيق العرج	سفيرة الحب والشعر والوطن
81	نادية عابد	عطر سعاد الصباح
83	تقدم المرأة من تقدم الوطن والعكس صحيح	نادية عابد
91	سناء صليحة	امرأة بلا سواحل وهموم المرأة
95	عرفان نظام الدين	إبداعات متجددة
97	عرفان نظام الدين	امرأة بلا سواحل
101	عرفان نظام الدين	مقتطفات رومانسية
105	فهد السويحلي الهاملي	قيثارة الحب والأمل

	د.سعاد الصباح وحقوق الإنسان
107	عبد الرزاق البصير
	أميرة الشعر
113	د.عايد المناع
	وسام الاستحقاق الثقافي من الرئيس التونسي
115	علي محمد المهدي
	ليت كل سعاد مثل سعاد شاعرة
117	محمد بخيت
	ليست النائحة الثكلي مثل النائحة المستأجرة
119	د.عزيزة المانع
	نشرة أخبار غير شعرية عن سعاد الصباح
123	خالد القطمة
	أميرة الحب
127	سارة المطيري
	دار كويتية تستحق الإشادة
129	علاء الجابر
	«نادت سعاد» فهل في الكويت مَنْ سمعوا؟
131	محمد زهري حجازي
	امراًة خُرافيةٌ هذه الـ"سعاد"
137	مسفر الدوسري
	خنساء العصر
139	فواز الشمري
	تحية إعجاب عراقية إلى برنسيصة شعر كويتية
141	سيار الجميل
	كما ينبغي للروح أن تكتب
149	عمر إدلبي

د. سعاد الصباح.. ورزان

- 153 د. علي الزعبي
المال في خدمة الثقافة
- 155 بشير عياد
بين الثقافة والسياسة في الكويت والبحرين
- 163 محمد جابر الأنصاري
مهرجان سعاد الصباح للطفل الخليجي المبدع
- 167 عبد الرسول سلمان
لغة شعرية وسطية تُقدِّم المضمون على الشكل
- 169 علي القيسي
عطاء دائم
- 175 عادل المشعل
من الشاعرة إلى المؤرخة
- 177 سعد الدين إبراهيم
فتافيت امرأة
- 183 سعد الحميد
الوفاء والمبادئ
- 189 محمود حربي
من حملة مشاعل التنوير
- 191 محمود حربي
ملتقى سعاد الصباح الدولي للفن التشكيلي
- 193 عبد الرسول سلمان
سيدة بألقاب كثيرة
- 195 سمير عطا الله
آخر السيوف
- 199 علي المعمار

	في حضرة السعد الصباح
201	ذعار الرشيدى
	الحُبّ والوطن في شعر سعد الصباح
203	د. معراج أحمد الندوي
	سعاد الصباح وإسهامها الريادي
209	د. أسماء كوّار
	سعاد الصباح وتاريخ الكويت
215	فاروق جويدة
	سعاد الصباح والأحباء الأحباء
217	د. خالد أحمد الصالح
	نون النسوة في مواجهة واو الجماعة
221	د. سمير حاج
	جسر ثقافي ونضال عالمي
522	ماتيو ستريكو
	أميرة وشاعرة..
241	نيكولا ميشال
	التاريخ / الذاكرة في الدّم وفي الروح
259	لورون دو سانيرييه
	الشاعرة والإنسانة
269	يوسف القعيد
	سعاد الصباح وديوان جديد
275	د. نجم عبدالكريم
	التجربة.. والتجريب والأثر
279	علي المسعودي
	إضاءة
295	علي عبد الفتاح

- 301 كلمة د. يحيى علي أحمد
- 303 كلمة د. نورية الرومي
- 307 كلمة فواز المرعبي
- 309 كلمة محمد فائق
- 311 كلمة د. عبد العزيز حجازي
- 313 كلمة د. علي أحمد عتيقة



صدر للدكتورة سعاد محمد الصباح



الإصدارات الشعرية

- 1 من عمري 1964
- 2 أمنية 1971
- 3 إليك يا ولدي 1982
- 4 فتافيت امرأة 1985
- 5 في البدء كانت الأنثى 1988
- 6 حوار الورد والبنادق 1989
- 7 برقيات عاجلة إلى وطني 1990
- 8 آخر السيوف 1992
- 9 قصائد حب 1992
- 10 امرأة بلا سواحل 1994
- 11 خذني إلى حدود الشمس 1997
- 12 القصيدة أنثى والأنثى قصيدة 1999
- 13 والورود تعرف الغضب 2005
- 14 رسائل من الزمن الجميل 2006
- 15 الشعر والنثر.. لك وحدك 2016
- 16 قراءة في كف الوطن 2017
- 17 وللعصافير أظافر تكتب الشعر 2017
- 18 أنت وأنا والليل 2023

في مجالات السياسة والتاريخ والاقتصاد والعلوم الاجتماعية

- 1 التخطيط والتنمية في الاقتصاد الكويتي ودور المرأة 1983
- 2 أضواء على الاقتصاد الكويتي 1985
- 3 المرأة الخليجية ومشاركتها في القوى العاملة 1986
- 4 الأوبك: التجربة السابقة والتوقعات المستقبلية 1986
- 5 السوق النفطي الجديد: السعودية تسترد زمام المبادرة 1986
- 6 أزمة الموارد في الوطن العربي 1989
- 7 هل تسمحون لي أن أحب وطني 1990
- 8 صقر الخليج: عبدالله مبارك الصباح 1995
- 9 حقوق الإنسان في العالم المعاصر 1995
- 10 حقوق الإنسان: بين النظرية والتطبيق 1997
- 11 ماذا تعرف عن حقوق الإنسان؟ 1997
- 12 أوراق في قضايا الكويت (1, 2) 2006
- 13 أوراق في الاقتصاد الخليجي 2006
- 14 أوراق في السياسة الدولية 2006
- 15 أوراق في الاقتصاد السياسي الدولي (1, 2) 2006
- 16 أوراق في السياسة النفطية (1, 2) 2006
- 17 مبارك الصباح مؤسس دولة الكويت الحديثة 2007
- 18 كلمات خارج حدود الزمن 2008
- 19 تاريخ الشيخ عبدالله مبارك الصباح في صور 2015
- 20 الكويت في عهد عبدالله بن صباح الصباح 2018
- 21 مرت السنوات وما زالت كما هي الكلمات 2018
- 22 وتبقى شجرة الصداقة مثمرة 2019
- 23 الكويت في عهد محمد بن صباح الصباح 2019
- 24 الكويت في عهدي جابر بن عبدالله الصباح وصباح بن جابر الصباح 2021
- 25 تأسيس الكويت في عهدي صباح الأول وعبدالله الأول 2022
- 26 استراحة الخميس 2024
- 27 الأسبوع 6 أيام 2024

لم يساعدني الحظ لقراءة دواوينها القديمة، ولكنني عندما قرأت مجموعة (فتافيت امرأة) تأكدت بأن هذه المجموعة تأكيد على شاعرية هذه المرأة الشاعرة التي تعيش الحياة ثم تكتبها، خلافاً لبقية الشعراء الذين يعيشون الكتابة، ولكنهم لا يعيشون الحياة.

محمد الفايز

طلعت من أفق الكويت شاعرة ثائرة لها رؤية جديدة وفكرة رائعة تجاه الحياة والحرية والحب والوطن. وهي سعاد الصباح صاحبة الشعر والرسالة مبدأها الوطن وهدفها الحرية والمساواة والعدل. غلبت الوطنية والوجدانية على مجمل شعرها. أكدت الشاعرة أن الثقافة والشعر رسالة إنسانية.

د. معراج أحمد الندوي

إنها تحمل عشقاً قديماً لوطنها الكويت وقد صاغته شعراً وتاريخاً ومواقف، وفي السنوات الأخيرة قدمت للمكتبة العربية أكثر من دراسة عن تاريخ الكويت. إن دولة الكويت تبدو صغيرة في حسابات الجغرافيا ولكنها كانت صاحبة دور ثقافي وسياسي في فترات مختلفة.

فاروق جويده

مازلت أذكر أمسياتها الشعرية في معرض القاهرة الدولي للكتاب.. والزحام غير العادي على حضورها.. كنت أشاهد الشباب يقفون فوق السلالم ويطلون من الشرفات.. لدرجة أن إدارة المعرض اضطرت لأن تتركب شاشات عرض تليفزيونية.. حتى يتمكن الذين لم يدخلوا من مشاهدتها.. وهو ما لم يحدث إلا في ندوات روجيه جاردوي.. ونزار قباني.. ومحمود درويش.. وعبد الرحمن الأبنودي.. لم تكن جماهيريتها تقل عن هؤلاء.. وما زلت أذكر أن إلقاءها لشعرها كان يضيف له الكثير.

يوسف القعيد

انظر إلى تلك الروح المتوثبة في قصيدة (مثالية)، وإلى ذلك التناول "الجديد" لفكرة سبق أن عبّر عنها الكثيرون من قبل يكفي أنني أحسست وأنا أقرأ تلك القصيدة وكثيرون مثلي بأن الشاعرة تترجم بكل الصدق عن الفكرة التي ألحت عليها ساعة كتابة قصيدتها وهذا هو الجديد.

د. علي الباز